د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

علّمني القرآن

من الفاتحة حتى الناس



الأفكار، والمفاهيم، والتصوُّرات، والحقائق الكبرى كما رسمها القرآن للحياة

دار القلم
دمشق

علّمني القرآن

من الفاتحة حتى الناس

الأفكار، والمفاهيم، والتصوُّرات،
والحقائق الكبرى كما رسمها القرآن للحياة

تأليف
د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

دار القلم
دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

لا أعرف خارطة لطريق الحياة الطويل، وبوصلة تحدّد لك الشمال الحقيقي للحياة كلها، وتضعك وجهاً لوجه مع الحقائق الكبرى، وكتاباً يصنع لك أفكارك ومفاهيمك، ويبني لك تصوراتك الكبيرة ككتاب الله تعالى، ولو لم يكن في ذلك كله إلا قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] لكان كافياً عن كل شيء.

لقد حاولت في كتابي (علّمني القرآن) أن أضع نصب عينيَّ تلك الحقائق الكبرى التي عرضها القرآن، وركَّزتُ على الأفكار والمفاهيم والتصوُّرات التي تبني الإنسان فكريّاً وسلوكيّاً، وأحسب أنّي نَقَلْتُك هذه المرّة من الحديث عن محاولة إقناعك بقراءة القرآن ودفعك لتدبره إلى بسط وتقريب تلك الحقائق والأفكار والمفاهيم والتصوُّرات،

وجَعلْتُها في متناولك، وهي محاولة شخصية تبدَّت لي من خلال قراءة كتاب الله تعالى، ولعلَّك تجد فيها ما يعينك بإذن الله تعالى على الحياة، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

المؤلف

قبيل مغرب ليلة التاسع والعشرين

من شهر رمضان المبارك ١٤٤١هـ

في فترة الحجر المنزلي من آثار فيروس كورونا

سورة الفاتحة

• الفاتحة أعظم سورة في كتاب الله تعالى، وفي البخاري أنَّ النبي ﷺ قال لبعض صحابته: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ. قَالَ: (الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ) هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالْقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**». وفي صحيح مسلم من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضاً مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: (**هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ**). ومن فقهك وكمال وعيك أن تهبَ لها من وقتك قراءةً وتدبُّراً لما يجري أحداثها في واقعك أعجل ما يكون.

• **علَّمتني سورة الفاتحة**: أنَّها رقية لمرضك، ودواء لأسقامك، وحلٌّ عاجلٌ بإذن الله تعالى لجراحك وآلامك، وإذا قُرأ بها على مصاب برأ بإذن الله تعالى، وقد قرأ بها أحد الصحابة على ملدوغ، فكأنَّما نشط من عقال. وقال ابن القيم رحمه الله وهو يتحدث عن أنَّها شفاء: وأما شهادة

التجارب بذلك، فهي أكثر من أن تذكر، وذلك في كل زمان، وقد جرَّبت أنا من ذلك في نفسي وغيري أموراً عجيبة ولا سيما مدة الإقامة بمكة، كنت أشعر بآلام مزعجة تكاد تنقطع الحركة في أثناء الطواف وغيره، فأبادر إلى قراءة الفاتحة، وأمسح بها على محل الألم، فكأنَّ حصاة تسقط. جرَّبت ذلك مرات عديدة، وكنت آخذ قدحاً من ماء زمزم، فأقرأ عليه الفاتحة مراراً فأشربه، فأجد به النفع ما لم أعهد مثله في الدواء، والأمر أعظم من ذلك، ولكن بحسب قوة الإيمان وصحَّة اليقين، والله المستعان!. اهـ.

• **وعلَّمتني:** أنَّ ربك تعالى أحق ما يكون بثنائك ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ وكيف لا يكون ذلك وهو الذي خلقك وربَّاك وَعُنِي بك، وما نعمة في حياتك إلَّا وهي أثر من جوده وعطائه تعالى! «**يا عبادي كلكم ضالٌّ إلَّا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائعٌ إلَّا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلَّا من كسوته، فاستكسوني أكسكم**». هذا هو الفقه، ومن ألقى بعقله في تفكر نعم الله تعالى عليه لا يكاد يفتر لسانه من الثناء والإجلال والتقديس لربِّه تبارك وتعالى ما عاش في الحياة.

• **وعلَّمتني:** أنَّ سؤال الهداية أعظم الأسئلة في حياتك على الإطلاق ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ أن تسأل الله تعالى أن يدلَّك على

الطريق ويعينك عليه، ويثبتك فيه حتـــى تبلغ منه أمانيك، ومن تأمل العالم حوله أدرك عظمة هذا الســؤال الذي يكــرِّره في كل ركعة من صلاته كل يوم! وقد أجاب ابن القيم رحمه الله على سؤال: إذا كنَّا مهتدين، فكيف نســأل الله تعالى الهداية، فقــال: فإنَّ المجهــول لنا من الحق أضعاف المعلوم، وما لا نريد فعله تهاوناً وكسلاً مثل ما نريده أو أكثر منه أو دونه، وما لا نقدر عليه مما نريده كذلك، وما نعرف جملته ولا نهتدي لتفاصيله، فأمر يفوت الحصر، ونحــن محتاجون إلى الهداية التامة، فمن كملت له هذه الأمور كان سؤال الهداية له سؤال التثبيت والدوام. اهـ.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الطريق غير سالكة، ففيها المهتدون والضالون، وما كلُّ موفقٌ في الحياة، وحســبك أن ترقى همَّتــك للحاق المهتدين من الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصديقين والشهداء والصالحين، من مضى منهم أو من الجادين علــى ذات الطريق، وتذكُّر أنَّ الطريق مليئة من غير المهتدين، وهم أكثر من ترى عينــك وتلقى في زمانك ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦] وأخطر هذه الفئات على دينك ومنهجك اليهود والنصــارى، فلا تغترَّ بأحدٍ منهم، وكلَّما استوحشت في طريقك من قلة السائرين، فارفع بصرك للسابقين ترى الحياة من جديد.

سورة البقرة

• سورة البقرة سورة عظيمة الشأن جليلة القدر، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﵁، قال ﷺ: «**اقرؤوا القرآن، فإنَّه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ـ أو كأنَّهما غيايتان ـ أو كأنَّهما فِرقان من طير صَوَافَّ، تُحاجَّان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة، فإنَّ أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة**»، ومن وعى هذا الفضل وأدرك ما فيه أقبل إليه بكل ما يملك!.

• **علَّمتني سورة البقرة**: أنَّ القرآن الكريم أعظم ما منَّ الله به على إنسان، ومن عرف له فضله وهب له كل شيء ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ فهو كتاب هداية لقلبك ومشاعرك، وهداية لروحك من شعث واقعك، وهداية لبيتك وأسرتك، وهداية لعلمك ومشروعك وفكرتك وكل شيء، وعلى قدر إقبالك عليه تأخذ الحياة حظَّها من واقعك. وما كل متشوّفٍ لهذا المعنى بالغه، وحسبه أنَّه على قدر تقوى قلبك، وإجلال شعائر ربك، وتقديس أمره ونهيه ومنهجه.

تفتتح هذه السورة مطلعها بثناء الله تعالى على كتابه، وأنه هو المنهج والدليل الذي أراده الله تعالى لرسم معالم وفصول الحياة.

• **وعلّمتني**: أنّ هداية هذا القرآن ليست مطلقة لكل إنسان، وإنّما هي خاصة بأهل التقوى، بالقلوب الصالحة للحياة، بتلك الأرواح المؤمنة بربها والمقبلة عليه ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ فرق كبير بين قارئ لهذا القرآن، وهو يدرك أنّه كلام ربه تعالى، فيقف إجلالاً له، وتقديساً لما فيه، فيأتي التوجيه الذي يحمله كالماء البارد على القلب الظمآن، وآخر يقرؤه وتفوته هذه الحظوظ الكبرى، فلا يجد له موقعاً، ولا يصنع فيه شيئاً مدهشاً مع الأيام.

• **وعلّمتني**: أنّ الإيمان بالغيب أعظم صفات المتقين ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ وأكبر الأدلة على تسليم قلب صاحبها لربه تعالى، وتقديس أمره، وإجلال شرعه، فكل ما ورد في كتاب ربّك، وصحّ عن رسولك ﷺ من أمور الآخرة؛ بدءاً من القبر وما بعده من أحداث القيامة، وأسماء الله تعالى وصفاته، يجب أن يجري في فلك التسليم والتصديق، وعدم السؤال بكيف في شيء من ذلك، وهذه معالم المؤمنين المهتدين في كلّ زمان ومكان.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل من حولك من العالمين على ثلاثة أصناف: (مؤمن، وكافر، ومنافق) ولن تخلو مساحة من الأرض من هذه الأصناف، فشُدَّ رباطك بالمؤمنين من حولك، واعلم أن من أوثق عرى الإيمان: الحب والبغض في الله، وما عدا هذا الصنف فهم من أهل الكفر والنفاق، وهم أعداء دينك ومنهجك، غير أن الكفر وأهله واضح لا يرتاب فيهم عاقل، والنفاق وأهله خطر على دينك، وقد وصفهم لك الوحي وصفاً جلياً، فخذ حذرك منهم وتوقهم قدر وسعك، وتعامل مع الجميع وفق منهج الوحي تثبت بإذن الله تعالى على الطريق، ولا تزلُّ قدمك في شيء قادم الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ هذه الأوصاف الخمسة (الإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، والإنفاق في سبيل الله تعالى، والإيمان بما جاء به المرسلون، واليقين بالآخرة) هي قاعدة التقوى وأصلها الكبير ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ ومن استوثق من هذه الأوصاف لقي كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ المؤمن خُلِقَ لعمارة الأرض، وبعث الحياة فيها، واستثمار كل ممكن ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ

خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾، خُلِقَ من أجل تلك الغاية الكبرى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] فلا تبرح هذه القضية الكبرى، وأثرك على قدر فهمك بها وعملك بما فيها، وقد خلقك الله تعالى بيده، وشرّفك بالعلم، وأجرى مراسم تكريمك في ملكوت السماء، فأسجَدَ لك ملائكته، فكن في مستوى الحدث الذي يليق بك، وإيَّاك والتخلي عن مباهج الحياة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ إبليس عدوك الأول وأخطر من يواجهك، وقد أخرج أباك من مراتع العزّ ومباهج الجنان ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ وأول الفقه وقاعدته معرفة عدوّك الأول، واستعدادك للنصر عليه في معركة الحياة. ومن تكاليف هذا الفقه أن تعرف خططه وأساليبه، وكيف يأتي إليك، ثم كيف تكون قادراً على النصر في كل معركة يديرها معك في مستقبل الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ أسوأ قصص التمرُّد على منهج الله تعالى وشرعه ووحيه ورسله تلك التي دارها اليهود في حقبة من الزمن، فنكران النعم، ونقض العهود، واستبدال آيات الله تعالى بعاجل الدنيا

الرخيص، وخلط الحق بالباطل، وعدم الاستجابة لرسل الله، والتعنُّت أمام أوامر الله تعالى أبرز مظاهر القوم وألصق الصفات بهم ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ۝٤١ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤٢ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ ومن عرف طريق الخسران استعلى أن يجري في فلكه، وأن يكون في طريق القوم يوماً من أيامه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ التردُّد في حمل أحكام الله تعالى على التسليم والعمل والتطبيق موجبٌ لقسوة القلوب وخذلانها في الطريق، وإذا قرأت قصة البقرة، وتعنُّت القوم في الاستجابة، وكثرة اختلافهم على نبيِّهم أدركت قول الله تعالى في الخواتيم: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٧٤﴾ فتأمل نفسك، وانظر سيرتك حين سماعك لقول الله تعالى في كتابه، أو حديث نبيك ﷺ وستعرف حينها سلامتك من طريق القوم، أو سيرك في فلكهم، عافاك الله تعالى وحماك، وما أكثر ما تسمع في زمانك: (في المسألة قولان، والحديث ضعيف، وفلان أفتى بكذا)، هي ذاتها قصة البقرة لا فرق ﴿يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَا ۝٦٩﴾، ﴿يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۝٧٠﴾،

﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴿٧٠﴾﴾ وكلها محاولات للسير في ذات الطريق، عافانا الله وإياك من الضلال والحرمان، والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من فقه المؤمن أن يعتني برصد صفات اليهود التي وردت في كتاب الله تعالى عموماً، وفي هذه السورة على وجه الخصوص حتى لا يقع في تلك الانحرافات التي حذَّرت منها السورة (كتحريف كلام الله تعالى، والكذب، والمراوغة في الحديث، والتقوُّل على الله تعالى بلا علم، ونقض العهود، والإيمان ببعض الوحي وكفران بعضه الآخر، والتكبر على رسل الله تعالى، والإعراض عن الوحي، والحرص على الدنيا، والحسد) ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ وما ابتلي إنسان بهذه الصفات أو بشيء منها إلا شارك القوم، وناله من الحرمان على قدر ما وقع فيه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ المساجد بيوت الله تعالى، وهي أعظم ثغور الإصلاح، وأهم أدوات التأثير، ومن الفقه والتوفيق العناية بها، والحرص على عمارتها، وقد عدَّ الله تعالى منعها من أداء رسالتها، وأداء مهمَّتها، والقيام بدورها، وتحقيق مقاصدها من أعظم الظلم

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ وهذا المنع يختلف باختلاف الأشخاص، وكلٌ حسب دوره، ومن فقه الإنسان أن يكون عضواً فاعلاً في بنائها حسيّاً ومعنويّاً، ومشاركاً في عمارتها بكل ممكن، وألّا يكون يوماً من الدهر واحداً من المانعين لذكر الله تعالى فيها، أو الساعين في خرابها.

• **وعلَّمتني**: أنَّ بناء التصوُّرات من أكبر القضايا التي يجب أن تعتني بها في حياتك، ولو لم يكن من ذلك إلا هذا التصوُّر الضخم ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴿١٢٠﴾﴾ وهو تصوُّر يكشف لك الحقيقة، ويوقفك على الفكرة التي لا تقبل الجدال، ويبلغك أنَّ اليهود والنصارى أكبر من أن يرضوا منك بموقفٍ عارضٍ؛ إمّا الاتباع الكلي وإلّا فلا قبول لك عندهم في شيء. ونحن أحوج ما نكون إلى هذا الاعتقاد منهم، فكن في مستوى الحدث، ولا يغلبك القوم في القناعة بباطلهم، وأنت في موقف المتردِّدين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ مقام الإنسان عند ربّه تعالى بصدقه، وحسن إقباله عليه، وتمثله لمنهجه، وقيامه بواجبه، وتعظيم شعائره وتقديسها ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا

يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ وإذا قرأت هذا المعنى ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ بقلبك ومشاعرك عرفت سرَّ تلك الذكريات المدهشة عن إبراهيم عليه السلام في كتاب الله تعالى حتى جعله ربُّه تعالى إماماً للأمة وهادياً لها على الطريق، ومرشداً للحق، وقدوةً وإماماً للعالمين، وربط اسمه بمشاهد الحرم، وجعل ذكرياته باقية ما بقيت الحياة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ بيت الله تعالى الحرام من أعظم منن الله تعالى على هذه الأمة ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ فقد جعله الله تعالى مكاناً ملهماً لقلوب العالمين، تشتاق إليه مشاعرهم، وتهفو إليه نفوسهم، كلَّما غابت عنه حنَّت إليه، وماتزال تتردَّد ما بقي العمر، وهو دليل على بقاء هذا الدين حيَّاً في قلوب المؤمنين، وإذا أردت أن تتنفَّس الحياة، فشُدَّ رحلك إلى هناك، وألْقِ بقلبك ومشاعرك في تلك المشاهد، وانظر للمكان الوحيد على وجه الأرض الذي لا تخلو مساحته لحظة من الزمن من طائف وساجد وقائم إلى يوم الدين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الاستجابة لله تعالى وتعظيم أمره وإجلال شرعه من أعظم سمات ذلك الجيل الذي رافق رسول الله ﷺ ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ

﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينا الناس بقُباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آتٍ فقال: (إنَّ رسول الله ﷺ قد أُنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة). بمجرَّد أن أخبرهم ـ وهو فرد ـ لم يتمالكوا إلا الاستجابة ودون أي نقاش، وهذه رسالة ضخمة وكبيرة وعظيمة تعبِّر لك عن صلاحية تلك الأمة لحمل رسالة الله. وهذا المعلم أكبر معلم جعل ذلك الجيل أعظم جيل في تاريخ هذه الأمة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ مسألة تحويل القبلة دليل على أنَّ هذه الأمة هي الأحق بالريادة، والأولى بالقيادة، والأصلح لحمل هذه الأمانة بتكاليفها الضخمة، وليس أي أمة ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ فقد كانت القبلة في بداية الإسلام إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً، ثم نقلها الله تعالى إلى الكعبة لهذا المعنى الكبير، وعلى الأمة أن تعي أن الله تعالى أراد لها أن تكون كل شيء، وأن واجبها كبير تجاه هذه الأمانة، وعليها أن تبذل كل شيء في سبيل إسعاد البشرية بهذا المنهج، وتتجنَّب الفردية، وتتعاضد قدر وسعها، وتتجهد في بناء مشاريع

جماعية. ومن عرف واقع العالم الإسلامي فضلاً عن غيره أدرك ضخامة هذه المسؤولية وحجمها وتحدياتها في مستقبل الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ جل العالم اليوم يبحث عن القبلة، يبحث عن بوصلة الشمال، يريد تلك الحياة الغائبة عن مشاعره، يبحث عن روحه التائهة في مستنقع الشهوات والشبهات، كالغريق الذي كلما أوشك على الوصول إلى حافة البئر سقط فيها من جديد ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ ولا يمكن أن يجدوا أرواحهم إلا إذا عادوا لهذه القبلة من جديد! هذه القبلة ليست من أجل أن تدير وجهك إليها أثناء الصلاة فحسب، كلا! إنَّما لتعيد حياتك كلَّها من خلالها، وتصبغ روحك بمشاعرها، ويجري كل شيء في حياتك في فلكها، وإلَّا ستظل كذاك الغريق يعرف حافة البئر، ولكنه لا يستطيع أن يمسك بها، ويبلغ بها النجاة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الله تعالى أراد لهذه الأمة أن تقوم بوظيفتها العظمى وريادتها الكبرى، ودورها المتين، والاستقلال فرع عن العزِّ بالمنهج والعقيدة؛ فهي أمة لها قبلتها وشخصيتها الخاصة بها

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١٤٣﴾﴾ فهي الأمة الحاكمة على كل الأمم، وهي التي تشهد على العالمين، ورسولها ﷺ يشهد عليها، ويرسم لها قيمها وموازينها، ويحكم على أعمالها ومبادئها. وأمة بهذا الحجم يجب أن تكون في مستوى الحدث حتى تكون قادرة على صناعة الفرق في مستقبل الأيام. ولا يمكن أن تأتي تلك الشهادة الكبيرة من أمة غير قادرة على القيام بدورها، وصناعة واقعها، وكتابة تاريخها، وتحقيق أحلامها غداً بين يدي الله تعالى.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من مقتضيات هذه الخصائص الكبرى، ومن متطلَّبات ذلك الشرف الكبير أن تكون هي قبلة العالم ليس في التوجه لصلاتها فحسب، وإنَّما في كل شيء، ولذلك جاءت الشريعة بالنهي عن كل شكل من أشكال التشبُّه الذي يظهر التخلِّي عن دور الريادة والرضى بالتبعية، كما في سنن أبي داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ـ وجوَّد إسناده ابن تيمية رحمه الله ـ قال ﷺ: «**من تشبَّه بقومٍ فهو منهم**»، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «**إنَّ اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم**»، وفي البخاري من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنَّما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله**». والوعي بهذا المعنى أول الطريق، ثم العلم الذي يشكل تلك الريادة الكبرى في مستقبل الأيام، والعمل الذي

يصنع مشاهد القدوة، ويشكّل قوة حاضرة ومؤثرة في واقع الأحداث، ولا يمكن لأمة أن تصنع عزّاً، وهي في مواقف الذل والهوان!.

• **وعلّمتني**: أنَّ ذلك الدور الرّيادي الــذي أنيط بالأمة، وأصبحت مسؤولة من خلاله عن الشهادة على العالمين به، يلزمها أن تستعين بكل ما تستطيع للقيام بتلك الأدوار والمســؤوليات، ومن أول ذلك وأهمّه وقاعدته: الصبر، والصــلاة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ الصبر على طاعة الله تعالى، وحمل تكاليف دين الله تعالى، وجعلها خالصة لله تعالى في كل شيء، والصبر على ترك عوالق النفس التي تربَّت عليها في رحاب الجاهلية أمداً طويلاً.

الصبر علــى إدارة معركة المفاهيــم والأفكار وبنــاء التصوُّرات، والصبر علــى المناوئين للدعوة والمشــاقّين لها في عــرض الطريق، والصبر على طول الطريق ومشــقته وتكاليفــه، والصبر على جولات الباطل وكبره وغيِّه، الصبر حتى لو طال ليل الظلام، وحسن الصلة بالله تعالى، والإقبال عليه من خلال نهر الصلاة العذب، وكم من مقامٍ بين يدي الله تعالى قرَّب الخيرات.

• **وعلّمتني**: أنَّ بناء التصوُّرات من أضخم القضايا التي ينبغي العناية بها ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤﴾،

إنَّ الأمـة المؤمنـة مقبلة علـى جهاد شـاقٍّ، وطريق طويـلٍ ومليء بالعقبات، ويحتاج إلى تضحيات ضخمة، ولا بد فيه من شهداء ودماء تهرق، وفقـدان أرواح، فمن الضـرورة بمكان أن تأخـذ التصوُّرات الكبرى حقَّها في نفوس الفئة المؤمنة قبل كل شيء، وأن المقتول في سـبيل الله تعالى حيٌّ عند ربِّه تبارك وتعالـى، ولا يناله الموت، وهو مفهوم يحتـاج إلى زمـن حتى تسـتوعبه نفـوس المؤمنيـن، ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من شـيء إلَّا الشهيد، يتمنَّى أن يرجع إلى الدنيا، فيقتل عشـر مرات لما يرى من الكرامة**». وأمَّةٌ يراد لها حمل الرايات إذا لم تدخل المعارك الكبرى والصراع مع العدو، وصناعة التاريخ بهذا المفهوم الضخم ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ۝١٥٤﴾ فلا سـبيل لها إلى شيء من تلك الآمال.

• **وعلَّمتني**: أنَّ تأهيل النفوس المؤمنة ضرورة ملحَّة لحمل مفاهيم هذا الدين في المرحلة القادمة ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥﴾ رغم كل المباهج التي يحملها هذا الدين لأهلـه إلَّا أنَّه في المقابل يحتـاج إلى نفوس تعي معنى النضال في سبيله، وحمل تبعاته وأثقاله، والرضى بكلِّ ما يجري عليها في سـبيله، ولا بدَّ من ابتـلاءات في عرض الطريـق تُختبر بها

أرواح الفئات المؤمنة، وتتهيأ للمرحلة القادمة، ولو شقت على نفوسها، وأجهدت خواطرها ومشاعرها زمناً من الدهر، ولا يمكن أن يقوم هذا الدين على تلك النفوس الرخوة التي تربَّت على النعيم، وعاشــت في ظلاله سنوات.

• **وعلَّمتني**: ضرورة العناية بحقائق الدين والعيش بأفكاره ومفاهيمه وتصوُّراته، وليــس مجرد صور، القضية أكبر مــن تحويل قبلة أو توجُّه لجهةٍ مــا ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ إنَّهــا في أوَّلها فقه لهذا الدين، ومعرفة واضحة المعالم له، وتسليم بكلِّ ما فيه، ورضى بكلِّ ما جاء، ثم الاســتعداد الأمثل لحمــل تبعاته وأثقاله مهما كانت في عرض الطريق، وما أكثر الصور اليوم على حســاب الحقائق! الإيمان الذي أراده الله تعالى هو تلك المفاهيم التي تســيطر على حياة صاحبها وتصبغه بالوحــي، وتجعله عبداً لا يملك إلَّا التســليم للنص الشــرعي مهما كانــت أحماله وأثقالــه! العبودية أن تتحــرَّر من رأيك ورغبتك وشــهوتك وأمانيك أمام مراد الله تعالى، وتعود عبداً لا يملك إلَّا أن يقول في كل شيء من أثر الوحي: (سمعنا وأطعنا). البرُّ الحقيقي

أن تؤمن بالغيب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴿١٧٧﴾﴾ كأنك تراه بعينيك! وهو في الوقت ذاته انعتاقك من الشحّ والبخل والأثرة بمالك، فتهبُ منه وترى بأنّ ذلك العطاء هو الحياة ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴿١٧٧﴾﴾، وتفي بعهودك التي أبرمتها مع غيرك حتى لو كان في ظاهرها الشقاء لنفسك والتبعات على مستقبلك ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْ ﴿١٧٧﴾﴾. ثم تلك الصورة النهائية التي تحملك على الاستسلام لله في كل شيء ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ ﴿١٧٧﴾﴾.

• **وعلّمتني**: أنّ الإسلام ليس تلك الصور التي تقام في المسجد، وتنتهي عند أول عتبة للخروج منه، كلا! الإسلام ينظّم الحياة وفق قوانين، ويضبط النفوس ويجعلها تتصرّف وفق محددات تضمن لها الحياة في النهاية، فشرّع لها القصاص الذي يُحرّم به الاعتداء على أي فردٍ من الجماعة المسلمة إلّا في ضوء الشريعة الحاكمة ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ ويربّيهم على التقوى له تعالى من خلال الصيام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ وينشئ بينهم روح التكاتف والتعاون والتعاضد، وألّا يبغي أحد منهم على الآخر من خلال الاعتداء على أموال بعضهم البعض، ويعيد صورة الجماعة المسلمة على اختلاف أقطارها وبلدانها وألوانها في بقعة واحدة من خلال الحج،

وتقضي مع بعضها البعض بضعة أيام تتربّى فيها على الاستسلام لله تعالى والتخلّي عن المألوفات، وتتعلّم فيها التضحية والتكاتف والإخاء، ولا تنتهي تلك العبادة إلّا وقد صنعت أعظم مقاصدها الكبرى في لحمة الجماعة المسلمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴿٢٠٨﴾﴾ لتتأهّل من خلال ما عرفته علماً وعاشته واقعاً، وتكون قادرة على حمله وتمثُّله، وتصديره للعالم من حولها في مستقبل الأيام.

• **وعلّمتني**: أنَّ هذه الحياة قامت على الأضداد في كثير من صورها، ولن تأتي يوماً ما في اتساق واحد البتة، تعرض لنا السورة صورة ذلك الرجل المتقلّب في شخصيته، المتلوّن في كل شيء، تراه فتظنُّ أنّك مع مجدّد الإسلام، وإذا به أكثر خصومه وأشدهم حرباً عليه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ وهو أكثر المخلفين للفساد في الأرض، يهلك كل حي، ويبيد كل خير، ويحارب كل فضيلة، وينسف قيم الحياة الفاضلة ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ وهو في الوقت ذاته لا يسمع لكلمة ناصح، ولا يلوي عنقاً على رسالة نذير، ولديه ألف ردّ وجزاء لأولئك الذي تلقوه بالعطف والرحمة والنصيحة ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ وفي المقابل ترى تلك الصورة المدهشة التي يبيع فيها ذلك المؤمن نفسه لله تعالى في كلّ

شيء ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠٧﴾. وفرق كبير جدّاً ومسـافة غير قابلة للقياس بين إنسـان يقدّم لدين الله تعالى شـيئاً، وآخر باع نفسـه لله تعالى وآثره على كل شيء، وأوقف تلك النفس على مرضاة الله تعالى فحسب.

• **وعلّمتني**: أنَّ لهذا الدين تكاليف ضخمة تحتاج إلى نفوس قادرة على حملـه والتضحية في سـبيله، وليـس مجرد شـعائر تنتهي عند الانصراف منها ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤﴾ المسـألة ضخمة جداً للدرجة التي بلغ فيها الحال برسول الله المبعوث من ربّه والمؤيد منه تعالى أن يتساءل: متى ينتهي طول الطريق وتهون أيام المشـاق؟ ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾! فتحسّس واقعك، وانظر لقلبك، وتأمّل أين أنت من تبعات هذا الدين؟ فالمسألة جد! وثمة جنة ونار، وسؤال وحساب، وموازين تنصب، وعدل يقام في تلك السـاحات، أتظـنُّ أن ذلك كله يجري لمجرد صور لا علاقة لها بهذه التكاليف!.

• **وعلّمتني**: أنَّ الحياة تضحيات! ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٞ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـٔٗا وَهُوَ خَيْرٞ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٢١٦﴾ تكرهـون الجهـاد؛ لأنَّ فيه

ذهاباً لأرواحكم، ورحيلاً عن دنياكم، ووداعاً لأرضكم، وفراقاً لأهلكم، ولكن عوائده أكبر من كل ذلك، لم تأتوا للنزهة، ولا للراحة، ولا للعيش دون رسالة وقضية، جئتم لتنقلوا العالم من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، فلا بدَّ من التضحيات لتحقيق تلك الغاية الكبرى.

• **وعلَّمتني**: شمولية هذا الدين وكمال نظمه وعظمة تشريعاته، تتجلّى هذه المعاني في عنايته بالأسرة وحفظ مقومات الحياة فيها، ونبذ الخلاف، وسَنّ التشريعات الواقية لها من الانحراف والخلاف والشقاق؛ بدءاً من النكاح ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ ومروراً بالمعاشرة في أيام الحيض ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ وانتهاءً بتشريعات الإيلاء والطلاق والرضاع، وكل ذلك بعد الحديث الطويل عن القصاص وتحريم الاعتداء على الآخرين ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُ﴾، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وكل حكم من تلك الأحكام مختوم بالذكرى الكبرى تقوى الله تعالى العاصمة من الضلال والخلاف والفوضى التي تجري في واقع كثير من الأسر والبيوت. ثم

يأتي متشدِّق فيقول: لا علاقة للإسلام بشـؤون الحياة، وإنَّما هو مجرد شعائر عبادية ظاهرية فحسب!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الاعتراض على أحكام الله تعالى صفة متأصلة في حياة بني إسـرائيل، ومايزال القرآن يذكِّر بهذا الخلق المشـين في كل موقف، وهو يربِّي المؤمـن ألَّا يخوض التجربة ذاتها، أو يمشـي في الطريق نفسه، تراهم هنا سألوا نبياً لهم أن يبعث لهم ملكاً، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فلمَّا أجابهم إلـى ذلك ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ كان جوابهـم معـاداً فـي كثيـر مـن الصور والحـوادث ﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾! ولن تجد أبرَكَ لقلبك ومشاعرك وحياتك كلها من استجابتك لربك وتعظيمك له وقيامك بحقوقه تعالى.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإرادة الضابطة للشهوات، والقادرة على الاستعلاء على الفتات العارض في الطريق هي الباعثة للحياة لهذا الدين، وما عدا ذلك فأمنيات لا علاقة لها بالحقائق في شيء ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ أول النصـر وقاعدته الكبرى الثبات أمام

الشـهوات، وإلا فليـس دون الهزائـم شـيء، وإذا انهزمـت الأرواح والإرادات فما تصنع الأجساد! ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وتلك القلة التي استعلت على الشـهوات رغم ضرورتها إليها هي التي استطاعت فيما بعد النصر في المعركة، وذهب الغثاء عدداً لا قيمة له في شيء.

وكم من عدد ضخـم لا علاقة له بصناعة التاريـخ! وكم من عدد قليل يصنع كل شيء! وكلّما قربت المواجهة تمحّص الصف ألف مرة، ألا ترى الذين اسـتعلوا على الشهوات أول مرة حين رأوا العدو ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ ولكن أدركهم أهل الإيمـان واليقين قائلين: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وإذا قـرأت هـذا المعنى ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ أدركت ما يصنع الإيمان في كل مساحة يخالطها.

وفرق كبير لا تحده المسافات بين كلمة تقال في موقف ما، وبين كلمة يقين تقال في معركـة ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فيا الله ما أعذب العقائد في زمن الملمّات! ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ فمـاذا كانت النتيجة؟. ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله تعالى، وأعظم ما تقرِّر هذه الآية وحدانية الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ هذه الوحدانية التي تجمع شتات الإنسان، وتوجِّه قلبه، وتخلِّص صاحبها من الشركاء الذين لا يغنون عن أنفسهم فضلاً أن يهبوا غيرهم شيئاً. وما ضرورة الإنسان لشيء ضرورته لفقه هذه الوحدانية التي تجعله عبداً لله تعالى في كل شيء، فلا يقول أو يعمل أو يقرر شيئاً، أو يصنع أمراً إلَّا من خلال هذا المعنى الكبير. وأسوأ ما يواجه الإنسان ذلك الشتات الذي يجري في واقعه، فيصبح في النهاية ممزقاً بين المخلوقين، وهم لا يغنون عنه في شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من جمال الإسلام وأناقته أنه لا يُجبر أحداً على دخوله ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ ويبيِّن له في النهايات المصير الذي ينتظره ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ فالإسلام واضح، وأدلته وبراهينه بيِّنة جدًّا، وليس هو بحاجة إلى أن يكره أحداً من العالمين على دخوله البتة، فإمَّا أن يرضى بالإسلام كدين ويدخله طواعية، أو يدفع الجزية ويبقى على ما هو عليه، والجهاد شرع ليدفع عن المؤمنين الأذى الذي يلقاهم، ويكفل لهم الأمن والطمأنينة بدينهم، ويقيموا شرائعه كما يريدون، فالأرض أرض الله تعالى، وإنَّما شُرع لإزالة عوائق الطريق التي تقف في وجوه المستضعفين، ولا سبيل لهم إلى معرفة شيء عن أحكامه ومباهجه

إلَّا من خلال الجهـاد الذي يزيح عنهم هذه العقبـات، ويجعلهم وجهاً لوجه لمعرفة الإسلام، وشـرع كذلك ليقيم حكم الله تعالى في الأرض، فهو الأصل الذي يجب أن يكون مهيمنـاً، ولغير ذلك من المعاني التي هي أسمى من إراقة الدماء كما يقول أولئك الجُهّال والأعداء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ ثمة فرقاً كبيراً ومهولاً جدّاً بين النور والظلام، بين الحق والباطل، بيـن الحقيقة والأوهام، بين السـعادة والرقي والفلاح وبين الانحطاط والضلال والفوضى ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ فرق لا يعرفه إلَّا من عـرف كلا الطريقين وجرَّب كلا المشـهدين، وذاق من أثرهما ما يدلُّه علـى الطريق. فرق كبير بيـن من وليه الله تعالـى، ومن وليه الشيطان، وبين من يخرج من الظلام إلى النور، ومن يخرج في المقابل من النور إلـى الظلام، فرق بين طريـق واحد ليس فيـه إلا الحقيقة، وطرقات مليئة بالظلام، وليس فيها سبيل إلى النور. فرق طويل المسافة وعميق البعد، ولكن لا يدركه إلَّا المبصرون.

• **وعلَّمتني**: أنَّه لا حرج عليك في أسـئلتك التـي تبحث فيها عن طمأنينة قلبك وبلوغك منها حدَّ اليقين ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ

تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦٠﴾﴾ من حقك أن تسأل وتناقش وتبحث لتصل للطمأنينة التي ترى الحقائق فيها رأي عين. ولكن دعك من سؤال يخلق إشكالاً ويزرع شكّاً، ومثلك يعرف من يسأل، ويعي كيف يدير ذلك السؤال!.

• **وعلّمتني**: أنَّ الإسلام عُني ببناء النظام الاقتصادي الذي يقوم على التكافل والتعاون، وجعل المال في يد صاحبه وسيلة لبناء الحياة، وليس غاية يُتمحور حولها، وبيَّن أنَّ مباهج المال الكبرى ليست في جمعه، وإنَّما في بذله واستقبال الآخرة به ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ وقبّح صور العطاء المخلوط بالرياء والمنّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ وختم كل ذلك بصورة صاحب البستان الذي فيه كل شيء ولكن بلغ به الكِبَر حدَّ العجز عن الاستفادة منه، وله أبناء ضعفاء لا حيلة لهم في العمل فيه، ومع كل ذلك سلّط الله تعالى عليه ريحاً وناراً فاحترق كله، وهو أحوج ما يكون إليه، فالممسك عن النفقة أو

المنفق رياءً وسمعةً كذلك لا فرق ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾.

• **وعلّمتني**: أنَّ العطاء أثمن ما في الإنسان، ومن فقه الإنسان أن يُغالب شحَّه وبخله الذي جُبل عليه بهذا المعنى، وقد قال ﷺ: «**والصدقة برهان**»، ولو لم يكن في هذا المعنى إلّا هذا التشبيه الأخّاذ ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ كالبستان على الأرض المرتفعة، فيصيبه مطر غزير، فينتج ثمراً مضاعفاً، أو يصيبه مطر خفيف، فيكتفي به لطيب أرضه مثل ذلك كإنفاق المخلصين الذي يقبله الله تعالى ويضاعف فيه الأجر وإن كان قليلاً. وكم من قليل أورد صاحبه الحياة! وليس مقابل ذلك إلّا البخل والشح والأنانية والأثرة التي لا تمنح صاحبها إلّا الفوضى والضياع.

• **وعلّمتني**: أنَّ الربا أخطر ما على الإنسان، هذا صاحبه يسقط مراراً في عَرَصَات القيامة، وفي مواقف الحشر، وفي لحظات الجزاء

والحساب ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾ وتوعده الله تعالى بالخلود في النار إن بقي على رباه ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ وأبلغه بمحقه وإبادته مهما كوّن لصاحبه من ثراء ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ وأخبر بأنّ صاحبه عدوٌّ له تعالى، وخصم من خصومه في ساحات القيامة ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ۝٢٧٩﴾ وفي الترمذي وابن ماجه - وصحّحه ابن تيمية وأحمد شاكر - من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال ﷺ: «**لعن الله آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء**»، ومن عرف هذه الحقائق تخلّص من آثاره قبل اللقاء والجزاء والحساب.

• **وعلّمتني**: أنّ الإسلام يرسم نظاماً متكاملاً للحياة، ويضبط كل أحداث ذلك النظام حتى فيما يجري بين البائع والمشتري، ويحفظ حقه، ويسنُّ له الأنظمة الكفيلة بعدم ضياع حقه، وكل من خالف ذلك القانون وقع في الندم والأسف مع الأيام، ولا تتكلف في البحث عن هذه المعاني كثيراً، يكفيك أن تقرأ آية الدين أطول آية في كتاب الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ

وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾.

• **وعلَّمتني**: منهج التسليم الشامل الذي يمثّله رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله تعالى عليهم لكلّ ما جاء من الله تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ وليس ذلك التناقض والشتات الذي يجري في حياة كثيرين، يأخذون من هذا الدين ما يشاؤون، ويدعون ما يشاؤون، ولن تذوق نفسٌ جمال الإسلام وروحه وأناقته إلّا حين تستسلم لله تعالى في كل شيء، وترى في الوقت ذاته أن ذلك هو الحياة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الاستجابة لله تعالى من خلال تعظيم الوحي وتقديس النصّ من أعظم سمات الأمة الصالحة لإقامة منهج الله تعالى في الأرض ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ هذا المعنى الكبير الذي تجلَّى في صحابة رسول الله ﷺ، وتكوَّنت منه تلك الأمة الخالدة في التاريخ، وما حاجتنا اليوم كأفراد فضلاً عن الأمة إلى شيء حاجتنا إلى تعظيم الله تعالى، وإجلال شرعه، وتقديس وحيه.

سورة آل عمران

• **علَّمتني سورة آل عمران:** أنَّك إذا أردت أن تقرأ القرآن، فينبغي أن يجري في مشاعرك إجلال الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ وأنَّ هذا الكتاب الذي تتلـوه تكلَّم به ربُّك، وأنزله على رسـولك، ونظَّم بـه الحيـاة ﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ ﴾ وفيـه النُّظُـم الكفيلـة ببناء الإنسـان فضلاً عـن بناء المجتمعات والأمم، وأنَّ أول طريق يؤسِّسـه هذا القرآن في نفوسـنا الإقرار بوحدانية الله تعالى، والإيمان بمقتضـى هذه الوحدانية جملةً وتفصيلاً، والاعتقاد بآثار هذا الإقرار في كل شيء.

• **وعلَّمتني:** أنَّ رقابة الله تعالى تجري على كلِّ شـيء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ ﴾ لا يخفى عليه من أمر الإنسان شيء، سـواء ما كان يجري في قلبه من أمر النية وتقلباتها وإراداتها، أو ما يجري منه في الظلام بينه وبين شـهواته وإراداته، أو ما يجري منه بينه وبين الخلق، كل ذلك مضبوط لا يفوت على الله تعالى منه

شـيء، ما كان منه في الظلام أو في النور، في الليـل أو في النهار، وحدك أو مع الناس، لا فرق في كل ذلك.

• **وعلَّمتني**: مواقـف النـاس من كتـاب الله تعالـى، وأنَّ هذه المواقـف لا تخرج عـن طريقين: طريـق أهل الزيـغ والانحراف والضـلال، وأبرز معالم ذلـك الطريق ترك الأصـول والمحكمات الواضحة البينة والفزع وراء المتشـابه؛ لأنَّه المكان الأنسـب للفتنة والضلال ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ وطريق أهل الإيمان، وأبرز معالمه الاستسلام ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾! تراهـم مقبلين علـى ربهم مذعنين لـه تعالى في كل شـيء، ولك أن تلاحظ هذه الصلة الربانية التـي يلفظها النصُّ بين ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ وبين ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾! حتى إنَّك لا تسـتطيع أن تجد شيئاً محسـوباً، ومسـافة فاصلة بين الإيمان والاستسلام. ومن أبرز معالم أصحاب هـذا المنهج أنَّهم لا يبحثـون إلَّا عن النص، وأول ما يقرع أسماعهم يهرعون إلى هذا المعنى الكبير ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾! وأبرز معالم أصحاب المنهج الضال (في المسـألة قولان، والحديث غير صحيح، وأفتى فلان) ولن تتكلَّف في البحث عن الفريقين، يكفيك أدنى مسألة يجري فيها النقاش وسترى هذه الأحداث بين عينيك.

• **وعلَّمتني**: أنَّ المؤمن يدرك قيمة الهدى بعد الضلال، وقيمة الاستقامة على منهج الله تعالى بعد الحيرة والاضطراب، وقيمة الطمأنينة والاستقرار بعد الشعث والفوضى، وقيمة الوحدة الشعورية بمنهج الله تعالى بعد الضياع في مناهج الأرض والتخبُّط في مسارب الحياة، وقيمة الحرية التي يهبها منهج الله تعالى للعبد بعد قيود العبودية والذل والخضوع للبشر، وقيمة الاهتمامات الرفيعة الضخمة التي تعانق الفضاء على فتات اللهو العابر في الطريق، والاهتمامات الصغيرة الحقيرة في الحياة، فيقف مجلَّاً لما هو فيه عاجزاً عن شكره وتقديره، سائلاً الله تعالى ألَّا يحرمه ما هو فيه من النعيم ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ كما كان النبي ﷺ يلقي بمشاعره في هذا المعنى الكبير داعياً: (**يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك**) فتسأله عائشة ـ كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو ـ عن سرِّ ذلك، فيقول لها: (**إنَّ قلوب بني آدم كلَّها بين أصبعين من أصابع الرحمٰن، كقلبٍ واحدٍ، يصرِّفه حيث يشاء**).

• **وعلَّمتني**: أنَّ من السنن الإلٰهية التي لا تتغير ولا تتبدل: أن الكفر والشرك والنفاق والضلال في كل زمنٍ ومساحةٍ ما مصيرها للهزيمة والضياع، وإن طال أمد انتصارها ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾ هذا هو وعد الله تعالى، وعده تعالى الذي لا يتغيَّر ولا يتبدَّل بهزيمة هؤلاء في مقابل نصر الفئة

المؤمنة المرابطة الثابتة على منهج الله تعالى، ولو قلَّ عددها وضعفت قواها المادية المحسوسة إذا استنفدت قواها الممكنة، وبذلت جهدها في الاستعداد المقدور عليه ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾ وهذه السُّنَّة يجب أن تأخذ حظَّها من قلوب المؤمنين والمصلحين في كل زمن، وألَّا تتخلَّف عن مشاعرهم يوماً من الدهر!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ القدرة على ضبط النفس أمام الشهوات العارضة في الطريق هي الاستعلاء الذي يجب أن يصحب المؤمن في الطريق إلى الله تعالى، ثمَّة شهوات كثيرة جُبلت على حبها النفوس وتشوَّفت إليها، وأخذت حظّاً كبيراً من مشاعرها ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾ ولكنَّها من عاجل الدنيا، وفي مقابلها جزاء أضخم وأكثر أثراً وأعمق في النهايات ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ ومعركة العالم اليوم معركة شهوات، وقد بذل العالم التقني كل ما يملك من العلم لجعل هذه الشهوات هي المقصود الأسمى والأعظم والأرفع في حسّ الإنسان، ويسعى لأنْ يجعل العاجل الرخيص أعظم ألف مرة في حسّ الإنسان من ذلك الغيب البعيد! ولن يرتفع الإنسان عن هذا

الحضيض الذي يسوّق له عالم اليوم إلَّا من خلال إبراز ذلك الجزاء القادم وبجلاء، حتى تفيق النفوس إلى ما ينتظرها في مستقبل الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل ما تراه في واقعك ستطوله عين التغيير، ولا يبقى على حال سوى الله تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ المال، والمُلْك، والجاه، والسلطة، والمسؤولية كلها تجري عليها سنن الله تعالى، ولا تبقى على حال. وكم من مُلْك وجاه وسلطان عاد أثراً بعد عين! وكم من مال يدير به صاحبه الحياة ذهب في لحظة، وعاد صاحبه فقيراً جائعاً بعد أن كان كل شيء! وإذا ما أعطاك الله تعالى شيئاً من ذلك، فاستثمره فيما ينفعك في الدارين، ويقربك إلى الله تعالى فحسب، وما عدا ذلك فضياع.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإسلام هو دين الله الحق، وليس في الدنيا كلها دين صالح للحياة غيره، قال تعالى في بيان هذه الحقيقة الكبرى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾، وأخبر تعالى أن كل من في

السماوات والأرض أسلموا لله تعالى، ومُقرُّون بهذه الحقيقة الضخمة ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ، قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**». وإذا كانت هذه هي الحقيقة، فيجب أن يدرك كل إنسان أنّه إما الإسلام وإلّا الضلال والحيرة والفوضى والاضطراب.

• **وعلَّمتني**: أنَّ رقابة الله تعالى تجري في كل شيء، وأنَّ الإنسان مكشوف أمام ربه تعالى، حتى تلك النية والإرادات التي لم تتجاوز صدره يعلمها الله تعالى، ويرى مساراتها في نفس صاحبها فضلاً على أن تكون هذه الرقابة في عمل من الأعمال الظاهرة ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ وفقه هذا المعنى موجب لتعظيم الله تعالى وإجلال شعائره والقيام بحقوقه. في مرات كثيرة تركب مصعداً، فترى رسالة فيها: المصعد مراقب بالكمرات، فتظل شاخصاً تنتظر نزولك، وتتحرج حتى في الحركات المباحة فضلاً عن غيرها، فما الشأن في رقابة الله تعالى التي لا تتخلَّف عنك في مكان ولا زمان؟!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ حبَّ الله تعالى ليس دعوى، وإنَّما حقيقة تأخذ حظها من نفوس أصحابها، وأعظم براهيــن ذلك الحبِّ اتباعُ النبيِّ ﷺ في كل ما جاء به ﷺ، وإجلالٌ لشريعة الله تعالى، ومتابعة جادة لمنهجه ﷺ! وما أكثر الدعاوى في زمانك! وما أقل العمل! وثمة فوضى وشتات في حياة كثيرين؛ تراه عبداً في جلال طاعة من الطاعات، ثم ما تلبث أن تراه في فوضى، يأخذ من دين الله تعالى ما يوافق شهواته، ثم يرمي به وراء ظهره في جملة مــن قضايا حياته الشــخصية فضلاً عن حياتــه الاجتماعية أو العملية. ترى إنســاناً مجلّاً لربه فــي الصباح، ثم ما تلبــث أن تراه في المساء في منكر، فأصبح مجرَّد صور تتصارع في واقع صاحبها في اليوم الواحد ألــف مرة، ثم تُلقي به فــي النهاية إلى الضيــاع، وإذا أردت أن تتحقق مــن اتباعك، فأعد قــراءة هذه الآية مــراراً ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ حياة الإنســان فرع عن همومــه، ترى ذلك في زوج آل عمران رضي الله عنها يشــغلها البذل والتضحية لدين الله تعالى، فهي لا تدَّخر جهداً عارضاً لهذا الديــن، وإنَّما تبذل ما في بطنها وتجعله مشروعاً لخدمة دينها ومنهجه ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ وهي لا تبذل مشروعها ممتنَّةً بــه على ربها تعالى، وإنَّما تبذله وتســأله تعالــى القبول في الوقت ذاته، وتعتذر عند الميلاد أنَّها أنثى، وليست قادرة على الوفاء

بتضحيات المشاريع ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ وهذا النوع من التفكير هو الذي ينبغي أن يسيطر على عقولنا وهمومنا حتى نصنع لدين الله تعالى الحياة. ولو أنَّ كل إنسان نظر في نفســه ونذر جزءاً من فكره ووقته وجاهه لصالح دين الله تعالى لتحقَّق ما لم يكن في الحسبان.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الصــدق في البــذل والعطاء، والخــوف من عدم القبول، والإلحاح في الدعاء موجبٌ في النهاية لبلوغ الإنسان لأمانيه، ترى ذلك في القبول الذي أكرم الله تعالى به هذه الصالحة في النهايات ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ وأجرى لها فــوق أمانيها. ومن صدق الله تعالى صدقه الله!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل أمة وفرد وجماعة تقف على مستوى واحد أمام دين الله تعالى وتوحيــده ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ جميعــاً ودون

استثناء ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ كلمة سواء، لا فرق فيها بين عربي ولا عجمي ولا أبيض ولا أسود، دون النظر إلى من المستفيد الأول أو من المنتصر! هذا دين الله تعالى يقرر هذا الميزان الواحد الذي لا يتفاضل فيه إنسان عن آخر أو ملّة عن أخرى عند الدعوة إليه أولاً، وإنّما يجري التفاضل بعد ذلك لمن استقبله وقام بحظوظه في الدارين.

• **وعلّمتني**: أنَّ الإسلام بُني على العدل، وحفظ حقوق الناس، والاعتراف بالحقيقة مهما كانت الفوارق ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٦٩﴾ ودّت طائفة من أهل الكتاب وليس كل أهل الكتاب. من أهل الكتاب من يكون أميناً رائعاً مدهشاً في تعامله وحفظ حقوق الآخرين ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ وآخرون يجري في واقعهم ما يجري في واقع الآخرين، وهي نافذة تطل بك على جمال هذا الدين وعدله وأناقته.

• **وعلّمتني**: أنَّ تلبيس الحق وكتمانه من أعظم صفات اليهود ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾ وما

أكثر هذا المعنى في زمانك! ترى من منَّ الله تعالى عليه بالعلم ويسره له وفتح له قبولاً فيه يتقمَّص ذات الدور ويمارس نفس الخطيئة، فيُلبسُ الحقَّ ضلالاً ويكتمه، ويصنع للناس تصورات ومفاهيم وأفكاراً مشوشة، ولا علاقة لها بالحق الذي يحمله لأسباب ومصالح وهمية، وقد قال رسولك ﷺ: «**من تشبَّه بقومٍ فهو منهم**»، ويوشك أن تجري عليه سنن الله تعالى ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦] والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الكعبة والمسجد الحرام مرتكز الحياة للعالم بأسره؛ فهو أول بيت وضع في الأرض، ولا تصح عبادة المسلم إلَّا بالتوجه إليه خمس مرات في اليوم والليلة، وفرض الحج لا يتم إلَّا في رحابه ومساحاته ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ وإذا تأملت قوله تعالى: ﴿ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ ألقيت بمشاعرك في هذا المعنى إلى أقصى مدى! وكم من ذاهبٍ إلى هناك وعائدٍ منه بكل شيء! لا يمكن أن تكون الأمة واحدة وليس لها في دينها شعائر تجمعها وتؤلف بينها. إنَّ الإسلام ينشئ هذه الجماعة بنسق مبهج للغاية، وذلك من خلال صلاة المجتمع الواحد في مسجد واحد كل يوم خمس مرات، وينقل المسلمين كل أسبوع من خلال الجمعة إلى نطاق أكبر، ثم يجمع مشاعر وأرواح كل الأمة في شهر رمضان

المبارك، ثم يهيّئ لهم اجتماعاً ضخماً وكبيراً ومدهشاً يلتقي المسلمون من أقطار الدنيا في مكان واحد وبلباس واحد، والفقه كل الفقه أن يدرك المسلمون اليوم أنَّ هذه المعاني هي الحياة، وأنَّ الواجب أن نتحوَّل جميعاً من مجرد الصور إلى الحقائق، وأن ندرك أنَّ من أعظم مقاصد دين الله تعالى تكوين الجماعة المسلمة في النهايات.

• **وعلَّمتني**: أنَّ تقوى الله أكبر وصية عاصمة من الضلال، ومن عرف قدرها، وقام بمقتضاها، وتمثَّلها منهجاً في حياته الخاصة والعامة أجرى الله تعالى له من النعيم ما لم يكن على بال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ التقوى التي يُجَلُّ فيها أمر الله تعالى، ويُعظَّم نهيه، وتُقدَّس فيها شريعته، ويكون الوحي هو الحاكم فيها على تصرفات الإنسان في كل شيء من حياته، وليست تلك التي تُقرأ سطراً وتفوت أثراً ومعنى!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ بالأمة ضرورة للاعتصام بالوحي كتاباً وسُنَّةً ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ فهو العاصم من كل ضلال، ومن اعتصم بالوحي ابتعد عن الخلاف والفرقة، وكان أقرب ما يكون إلى الاجتماع، وكل المشكلات التي تواجهها الأسر والمجتمعات والأمم اليوم إنَّما هي نتيجة البعد عن الوحي، وعدم

الاعتصام بـه ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ والدرس الكبير لتحقيق تلك الوحدة والاجتماع وتجنب الصراع والخلاف: الاعتصام بالوحي، والأسئلة التي يمكن أن تنداح على هذا المعنى بكيف؟ ومتى؟ مرده أولاً للفرد أيّاً كان رجلاً أو امرأةً، صغيراً أو كبيراً، يصلح نفسه ويقيها أسباب الخلاف، ويكوّن اللحمة في بيته ومساحته الممكنة، ثم تتوافد أحلامنا شيئاً فشيئاً، حتى يأتي الله تعالى بالأماني التي نريد.

• **وعلّمتني**: ضرورة وجود فئة تحمل همّ الإصلاح، والدعوة إلى الخير، وتأهيل الناس لدين الله تعالى، وتقوم بدورها الدعوي والتربوي في دعوة الناس إلى الفضيلة، ورفعها عن الحضيض الذي يدنّسُ المجتمعات الفاضلة ويُشتّتُ شملها، ويعبث بمقدراتها ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾، وخيرية الأمة كلها منوطة بهذا المعنى الكبير ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ وما قام هذا المعنى في أرض أو مساحة إلّا وكان من أعظم أسباب فلاحها ونجاحها، وإذا تخلّف في مساحةٍ فلا تنتظر إلّا الفوضى بمختلف صورها وأشكالها.

• **وعلَّمتني**: أنَّ خيرية هذه الأمة منوطة بإيمانها بالله تعالى، وقيامها بدورها الريادي العظيم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ فقيامك بدور الإصلاح في مساحتك ودائرة تأثيرك في أهلك، وعملك ومسؤوليتك فرض لصلاحية هذه الأمة للخيرية، وليس مقابل التخلّي عن هذا الدور إلّا الضياع والهامشية، وفوات حظوظ هذه الأمة من الحياة. ماذا لو أنَّ الأمة عرفت أنَّ قضية الإيمان بالله تعالى وقيامها بهذه الشعيرة الضخمة ليست ترفاً وفضولاً، وإنَّما هي أمانة وتكليف، وعلى أحداثها الشرف والعز!.

• **وعلَّمتني**: خطورة التفريط في المفاهيم الكبرى التي يجب أن تأخذ حظها من عقول وأفكار المسلمين، ومن تلك المفاهيم التي أصَّل لها القرآن: أنَّ ثمَّة أعداءً من حولك، يجب أن تكون فقيهاً بهم حتى لا تُؤتى من قبلهم، ومن التفريط في تلك المفاهيم أن يتخذ المؤمن عدوَّه صديقاً وخليلاً، ويفضي إليه بأسرار دينه ومنهجه وجماعته ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ وقد كشف الله تعالى أعداءك في كتابه، وعرَّفك عليهم، وبيَّن لك صفاتهم، فمن سوء التوفيق أن تثق في قوم بيَّن الله تعالى لك عداوتهم وحذَّرك منهم.

• **وعلّمتني**: أنَّ تقوى الله تعالى، والصدق في الطريق إليه، وحسن الظنِّ به، واللجوء إليه تعالى، والإلحاح في الدعاء من أعظم مكونات النصر في المعارك فضلاً عن التوفيق الذي تجريه في حياة صاحبه وبيته وأسرته وعمله ومشروعه ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ يكفي من ذلك كلّه أنَّ الله تعالى أنزل للغزاة في ساحات بدر ملائكة من السماء تقاتل معهم، وتُسهِم في نصرهم على عدوِّهم، وتكتب حظهم من الحياة، ومن أراد المباهج ذاتها فليهرع إلى هذا المعنى الكبير وسيجد رواءَ ما كان له على بال.

• **وعلّمتني**: أنَّ نجاح الإنسان وقفٌ على صلته بربه، وصدقه معه، وحسن إقباله إليه، وإذا أردت قراءة هذا المعنى بجلاء، فانظر إلى معركة لا تملك شيئاً من أدوات النصر الحسية، فالعدد ثلاث مئة وبضعة عشر في مقابل ألف، وخرجوا لا يريدون المعركة، وإذا بهم وجهاً لوجه مع العدو، وكان صِدقُ القوم وإخلاصهم، وتبتُّل رسول الله ﷺ إلى ربِّه، وإلحاحه في الدعاء وفقره وإنابته هو الذي أوجب لهم نصراً غير مسبوق، للدرجة التي تنزّلت ملائكة أتمّت لهم

نقص العدد، ونزل غيث السماء، فربط على قلوبهم، وثبّت أقدامهم حتى تحقق النصر.

• **وعلّمتني**: عظيم منّة الله تعالى على الثُلة المؤمنة في بدر، وقد نصرها من قلّة، ورفعها من ذلّ، وصنع لها الحياة من ضعف ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢٣﴾ وهذه عادة الله تعالى التي لا تتخلّف مع أهل الإيمان، وهي أحوج ما تكون إلى شكر ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ولو أنَّ كل من أنعم الله تعالى عليه رزقه شكر تلك النعمة، وحسن الإقبال على ربه تعالى لبسط له الحياة.

• **وعلّمتني**: أنَّ الحقائق الكبرى التي خرج بها المؤمنون في غزوة أحد أثمن ألف مرة من النصر الذي تحقّق لهم أول مرة، وأن من لطف الله تعالى بهم تعرُّضهم للهزيمة والقتل، ووداع أعزّ ما يملكون من الرجال. لقد خرجت تلك الأمة المؤمنة من المعركة في النهاية بمفاهيم وتصورات تعدل مساحات النصر التي يجدونها في تاريخهم كله، لقد رأت تلك الأمة كيف أنَّ مخالفة رسول الله ﷺ في موقف ما تكون سبباً في أقسى لحظات الفشل، وأنَّ المعصية تؤثّر على سير المعركة! وتسهم في الهزائم! وتكون أخطر ما على الإنسان في حياته كلها، وهي وراء

كل الإخفاقات التي يتعرض لها الإنسان، سواء كان فرداً أو جماعةً أو أمّة ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ ﴾ ومن عرف هذه الحقيقة لم يعد بحاجة إلى سؤال ضياع البركة من وقته، وشتات شمل أسرته، وكثرة ديونه، وضياع أمره، وفوات أرباح مشروعه، ويكفيه هذه الحقيقة عن كل شيء.

• **وعلّمتني**: أنَّ الله تعالى إذا أراد أن يرفع عبده عرّضه لجملة من المحن في ظاهرها البلاء وفي باطنها الرحمة. لقد بذل صحابة رسول الله ﷺ كل ما يملكون من استعداد لمواجهة عدوّهم في أحد، والذين وقع منهم الخطأ، قلة لا يتجاوزون العشرة، والذين بقوا على العهد هم الأكثر، والذين شاركوا في القتال في أرض المعركة بذلوا كل ممكن وصدقوا الله تعالى في اللقاء، ولكن الله تعالى يريد أن يصنع لعباده شأناً آخر في النهايات. في مرات كثيرة النصر الحقيقي ليس في نجاحك وتفوقك، فقد تكون لحظتها محمَّلاً بأمراض تقف طويلاً في طريق مستقبلك في قادم الأيام، فيهيّئ الله تعالى لك العلاج في صورة هزيمة وخسارة وفوات أرباح، وأنت في الحقيقة كسبت المعركة ألف مرة.

• **وعلّمتني**: أنَّ التخلي عن الثغور في أي مساحة موجب للخسارة، خاصَّةً في أزمان الحاجات، وما قاله النبي ﷺ في أحد «**لا تبرحوا مكانكم ولو رأيتمونا تخطفنا الطير**» يجب أن يكرَّر لكلّ حارس ثغر، يقوم بدوره في مشــروع أحوج ما تكون إليــه الأمة. إن ثمة شــحّاً كبيــراً اليوم في المشــاريع العلمية والتربوية، فنزول القادة عن جبل هذه المشاريع مفضٍ لتسلُّق العدو من خلالها، وهزيمة المواقع في مستقبل أيامها، وهذا ليس في المشــاريع التربوية والعلمية فحســب، وإنَّما يجري في كل مشروع نضبت فيه الطاقات، واحتاج إلى حرَّاس أمناء.

• **وعلّمتني**: أنَّ العطاء والبذل والعفو والصفح والتضحيات من أعظم القربــات وأجل الطاعــات ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ هذا الوعد الجليل العظيم وهذا الجزاء الكبير لتلك الفئات التي اســتعلت على الانتصار لذواتها وحظوظها، وأقبلت على الله تعالى عوضاً عن كل مفقود.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الهزائم العارضة في الطريق بعض تكاليف الحياة وأعباء الطريق ليس إلَّا! وها هو ربُّ العالمين يعزِّي تلك الفئة المؤمنة الصالحة ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩﴾ الأعلون منهجاً، وقيماً، ورسالةً، وعزّاً، وشرفاً، وشأناً، ولو لم يكن من ذلك إلَّا أن لكم وراثة الأرض وإعمارها بمنهج الله تعالى لكان كافياً عن كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الرجال يُعرفون بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ١٤٤﴾ وأنَّ النبيَّ ﷺ بقي حيّاً أو مات لا فرق، فليس دين الله تعالى موقوفاً على حياة إنسان أو موته؛ فالمنهج كل شيء فالثبات الثبات! يموت الرجال وتبقى العقيدة، ترحل أجيال بأسرها من الأرض، ويبقى دين الله تعالى كما هو أول مرة، وهذا درس متين جدّاً، وثمة فرق متين بين موت الرجال وضياع المنهج! وإن كان بقاء الرجال عزٌ ونصرٌ وتمكينٌ في مرات كثيرة، وليس أدل على هذا من قول أبي سفيان رضي الله عنه حين كان رأساً في قريش تلك الحقبة: (أفيكم محمد!، أفيكم ابن أبي قحافة! أفيكم ابن الخطاب!) فلمَّا لم يجيبوا قال: (أعْلُ هُبَل)! قال ابن القيم رحمه الله: وإنَّما سأل عن هؤلاء الثلاثة؛ لأنَّه بهم قوام الإسلام. ولكنَّ المنهج هو كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ المــوت والحياة أجلٌ قــدَّره الله تعالى قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سـنة، فلا يقرِّب الموت معركة، ولا يصنعه الجهاد، ولا تدنيه الحـوادث، ولا تأتي به الأمراض، قدر محدود بزمن ومسـاحة من الأرض وسـبب، فلنرتفع عن الهمـوم الفارغة من معانيها، ولنسـمو في سـبيل الحياة الكريمة، ولنكن في موطن الحدث الذي يصنع فألاً في الحياة، ولا نتخاذل يوماً عن نصرة المنهج ذلاً وخوفاً من حوادث الموت ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ قيمة الإنسـان فـي الثبات على ديـن الله تعالى، والمرابطة على منهجه، والاسـتعداد للتضحية من أجله في كل شيء، وليس في التخلُّف عن أحداثه جبناً وخوفاً باسـم المصالح الموهومة! ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ ثمـة أنـاس صدقـوا مع الله تعالى، وعقدوا عهـداً معه في حمـل دينه ومنهجه، وهم مسـتعدون للتضحية بكل شـيء من أجل العقائد الكبرى. وأسوأ شيء أن يحسب صاحب المنهج أثقال الطريق وتبعاته من أجل حياته ومصالحه!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ مهمة الوحي الكبرى بناء التصوُّرات الكبرى، وتأصيل المفاهيم العظيمة، ونسـف الأوهام التـي لا دليل عليها

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ المجاهد في سبيل الله تعالى، الباذل حياته لإحياء منهج الله تعالى حتى وإن مات وقُتل وأودع الأرض وغادر الدنيا كلها، فهو في الحقيقة لم يمت، وإن غاب عن أعين الأحياء! لقد انتقل من عناء هذه الفانية إلى رخاء الآخرة، خرج من كبد الدنيا ليلقى النعيم الأبدي السرمدي الذي يفوق وصف الأحياء!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ بناء العقائد في القلوب أوثق من كل بناء، والقلوب التي عرفت الله تعالى حقّاً لا يمكن أن يذعرها بشرٌ عن منهجه، أو يستخف بها في لحظة من زمن، وإنَّما تظل ثابتة مرابطة على عقيدتها، ولو كان العالم كله يقف في وجهها تلك اللحظة ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ وجرت النتائج على قدر تلك العقائد في النهايات ﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإسلام لا يخسر شيئاً بالتارك لدينه، والمتخلِّف عن منهجه، والعائد للظلال بعد العمل والتضحيات في الهجير! ذلك لأنَّ دين الله تعالى أعز وأكبر من أن يتسوَّل الرجال لنصره، وإنَّما يشرف

الإنسـان بانتمائه إليه في لحظة من عمره ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ وقد رأينا ألف مشـهد، منـه ما تخلَّص صاحبـه من الدين بالكلية وعاد للضـلال، ومنهم من تخفَّف من أحمـال دينه ومنهجه، وثالث ترك المرابطة على الثغور بعد أن كان من حُرَّاسها، وتخلَّف عن الركب بعد أن كان من حُمَّال رايته، واستبدلهم الله تعالى بغيرهم وأنشأ جيلاً أصدق قلوباً وأثبت منهجاً، وأقدر علـى المرابطة، وبقي أولئك كالرعاع الذين لا يجدون مستقراً إلَّا في الظلال!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ قيمـة المال الكبرى ليسـت فـي ضخامة أرصدة صاحبه، ولا في تضخم ذلك المال في الحساب، وإنَّما في مدِّ مساحة الربيع به، والإغارة على صحاري الحاجة والبؤس والفقر في حياة من حوله ألف مـرة ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ وكم ممَّن خلَّف أموالاً ذهب بها الورثة للعبث والفوضى، وقـدم على الله تعالـى خالياً من كل شـيء، وفي البخاري من حديث ابن مسـعود رضي الله عنه، قـال ﷺ لصحابته: «**أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟**» قالوا: كلنا يا رسـول الله مالنا أحب إلينا من مال وارثنا، فقال ﷺ: «**فإن مالك ما قدَّمت ومال وارثك ما أخَّرت**»!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الموت حقيقة حتمية ستنال كل حي، وأنَّ الحياة على هذه الأرض مهما طالت إلَّا أنَّها محدودة بزمن، محدودة بأجل، يموت في النهاية الكبار وصانعو الأحلام وحُمَّال الرايات، ويموت كذلك القاعدون الذين لا يغنون في شربة ماءٍ فضلاً عن حكاية تاريخ! يموت أصحاب الثغور والمرابطون والأبطال، ويموت في المقابل الجبناء والفارغون وصُنَّاع الأوهام لا فرق، كلٌّ يموت، غير أن الفرق كبير، ولا سبيل إلى حسابه بحسابات البشر بين الفريقين، وغداً تُكشف الحقائق، ولو أنَّ عاقلاً موفَّقاً قرأ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ لأوجبت له ترك فراش نومه، والنهوض إلى أحلامه، وصناعة مستقبله قبل حلول أيامه، وكم من بطل لم يغادر هذه الدنيا حتى صنع فيها الحياة! وكم من خامل عاش على الضياع حتى خرج منها صفر اليدين! والحياة الكبرى ليست هذه التي نحلم بها، ولكنَّها تلك التي يقول فيها الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

• **وعلَّمتني**: أنَّ من أعظم مواصفات الجيل الناهض في الحياة أنَّه مؤمن ببديع صنع ربه تعالى في الكون، ومندهش لأقصى مدى بما يراه من عجائب خلق الله تعالى، وهو في الوقت ذاته قادر على تحويل هذه المعرفة إلى حقائق تجري في حياته، ويستثمرها في الإيمان بربه تبارك وتعالى ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ ألا تراه عقَّب بذكرهم وتفكُّرهم وتبتُّلهم بعد ذكره لآياته تعالى. وكل معرفة لا تتحوَّل إلى جوانب تطبيقية في حياة صاحبها، فلا مفروح بها في شيء.

• **وعلّمتني**: أنَّ واحدة من أضخم الحقائق التي يؤكدها الوحي، ويبعثها في قلب كل مؤمن أنَّ عزَّ الكافر، وطول أمده في الأرض، وعبثه بالمنهج، ودولته على المستضعفين آيلة للزوال مع الأيام ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ هذه سنة الله تعالى التي لا تتغيَّر، قد يراها المؤمنون رأي عين، وقد تتأخر، فتكون في ساحات القصاص الكبرى بين يدي الله تعالى في يوم القيامة.

• **وعلّمتني**: أنَّ أعظم عوامل النصر وأكثرها تأثيراً: الصبر، والمصابرة، والمرابطة على الثغور، وتقوى الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ الصبر على أثقال الطريق وتبعاته، والصبر على طوله وعقباته، والصبر على كيد العدو وتشبثه بالأرض وحرصه على الحياة، والصبر على عجلة النفوس وأطماعها ورغباتها وشهواتها، والصبر على قلة الناصر،

وضعف المعين، وطول الطريق، والصبر على الملل والسـآمة واليأس الذي يحيط بالنفوس في مرات كثيرة، والمرابطـة على الثغور وعدم التخلّـي عنها مهما كانـت الدواعي والأعذار والظـروف التي تحيط بالمؤمـن، وأول ذلك وآخره وقاعدته وذروة سـنامه تقوى الله تعالى؛ فهي كل شيء في النهايات.

سورة النساء

• **علَّمتني سورة النساء**: عظم شأن الأسرة، وأنَّها النواة الأولى في بناء المجتمعات والأمم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ ومن الفقه والوعي أن يُعتنى بهذا الكيان الكبير تربيةً وتأهيلاً حتى يأتي في النهاية على مقاصده الكبار! ومن تأمل في شأن الأسرة علم بأنَّها القاعدة الأولى، والأصل الذي تنشأ منه الأمة وتكاثر أعدادها من خلاله. وفي مسند الإمام أحمد ـ وصحَّحه أحمد شاكر، وحسَّنه الألباني ـ قال ﷺ: «**تزوَّجوا الودود الولود، فإنِّي مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**». وهي المحضن الأول للتربية والتأهيل لبناء القدوات والكبار وحُمَّال الرايات في مستقبل الأيام، وليس من اللائق أن ترمي الأسرة بتبعة مسؤولية التربية على المدرسة، وحلقة التحفيظ، ونحو ذلك من المحاضن المصطنعة، بل يجب أن يكون دورها دوراً رئيسياً وأصلاً في هذا المعنى الكبير، ويستفاد من تلك المحاضن المصطنعة فيما يتم دورها الأصل، ويكرِّس مفاهيمه الكبرى.

• **وعلَّمتني**: أنَّهـا تصنع صـورةً للمجتمع المسـلم المثالي الذي يرعى حقوق بعضه البعض، ويقوم على فضيلة التعاون، ويحيي سـنن الإخاء، وتطهِّره في المقابل من آثـار الجاهلية التي علقت به في زمن مضى ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ لقد كرَّست الجاهلية مفاهيم الظلم، والتمايز، وأكل حقوق الغير، والعبث بمضامين الحياة، فجاء الإسلام يعطي كل إنسان حقه، ويحارب ويخاصم دون تلك الفئات الضعيفة التي لا تستطيع أن تواجه أطماع الجاهلية، وتردعهم من خلال الوصية بالتقوى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الله تعالى سنَّ نظاماً محكماً للتوارث، وتولَّاه بنفسه ولم يتركه لأحدٍ من البشر، محافظةً على كيان الأسرة، وقطع كل أسباب النزاع والشقاق التي تخلِّفها الرغبة الجامحة في الأموال ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ

وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾.

وهاتان الآيتان بالإضافة إلى الآية الخاتمة في نهاية السورة تمثّل منهجاً لأصول علم الفرائض، وتضع نظاماً محكماً يكفل ترابط تلك الأسرة، ويعينها على القيام بواجبها الشرعي تجاه هذه الفريضة العظمى.

• **وعلّمتني**: عناية الشريعة الكبرى بتنظيم المجتمع المسلم بدءاً من تكوين نواته الأولى: الأسرة، ومن ثم تنظيم وتكوين المجتمع الناشئ من تلك الأسرة من خلال معرفة الروابط التي تجمعهم، والعلاقات التي تكوّنهم في النهاية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ ومن قرأ هذه التنظيمات المحكمة أدرك جمال الإسلام وقدرته على سنّ الأنظمة الكفيلة ببناء

المجتمعات والأمم في صورة من الرقي والجمال، وعرف حينها الفرق بين الإسلام وغيره من الأديان الباطلة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الشريعة تقدِّس المرأة وتعتبرها كالرجل في أنَّ لها حقوقاً وعليها تبعات وواجبات، والنســاء شـقائق الرجال، ولا مكان للجاهلية التــي كانت تئدها وهي حيــة، أو تحرمها مــن الميراث إذا كبرت، وتسـلبها حقوقها كزوجة وبنت وأخــت وأم، وإنَّما كفلت لها حقوقها، ورعت لها مشــاعرها، وعاقبت كلَّ معتدٍ عليها في كل شيء، وفي ســنن ابن ماجه ـ وصحَّحه الألباني ـ من حديث أبي هريرة ﷺ، قال ﷺ: «**اللَّهم إنِّي أُحرِّج حق الضعيفين: اليتيــم والمرأة**»، ولكن في المقابل الحقوق التي كفلتها الشريعة، وليست الحقوق التي صنعها لها الأعداء، وجعلهــا في صف الرجل وفي المســؤولية ذاتهــا، فإنَّ هذه جاهلية مقابلة للجاهلية الأولى ولا فرق.

• **وعلَّمتني**: أنَّ ثمة فرقاً كبيراً بين إرادة الله تعالى للإنســان وإرادة أصحاب الشهوات! ربك تعالى شــرع لك هذا المنهج، وجعل لك هذا الدين يريد أن يخفِّف عنك، فلا يُجهدُ خاطرك ومشاعرك، يريد تعالى أن يهديك إليــه، ويتوب عليــك، ويشــملك بعفوه وصفحــه، وأصحاب الشهوات يريدونك أن تكون في الجهة المقابلة للشرع والحق، يريدونك منحرفاً بالكلية، منغمســاً في الشــهوات، وضائعاً في التيه، وضالاً عن

الطريــق مــن أصلــه ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ وإذا مرَّ بك مشــهد من مشــاهد الشهوات، فانظر حينها إلى إرادة الله تعالى لك، وإرادة أصحاب الشهوات!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإســلام يبني علاقةً كبيرةً ومتينــةً جدّاً بين أهل الإيمان بعضهم البعض، وأنَّه لا يحلُّ لمؤمن أن يعتدي على مال أخيه بأي طريق إلَّا على سبيل التجارة التي قامت على التراضي بين الطرفين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ وتوعَّدت كل من تجاوز ذلك بالعذاب ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ وهــي صــورة للمجتمع الراقي بدينه ومنهجه وقيمه ومبادئه، وليس ذلك الرعاع الذي يأكل بعضه بعضاً، ويحاول كل طرف من هؤلاء أن يكون هو الكاسب ولو على جهد أخيه وعرقه، ومن تأمل واقع المسلمين اليوم رأى صوراً ومشــاهد مازالت تجري على صور الجاهلية الأولى. وكلٌّ يحاول أن يصل لمــال أخيه من أي طريــق، فيحصل التدليس والغــش والخيانة والحلف الكاذب لأجل مال عارض، ولو على حساب الإخاء الكبير.

• **وعلّمتني**: أنَّ الشريعة تصنع فوارق بين الرجل والمرأة، وإن كانت المرأة من الرجل ذاته، وهُنَّ شقائق الرجال، ولكن ثمة فروقاً كثيرة جدّاً في الطبيعة والظروف، فروقاً في تفكير الرجل وتفكير المرأة، فروقاً في اهتمامات الرجل واهتمامات المرأة، فروقاً في وظيفة الرجل وفي وظيفة المرأة، بل نهت أيّاً من الطرفين أن يتوقَ لما عند الآخر من الصفات ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾، وإذا قرأت قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ﴾ أدركت ما تصنع الحضارة المادية في جسد الأسرة وهي تحاول إقناع المرأة بأنَّ لها مثل ما للرجل تماماً، حتى أخرجتها من بيتها وعرَّتها من مسؤوليتها، وأجهضت على جمالها ورسالتها ومهمتها الكبرى في الحياة. ودور الأسرة كبير ومتين في إعادة تأصيل هذا المفهوم مبكراً في حياة الأبناء، وأنَّ لكلٍّ وظيفته التي تصلح له، حتى إذا حاولت الحضارة المادية تأصيل بعض قيمها في مستقبل الأيام اصطدمت بهذه المفاهيم الكبرى لدى الأبناء.

• **وعلّمتني**: أنَّ قوامة الرجل على المرأة منهج رباني، وليس فكرة عارضة قابلة للنقاش ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ وهذه القوامة ليست مجرد تمايز عنصر الرجل على المرأة، وإنّما تنضوي تحتها مسؤوليات كبيرة

يحتملها عنصر الرجل وتركيبه الخلقي والعاطفي والمشـاعري ويكون أقدر عليها، وتتكامل في النهاية مع طبيعة المرأة ودورها الأسري.

خلـق الله تعالى الرجـل بصفات وطبائـع تتحمل مشـاق الحياة وجلدها، وخلق المرأة بعاطفتها ومشاعرها لتقوم بدورها في بيتها، وإذا قام كلٌّ منهمـا بوظيفته طابت الحياة، واسـتقرَّت كما يُـراد لها، وإذا أرادت المرأة دور الرجل ومسؤوليته ومشاركته فيما هو خاص به ضاع دورها الكبير، وانحلَّت عرى تلك الأسـرة التي يراد لها أن تكون نواة المجتمعات الكبرى في مسـتقبل الأيام. لقد بات المال يمثِّل هاجساً ضخماً في واقع كثير من البيوت والأسـر، فتنازلـت المرأة عن بعض قيمها ودائرة تأثيرها ومساحتها الأصل، وبدأت تشارك الرجل في بعض مسـؤولياته، فتضاءل ورَقَّ خيط ذلك البناء الأسـري بوعي أو بدون وعي، فدخلت الخادمات كشريك أصيل في التربية بمفاهيمها وتكوينها الثقافي، وألقت بظلالها على كثير من البيوت.

• **وعلَّمتني**: أنَّ معرفـة عدوك الخارجي وآليـات تفكيره، وكيف يعيش في واقعه، وما تصوراته عن الحياة من حوله مسألة كبيرة، وهي جزء مـن عناية الوحي ببنـاء التصوُّرات والمفاهيـم الكبرى في حياة المسلمين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ

وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنًا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾، وأسوأ ما يواجه الأجيال اليوم الجهل بمعرفة عدوهم وآليات تفكيره، وكيف يدير المعركة معهم. ومعرفة عدوك أصل في نجاح فكرتك ومشروعك، وتحقيق مرادك في الدارين.

• **وعلَّمتني**: مسؤولية الإنسان بين يدي الله تعالى، وعظم الأمانة الملقاة على عاتقه ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾﴾ بدءاً بمسؤوليته عن أمانة دينه الشخصية ومنهجه وخلافته في الأرض، ومروراً بأمانته في بناء أسرته، وتحقيق غاياتها الكبرى في الحياة، وانتهاءً بدوره ومسؤوليته تجاه الآخرين، وتُذكِّره هذه الشريعة بأنَّ أعظم أصول هذه الأمانة قضية العدل سواء مع نفسه أو مع غيره من العالمين، ومَنْ فَقِهَ هذا المعنى وقام به أتى على أعظم المقاصد في الدارين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ أصل، وقبل كل شيء، وكل طاعة لمخلوق بعد ذلك هي فرع عن هذه الأصل الكبير، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ وإذا تأملت هذا النصَّ وجدت أنَّ الله تعالى نصَّ

على لفــظ الطاعة (وأطيعوا) في طاعته وطاعة رســوله ﷺ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ بخـــلاف طاعـــة غيرهما، فلم يــأت فيها بالفعل (أطيعوا) فدل على أنَّها تبع للطاعة الكبرى، وهذا ميزان ضابط لأحداث كثيرة تجري في فلك هذا المعنى، والخلل فيه موجب لخلل كبير في العقيدة فضلاً عن غيرها. فضع هذا أصلاً في حياتك، وكل أمر بعد ذلك وطاعة لا تجري فصولها على هذه القاعدة الأصل، فلا تحتفل به في شيء لأنَّها ضلال.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من جمال هذه الشريعة أنَّها تحارب الفوضى، وتقف في وجه الشـــتات، وتبني وحدة المجتمع والأمة من خلال ســـنِّ الأنظمة الكفيلة بتحقيق مقاصد الجماعة ووحدتها في أي مساحة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ فثمة ولي أمر مطاع في كل دائرة من دوائر المجتمع، لا يحق لإنسان أن يتجاوزه أو يخالفه في شيء، ما دام في فلك الطاعة الكبرى، طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، ومن قرأ نصوص الشريعة في تعظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وولي الأمر ومتبوعيه عرف ما ترمي إليه من أهداف كبرى في رعاية مصالح الدارين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ النفاق أخطر ما على الأمة، وهو الظلام الحالك في الصف، والسُّمُّ الزعــاف، وأظهر صفـات المنافـق والمنافقين أنَّهم

لا يحكِّمون شـريعة الله تعالى، ولا يُجلُّون الوحـي، وهم أول عصاته والمناوئين له في كل حكـم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ يكذبون ويتشدقون بالإسـلام وأنهم أنصاره، وهم أول خصومه وأشد أعدائه، فلا كثَّرهم الله تعالى في مساحة، وأجرى الله تعالى عليهم بأسه وسوء توفيقه في الدارين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ إجلال الوحي وتقديسه وتعظيمه أعظم صفات أهل الإيمـان، وأول مقاماتهـم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ وكل مؤمن هو أحوج ما يكون إلى تحكيم شرع الله تعالى، والرضا والقناعة به، والتسليم المطلق بكل ما فيه. وإيمان الإنسان وقف على هذا المعنى، وقد قال عمر رضي الله عنه: والله يا رسول الله إنَّك لأحبُّ إليَّ من كل شيء إلَّا من نفسي! فقال ﷺ: «**لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسـك**»، فقال له عمر: فإنَّـك الآن والله أحبُّ إليَّ من نفسي، فقال: «**الآن يا عمر**».

• **وعلّمتني**: أنَّ من وعـــي المؤمن أن يحذر غاية الحذر من عدوه، وأن يســتعدَّ له، وأن يجهد في جمع الصف لمواجهته وردّ كيده، وهذا الوعي هو أول الطريق، ومــن لم يدرك أنَّ له عدواً يجتهد في شــتاته خســر في النهاية كل شــيء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١ ﴾ وأول تطبيقات الوعي تجاه عدوكم أن تدركوا أنَّ قوماً منكم يحبون الظّلال، ويشتهون القعود، فيؤثرون التخلف عن نصرة الدين والمنهج والرســالة ﴿ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ٧٢ ﴾ وهــذا ليس بالضرورة في معركة الســيف، وإنّما فــي كل معركة فيهــا نصرة دينــك ومنهجك ورســالتك، يتركون ثغورهم أوقــات الحاجة، ويعــودون إلى بيوتهم وضيعاتهم وشؤونهم الخاصة، ويؤثرون ظلال البيوت على كل شيء. وأعظم الوصايــا يا أصحاب المشــاريع ألّا تعيروا هــؤلاء التفاتاً ولو بقلوبكم فضلاً عن أجســادكم، امضوا وفي مشــاعركم هــذه الوصية الكبرى ﴿ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٧٤ ﴾.

• **وعلّمتني**: الفــرق الكبير بين مــن يقاتل في ســبيل الله تعالى، ويسعى في فلك شريعته ومنهجه، ويعيش خالصاً لرسالته، ومن يعيش لشهوات نفسه أو مرادات طواغيته. فرق كبير ومهول بين من يسعى في كل لحظة إلى مرضاة ربه تعالى، ومن يســعى فــي المقابل إلى رضا

شـــياطينه وطواغيته! فرق بين من يبذل فكره وماله ووقته ومشاعره في سبيل مشروع وقضية، تسهم في بناء دين الله تعالى وتوسع في مساحته، وبين من يبذل وقته وفكره ومشاعره وجهده في سبيل الشهوات ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾.

• **وعلّمتني**: أنّ الخروج إلى معركة الحياة، والمشـــاركة في البناء، والمســاهمة في كتابة التاريخ لا تقـدم أجلاً ولا تؤخـره، وعارٌ على المؤمن أن يبقى في الظّلال خشية الموت، أو يتخلف عن صف فضيلة رغبةً في عاجل من الحياة ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ وكلّما قرأت سيرة خالد بن الوليد رضي الله عنه وهو يقول: (ما من موضع من جسدي إلّا وبه ضربة من سيف أو طعنة رمح، وها أنا أموت على فراشـــي، فلا نامت أعين الجبناء) أدركت أنّ المشاركات الفاعلة، والأحداث الضخمة لا تُقدّم أجـلاً ولا تقرّب موتاً، وقد قلت لك ألف

مرة: معارك المشاريع، ونضال الأفكار، وأحاديث العمل والنهضة هي التي تحتاج جهادك ومشـاركتك اليوم، وليس فيها خشية موت، وإنَّما فيها فوات متع وملذات.

• **وعلَّمتني**: أنَّ النفوس أحوج ما تكون إلى التربية والتأهيل خاصة تلك التي يُراد لها أن تكون هي القاعـدة الصُلبة التي يقوم عليها وبها الإسـلام. إنَّ الإشـاعة آلة مدمرة في هزائم الصفوف، وكم من معركة آذنت على النهاية هدمت نصرها إشـاعة! وكم من نهايات كانت قاب قوسـين أو أدنى من المجد، فضاعت جرَّاء تلك الإشـاعات! ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ وليس أعظم للإنسـان من منهج الوحي والصدور عنه في كل شـيء. وإذا أردت أن تعرف قدر النفوس الهشَّة والضعيفة وغيـر القادرة على حمل أثقال الصبـر، والتي لم تتلقَّ قدراً كافياً من الوحي، فتأمَّل هـذا المعنى ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ فهم أول من يحمل راية الخبر، وأول من يسعى في نشره وتسويقه، والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ القلوب الحيَّة والنفوس الكبيرة لا تبقي صاحبها في مساحة محصوراً، ولا تفلح في تكبيله في مكان ما مشلولاً ﴿وَمَن

يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ يأبى أن يقعـد متخلفاً عن العمل، ويرفض أن يكـون بين الجدران، والأرض أفسح ما تكون للمجد! وحتى لو حلّ به الموت في الطريق، فلا غضاضة ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾! في مرات كثيرة نمضي لمشروع وقضية كبيرة لديننـا ومنهجنا ونحسـب حقوقنا مـن أول الطريق، فتموت تلك المباهج قبل أن تأخذ حظها من الحياة. وما على الإنسان إذا خرج في سبيل ربه ودينه ومنهجه! ما ضرّه أن يصل إلى النهاية أو يموت فـي الطريق! ما يضـره تحقّق النصر أو لـم يتحقق من ذلك شيء، حسـبه أنه صدق ربه وخرج في سـبيله، وليس له من النتائج شيء.

• **وعلّمتني:** أنّه يجب عدم التخلّي عن قضيتك الكبرى، وجهادك في الحياة، ومسـؤوليتك في البناء مهمـا كانت كلفـة الطريق! وفي المقابل لا تحسـب عناءك وعرقك وجهدك في مواجهـة عدوك، فإنّ عدوك يعرق ويجهد ويتعب ويألم كما تألم في الوقت ذاته ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾ غير أنّ الفرق كبيرٌ جدّاً، ولا تكاد تحسبه المسافات. أنت تجهد وتتعب وتألم في الطريق إلى الحياة، وهو في الوقت ذاتـه يجهد ويتعب ويتألم، ولكن فـي الطريق إلى الضلال

والشـقاء والنار. أنت تجهد وتتعب في الطريق إلـى الله، وهو يجتهد ويتعب في الطريق إلى شهواته فحسب.

• **وعلَّمتني**: أنَّ عـون المحتاجين، وإغاثـة الملهوفين من أخلاق الكبار، وما أحوج الأمة إلى صاحب راية في هـذا المجال ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ مشـكلة الأمة اليوم كثرة الثغور التي تحتاج إلى إصلاح، وقلة الحراس، ومن قرأ قـول الله تعالـى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ دفع كل ممكن في سـبيل تحقيق تلك الغايات. كم هي حاجة المجتمعـات اليوم إلى بطل وصاحـب راية يقوم على هذا المشـروع (الإصلاح بين النـاس) يتخصص فيه ويتدرب ويتأهـل، ويكون نجدة العالمين فيه عنـد نوائب الدهـر! ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الدنيا جُبلت على النقص، ولن يكتمل فيها شـيء لمخلوق، وإذا كانت المرأة الصالحة من متعهـا وزينتها، فدون التزوُّد من تلك الأمنيـة عقبات الطريـق، وكم من بيوت تشـتَّتت بعد طول اجتماع! وكم من نفـوس تفرَّقت بعد ألفة ومحبة! الـزواج نعمة وفي

التعدد أرباح لكلا الطرفين، ولكنّه محفوف بأخطار، وهو باب من أبواب الشريعة الفسيحة وكثرة خياراتها، وحسب المؤمن أن يدرك هذا المعنى ويتقي الله تعالى، ويجتهد في الإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولا يلام بعد اجتهاد ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الأمة التي يراد لها الريادة يجب أن يتربَّى أفرادها على إقامة العدل في كل تعاملاتهم دون فرق بين تعامل أو آخر، أو بين صديق وعدو، أو قريب وبعيد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ إنَّ الأفراد القادرين على إقامة فريضة العدل بين الناس دون محاباة لقريب أو صديق هم الأفراد القادرون على تكوين اللبنات الصالحة لتكوين المجتمعات في مستقبل الأيام، وإذا قرأت الآية بإمعانٍ أمكنك قياس مستوى إيمانك كفرد وأنت تقيم حكم الله تعالى فيمن هو أمامك بغضّ النظر عن قربه أو بعده عنك.

• **وعلَّمتني**: أنَّ للإيمـــان آثاراً على أصحابه، وقــلَّ أن تجد مؤمناً صادقاً جادّاً في الطريق في مجلس يكفر فيه بآيات الله تعالى أو يستهزأ بها في تلك المساحات ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ من آثار الإيمان على صاحبه أنَّ بينه وبين المنكرات أمداً طويلاً من الهجر، وأدنى شيء من تلك المخالفات تخدش قلبه وتؤثر فيه. وأقبح صور الجبن والذل أن تكون في مجلس يلاك فيه دين الله تعالى، ويستهزأ به وتكون ضمن تلك الجماهير الراضية بالمنكرات الساكتة عن أحداث الفوضى فيه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الخـــداع والكـــذب والتلـوُّن مـــن أعظم صفات المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ وهذه صفاتهم من فجـر التاريخ إلى يومك، والمنافقـــون أخطر أعداء دينك على الإطلاق، وقد تولَّى الوحي فضحهم وكشـــف أســـرارهم، وتعرية أساليبهم، فاستوثق من الوحي واعرف خطر عدوك، وخذ عدتك الكافية لمواجهته في مستقبل الأيام.

سورة المائدة

• **علَّمتني سورة المائدة:** جمال هذه الشريعة وأناقتها ونظامها الذي يحكم الحياة، ويجعلها تسير منضبطة في كل شيء. إنَّ هذا الدين ينظم حياة الإنسان ويضبطها سواء في التعامل مع نفسه، أو مع ربه تبارك وتعالى، أو مع من حوله، وينشئ نظاماً محكماً يأمره فيه بالوفاء بالعقود التي أبرمها، ويشدِّد عليه في التخلف عنها؛ فالحياة أجلُّ من أن تكون عبثاً وفوضى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ وإذا أردت أن تعرف قدر التفريط في هذا المعنى الكبير، فاقرأ العقوبات التي حلَّت بتلك الأمم التي خالفت هذا المعنى الكبير، ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾.

• **وعلَّمتني:** أنَّ إجلال شعائر الله تعالى من أعظم معالم الإيمان في حياة صاحبه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن

تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ وما حاجة المسلمين اليوم إلى شيء حاجتهم إلى إجلال وتقديس وتعظيم ما يقومون به من عبادات. وثمة فرق كبير بين متعبّد يقوم بعبادة، وآخر تقوم في مشاعره وقلبه وروحه ألف مرة قبل أن يأتي إليها بجسده، ويهب لها من وقته.

• **وعلّمتني**: أنَّ الشريعة تربي المؤمن على الانضباط والالتزام والجدية في الوفاء بالعهود والمواثيق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ فليست الأمور فوضى، تخضع لإرادات الإنسان وشهواته، وإنَّما نظام يكفل حقوق الآخرين، ويربي الإنسان على الجادة، وعدم التخلف عن الطريق.

• **وعلّمتني**: أنَّ دور الإنسان الحضاري توسيع دوائر الخير وتضييق دوائر الشر في كل مساحة يعيش فيها ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾.

• **وعلّمتني**: أنَّ كمال دين الله تعالى أعظم نعم الله تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ ولو

ألقت هذه الآية بظلالها على قلب صالح للحياة لبكى من فرط فرحه بذلك، وما تصنع أفــراح الدنيا كلها مقابل تمام هــذه النعمة! ومن أطلق بصره في مشاهد العالم من حوله أدرك أثر ذلك في حياته ألف مرة! من مشــاهد هذه النعمة أنّها تقدم لك تصــوراً متكاملاً للحياة ســواء ما يخصُّ الأفكار والمفاهيم والتصوُّرات، أو ما يخصُّ علاقة الإنســان بربه تعالى، أو ما يتعلق بعلاقة الإنســان بنفسه وبغيره من العالمين، ولا تُبقي له أي ســؤال يحتاج إلى جواب في شــيء من جوانب الحياة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ العدل أصل في شريعة الله تعالى، وأنك ملزم به في التعامل مع كل من اختلفت معه، ســواء كان عدواً أو صديقاً لا فرق! ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ وليس في الأرض كلها نظام يضمن حقوق الأعداء المناوئين للدين فضــلاً على أن يكفل حقوق المســلمين مع بعضهم البعض كما يكفلها الإسلام! ومن قرأ هذا الدين بوعي، وتجرَّد حين تلك القراءة من الأهواء لم يسعه إلا أن يُعلن إسلامه، ولو كان من أشد أعدائه وأعظم خصومه على الإطلاق.

• **وعلَّمتني**: أنَّ القرآن أعظم المباهج وأدهش الطرق لنعيم الدارين ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ وما بالك بنور، والذي يهدي به الله تعالى! غير أن هذا النور وتلك الهداية وقف على الممتثلين لشرعه تعالى المقبلين على مباهجه، والراغبين في تحقيق تلك الأماني، وما كل ذائق لذة هذا المعنى الكبير، ولا وارد إلى ذلك النعيم ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الحياة فرع عن العمل، ومشاهد النعيم أثر عن الجدية في حياة صاحبها ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾، وقد جعل الله تعالى الهداية وقفاً على الاتباع! وإذا أردت أن تعرف أثر ذلك فانظر كيف أن الله تعالى جازى هؤلاء المتبعين بأن هداهم لسبل السلام، سلامة الأفكار والمفاهيم والتصوُّرات، وسلامة المعتقد والمنهج، وسلامة الفرد والجماعة، وسلامة البيت والأسرة ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

• **وعلّمتني**: أنّ فساد التصوُّرات أخطر ما على صاحبها! ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ لقد بلغ فساد التصوُّرات باليهود والنصارى أن جعلوا من أنفسهم أبناء الله تعالى وأحباءه، وبنوا على ذلك أنَّه لن يعذبهم في شيء، وإذا أخذت الأوهام حقَّها من فكر صاحبها ألقت به في الهوامش إلى أقصى مدى. ولذلك من فقه الإنسان أن يحاكم كل فكرة ومفهوم وتصوُّر على نصّ الوحي، فإن جاء في فلكه وإلَّا ألقى به في عرض الطريق.

• **وعلّمتني**: أنّ معارضة الوحي، ومخالفة الرسل أخلاق اليهود من فجر التاريخ إلى يومنا هذا، والقرآن طافح بهذا المعنى بدءاً من قصة البقرة، ومروراً بعدم دخولهم الأرض المقدسة ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾

وتقديس الوحي والاستسلام له والصدور في كل شيء عنه هو أدب المؤمن مع ربه تعالى في كل حين. تخيَّل أمة تماكس في الوحي، وتأبى الرضا، وترفض الاستجابة، وتصر على العناد، وهذا أسوأ طرق الضلال كلها وأكثرها سبباً في نهايات السوء. ومن عرف صفات القوم أجلَّ وحي الله تعالى، وأقبل مستجيباً له، ولو كان في عقله ألف سؤال.

• **وعلَّمتني**: أنَّ التبرؤ من الحول والطول هو أدب المؤمن مع ربه تبارك وتعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِيۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ لقد بذل موسى عليه السلام كل شيء، واستنفد كل قدرة، ودفع كل ممكن، وكانت النهاية التي يؤملها ويسعى إليها ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ وأنت كذلك أيّاً كنت؛ أباً أو داعيةً أو معلماً للخير، حسبك بذل جهدك، واستفراغ وسعك، وسعيك بكل ممكن، واعلم في النهاية أنَّ الله تعالى هو الهادي إلى صراطه، ودورك العمل فحسب.

• **وعلَّمتني**: أنَّ عاقبة الاستعلاء على الوحي مكلفة إلى أقصى مدى! ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ كانوا على الأبواب، وأوشكوا على النهايات،

وآن موعد الوصول، ولكن الاستكبار على الوحي مكلف إلى حدٍّ يفوق تصوُّر الإنســان. حرَّم الله تعالى عليهم أرضه المقدســة وكانت المدَّة أربعين عاماً، يتهيون في الصحراء، ويضيعون في جنباتها، ولا يتمكَّنون من دخولها، وقد كانوا على الأبواب! يا لشناعة الإباء والاستكتبار!.

• **وعلَّمتني**: حرص الإســلام على إحياء النفوس وبعثها من جديد ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ للدرجــة التي جعل قتل نفس واحــدة كقتل العالمين، وإحياء نفس واحدة كإحياء العالميــن، ودعوة الناس إلى الخير، وبعث قلوبهــم لدين الله تعالــى، وإخراجهم من الظلام للنــور هو أعظم هذه المعاني على الإطلاق.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإسلام يكفل حياة الإنســان، ويجعله يعيش آمناً مطمئناً، ويســلم من خلال نُظمه وشــرائعه من الفوضى التي يمارسها بعض أفراد المجتمعات ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ فاليــد النشــاز التــي اعتــدت وسرقت، وحاولت أن تقوّض أمن المســروق، وتروّعه في ذهاب ماله حقُّها أن تقطع، وتذهب سدىً لا قيمة لها؛ لأنَّها يدٌ تبعثر الأمن، وتُنشئ

الفوضى، وتكون عضواً وسهماً في الإفساد. ومن تأمل هذا النظام أدرك ما أبقاه من مشاهد مدهشة من الأمن والطمأنينة في مجتمعات الإسلام، وحين قال المعرّي:

يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار
تناقض ما لنا إلا السكوت له ... ونستعيذ بمولانا من النار

ردَّ عليه عبد الوهاب المالكي:

يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار
عزُّ الأمانة أغلاها، وأرخصَها ... ذلُّ الخيانةِ فافهم حكمة الباري

• **وعلَّمتني**: أنَّ الانحراف عن الحق ضلالٌ ومفضٍ بصاحبه إلى الفتنة والضياع ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ وإذا كان هذا التحذير للنبي ﷺ وهو من هو في مقامه، فما بالك بغيره من العالمين! كم من قضية رأى فيها الإنسان سعة، وقدَّر فيها مصلحة، وخالف فيها شرع الله تعالى فأفضت به للخذلان وهو لا يشعر. وأضر ما على الإنسان تقدير مصالح مخالفة للوحي ومعارضة لمنهج الله تعالى.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل حكم يخالف الوحي فهو جاهلية، ومصالح وهمية، وهو الباب الأوسع للضياع والخذلان ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ سواء كان هذا على مستوى الفرد أو الجماعة لا فرق! فهو أحد شيئين: إما حكم الإسلام بشموليته ورحمته ومصالحه الكبرى في النهايات، وإما الجاهلية بمصالحها الوهمية، وتقديراتها الفاسدة، ونظرها القاصر عن إدراك حقائق الأشياء.

فرقٌ كبيرٌ جدّاً بين حكم الله تعالى وحكم الجاهلية! فرق بين تطبيق شريعة الله تعالى في الأرض وبين إعادة الجاهلية من جديد، وبين الرضا بالله تعالى ربّاً وإلٰهاً ومدبراً وحاكماً، وبين الرضا بالجاهلية بكل تصوراتها وأثقالها.

• **وعلَّمتني**: أنَّ بناء المفاهيم الكبرى، وتأسيس التصوُّرات الضخمة في نفوس المؤمنين أعظم ما عني به القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١﴾ مفهوم كبير يبيِّن لك أنَّ اليهود والنصارى أعداء دينك ومنهجك اليوم وإلى أن تقوم الساعة لا فرق، وليس من أدبك تولِّيهم في شيء، مهما كانت المصالح المتوهمة لديك تلك اللحظة، وكم من تصور كان أعود ما يكون على صاحبه بالخسران!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ المتخلِّف عن نصرة الحق إنَّما يصنع الخسران لنفسه فحسب، ودين الله تعالى أعظم من أن يتوقف لأشخاص، وقد رحل الأنبياء وودَّعوا الأرض، وظنَّ من ظنَّ بأنَّ الحياة توقفت، وفاتَهُمْ أنَّ الدين لا يستمد قوته من الرجال، وإن كانوا سبباً مهمّاً في بلوغ رسالته لآمالها الكبار، وإنَّما يستمد قوته من وضوح منهجه وصلاحيته للعالمين ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ إنَّ وجود الإنسان في مشروع هذا الدين العظيم اصطفاءٌ ومنحةٌ وتوفيقٌ له من ربه تعالى ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ فإذا أراد ألَّا يبقى ضمن هذه الفئة التي اختارها الله تعالى للنهوض بدينه، والقيام بشريعته في الأرض فهو ونفسه، والله تعالى غنيٌّ عنه، ومنهجه تعالى أكبر من أن يتسوَّل مدبراً من أمثاله.

• **وعلَّمتني**: أنَّ ثمة مواصفات للفئة المؤمنة التي يختارها الله تعالى للنهوض بدينه، والقيام برسالته، ومدِّ مساحة شريعته في العالمين ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ من تلك الصفات أنَّ قلوبهم انعقدت على محبة الله تعالى وإجلاله وتقديسه، فهو عندهم كل شيء، والتضحيات فرع عن هذا المعنى الكبير، وقلَّ

من يضحّي وهو غير محبّ! وفي المقابل أشدَّاء على الكفر والكافرين، ويجاهدون في سبيل الله تعالى مستجيبين له في كل شيء، ولا يخافون في الله تعالى أحداً من العالمين؛ لشعورهم أنَّهم في معية الله تعالى فحسب!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ أعظم الفتن التي تصيب الإنسان فتنة الاستكبار عن الحق والاستعلاء على المنهج، ورفضه أن يكون دين الله تعالى حاكماً في الحياة العامة والخاصة ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾ لقد ظنَّ اليهود أنَّ نقضهم للعهود، وتكذيبهم للوحي، وقتلهم للأنبياء لا يصنع لهم شيئاً، فإذا به يصيبهم بأعظم الرزايا، ولو لم يكن من ذلك إلَّا أنَّ الله تعالى أعماهم عن رؤية الحق، وأصمَّهم عن طريقه، وأسبل عليهم حجب الحرمان وسوء التوفيق في النهايات لكان في ذلك ألف درس! وكم من متخلف عن الوحي سيأتي في ذات الخواتيم.

• **وعلَّمتني**: أنَّ خذلان العبد يأتي من معصية الله تعالى، وترك شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي مؤذنة بحلول لعنة الله تعالى على صاحبها، نعوذ بالله من الخذلان ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ

﴿... يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ لقد حلَّت اللعنة على بني إسرائيل لتمرُّدهم على منهج الله تعالى، وعصيانهم لرسله، والاستعلاء على منهجه، فكانت أسوأ النهايات، وكم من داعٍ متضرِّعٍ لربه تبارك وتعالى في كل لحظة، ومتحرٍّ لأوقات الإجابة، وملحٍّ على ربِّه تعالى ولا يجاب؛ لتخلُّفه عن هذه الشعيرة، وفي الترمذي من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه - وحسَّنه شعيب الأرناؤوط - قال ﷺ: «**لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر، أو ليضربنَّ الله قلوب بعضكم ببعض، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**». نسأل الله تعالى العافية والسلامة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ اليهود ألدُّ أعداء الإسلام ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ وإذا قرأت التاريخ بوعي من فجر الرسالة إلى يومك هذا، فستجد بأنَّ يهود هم فتيل الإفساد والفوضى، والنزاغ والخلاف، والمشكلات التي تواجه الإسلام، وسيبقون كذلك ما بقيت الحياة، فلا تفرح منهم بشيء، وهذه الحقيقة أصل في كتاب الله تعالى.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الابتلاءات تكشف إيمان صاحبها، وتضعه وجهاً لوجه مع الحقائق الكبرى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ

تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ فرق كبير بين إنسان في بيته، وآخر في سفر وغربة، وآخر في فندق خلوة، وثالث يملك عدة حسابات في وسائل التواصل الاجتماعي، ورابع يملك موارد من الجمال الخلْقي أو الخُلقي أو العلمي مقارنة بغيره، وقد يكون ابتلاؤك بوظيفة يتهيأ لك فيها كل شيء، وتتفاوت الفتن بحسب صاحبها وإيمانه، وكم من قِيَمٍ ذهبت أدراج الرياح في مثل زمانك، فكن فطناً، واحذر أن تذهب مباهج إيمانك في فتن زمانك، فتخسر كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ ثمة فرقاً كبيراً جدًاً ومسافة طويلة غير قابلة للاختصار بين الخبيث والطيب، لا تستوي الفكرة المعارضة لمنهج الله تعالى، ولو كانت حظوظها الدنيا كلَّها، في مقابل فكرة يستثمر فيها الإنسان جهده وفكره ووقته في سبيل الله تعالى، لا يستوي مشروع يخوض رحابه إنسان، ويبذل فيه كل شيء، وهو في النهاية إلى دار البوار، ومشروع يدفع فيه الإنسان كل شيء من أجل دينه ومنهجه، لا يستوي مال فائض وكثير، ولكنَّه من آثار الربا والحرام والخداع والغش، ومال قليل بسيط، ولكنه من كسب طيب، لا تستوي مسؤولية ووظيفة ومهمة كبيرة المكان عظيمة الشأن، يعارض فيها الإنسان منهج الله تعالى، ووظيفة أخرى ضعيفة وبسيطة، ولكنَّها تجري في مدارج رضا رب العالمين. وكذلك لا يستوي حق وباطل، وموقف عزٍّ وشرفٍ

وموقف ذلٍّ وجبن، وحياة قامت لله تعالى في كل شـــيء، وحياة قامت على الفوضى والشـــتات ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠٠﴾.

سورة الأنعام

• **علَّمتني سورة الأنعام**: أنَّ الإعراض عن منهج الله تعالى من أعظم الأمراض التي يصاب بها الإنسان في حياته ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥﴾ مع كل صور هذا الكون المدهش الذي خلقه الله تعالى، ويستوقف الإنسان في عرض الطريق، مازال الإعراض ضارباً بأطنابه على قلوب هؤلاء، ويكذبون بوحي الله تعالى، ولا يؤمنون بشيء. وإذا رأيت من قلبك عدم إجلال لهذه المشاهد، ولا تُقبل به إلى ربك تبارك وتعالى، فتدارك نفسك قبل الفوات.

• **وعلَّمتني**: أنَّ مشكلة كثيرين ليست في عدم وضوح الحجج، أو وصول الحق إليهم، أو كفاية الأدلة التي تقنعهم به، مشكلتهم الكبرى أنهم لا يريدون الحق منهجاً للحياة ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ لو أنَّ الله تعالى أنزل هذا الوحي عليهم في ورقة ملموسة محسوسة، ولمسوها بأيديهم وتأكدوا

منها لم يكن بوسعهم إلَّا أن يقولوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾! وإذا ماتت القلوب فلا مفروح بشيء بعد ذلك.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الذنــوب أقصر الطرق إلى ضياع الإنســان، وفوات البركة من عمره، وذهاب خيراته، وهلاكه في الدارين ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ وما أكثر عدوان المعاصي على النعم! وما أسوأ ما تصنع فيها! وكم من إنسان أجرى الله تعالى عليه خيرات من مال وراحة بال، وطمأنينة نفس، واستقرار بيت، وذرية صالحة، ثم لم يرع حق الله تعالى، وتنكَّب الطريق، ضاعت منه في ضحى نهار، وباتت أثراً بعد عين، والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الاستهزاء بالمصلحين سنة جارية من فجر التاريخ إلى يومك هذا وستظل، ولم يسلم منها الرسل أجلُّ خلق الله تعالى فضلاً عن غيرهم ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ١٠﴾ فلا تحسن الظنَّ كثيراً بمن حولك، واعزم طريقك، وكن مرابطاً على فكرتك ومشروعك، ولا تتنازل مهما كان ما يثار في الطريق؛ فالحياة أجلُّ من أن تقف، وســنن الله تعالى تخبرك بحكايا التاريخ التي لا تتخلَّف، واعلم في المقابل أن كل أولئـك المعارضين في النهاية إلى الضياع ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ حقائق التاريخ أوضح ما تكون، وإذا أردت أن تتعرَّف على حال الهالكين وأسباب ذلك الهلاك، مدَّ بصرك إلى مواضع كثيرة من الوحي، وسترى مصارع القوم، وقصص هلاكهم، وبعض القوم مازالت ديارهم شاهدة على سوء الخواتيم ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ تقديس الله تعالى وتعظيمه في قلبك ومشاعرك، وتذكُّر اليوم الآخر واليقين به واقٍ لك من كثير من الانحرافات ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ ومن عرف الله تعالى حقَّ المعرفة قام له بكل شيء، وما وقع الضياع في حياة بعضنا إلَّا من فوات هذا المعنى الكبير! فدونك هذا المعين وستجد كل شيء.

• **وعلَّمتني**: ضخامة درس العقيدة وأثره في تأهيل النفوس ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ البلاء الذي يواجه نفسك، والمشكلات التي تَدْهَمُ قلبك، والوعثاء التي تأخذ حظَّها في مشاعرك أصلها من ربك تعالى، ولا كاشف لها إلا هو! فأقبل على ربِّك، واهرع إلى الأسباب الشرعية قدر وسعك، وفي كل هذا لا يبرح قلبك التعلق بربك تعالى، فهو الذي مسَّك بالضر، وهو الذي يقدر على كشف بلوائه. ومن فقهك أن تتقلَّب بين عبادة اليقين

والرضا والصبر على ما أصابك، ثم تزدلف بين يديه منيباً متضرعاً سائلاً ملحّاً بأن يعينك ويفكك من البلوى، وغداً تشرق شمس ربيعك، وتجري الحياة في واقعك إلى أقصى مدى.

• **وعلَّمتني**: أنَّ بناء العقائد في النفوس أعظم حاجات العالمين على الإطلاق، ماذا لو عرف كل إنسان هذه الحقيقة الكبرى ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨﴾ ماذا لو علم أن ربه تعالى يدير كل شيء، وما من شيء يقع إلَّا بعلمه وقدرته وحكمته، لا يتخلَّف من ذلك شيء! غالبٌ تعالى على عباده في كل شيء، وهم عبيدٌ ضعفاء لا يصنعون شيئاً إلا بأمره، فما قضي في السماء نزل للأرض، وما جرى في اللوح المحفوظ أخذ حظه من الحياة، وما لم يجر هناك فلو دفع العالم كل ما يملك أن يصنع مثقال ذرة من ذلك لما صنع شيئاً، وكل هذا القهر والقوة بحكمة وخبرة ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ أشدَّ اللحظات حسرةً وأمرَّها على قلب إنسان تلك التي تجري عند الموت أو في ساحات القيامة، وقد فات كل شيء ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٧﴾ كان لدى هؤلاء ألف خيار ألا تجري مثل هذه اللحظات في حياتهم، ولكنَّهم أصرُّوا على الخذلان، فكانت تلك النهايات. وما أكثر ما تجري

هذه الصور في حياتنا! كم هي المرّات التي نتأخر فيها في قرار التوبة ونسـوّف فيه، ونماطل حتى تصدمنا أحداث الموت، ويفوت علينا كل شيء! كم هي المرات التي كنا ندرك أنّ أصدقاءنا يدفعون بنا للضلال ومشاهد الحرمان، وبقينا على صحبتهم رغم كل ما نراه منهم! كم هي المرات التي نعترف فيها أننا نمارس عادات سيئة؛ كالتأخر المتكرر عن الصلاة، أو التخلُّف عن مشاهد فضيلة، أو ممارسة عادات لا ترضي الله تعالـى، ونَعِدُ أنفسـنا بالتغييـر للأفضـل، ومازلنا نـراوح في تلك المساحات! ومن قرأ قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ أدرك نفسه قبل الفوات.

• **وعلّمتني**: أنّ قيمـة الحيـاة الدنيا فـي العمل والجـد والبذل والتضحية والبناء ليس إلّا، ومـا عدا ذلك فضياع ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ كلها مجرد لعب ولهو فحسـب! ولو أنّك نظرت فقط لمتع البارحة من عمرك، وليلتك الممتعة قبل أسـبوع، وسهرتك المدهشـة في نهاية الشهر لما وجدت منها شـيئاً صالحاً للحياة لحظتك هذه، فضلاً عن ما بقي من عمرك، وصـدق الله تعالـى ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ومثلـك أوعى أن تذهب سـاعات يومك وليلتك في مسـاحات لهو ولعب، وقد خلقت للجد، وتنتظرك أيام هول وسؤال وحساب وعقاب.

• **وعلَّمتني**: أنَّ طريق المجد والنهضة غير سالك، ومليء بالأشواك والعقبات، وسيظل هكذا ما بقيت الحياة ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ وهذا هو التاريخ شاهد عيان، لست يا محمد وحدك الذي لقيت العناء، بل كل رسل الله تعالى عاشوا تكذيب القوم وتمردهم، ولكنَّهم لاذوا بأعظم صفات الناجحين على الإطلاق ﴿ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ ﴾ ومازالوا متمسّكين بعرى هذا الدين لم ينفكوا عنه البتة حتى لقوا الله تعالى. وذكّر نفسك وأنت في الطريق بسنن الله تعالى التي لا تقبل التبديل ﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ وستصل بإذن الله تعالى مغموراً بالأفراح.

• **وعلَّمتني**: أنَّ العمل لله تعالى، والجهاد في سبيله، والعيش لدينه ومنهجه أمتع وأجمل اللحظات في عمرك وتاريخك ومستقبلك، هذا ربك تعالى يسلّي نبيه ﷺ أنَّه يرى مشاهد التعب والعناء التي يواجهها في مشروعه ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ويسلّيه بذكر السالكين في الطريق، والمجتهدين في ذات الغايات ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ فرق كبير بين إنسان يجهد

ويتعب ويتعنّى، وفي غير طريق، وإنسـان تجـري كل جهوده في الطريق الصحيح!.

• **وعلّمتني**: أنَّ الجـوارح لا تهدي صاحبها للحيـاة ما لم يمنَّ الله تعالى عليه بهداية وتوفيق ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ وكم من إنسان يسمع ويرى كل شـيء، ولكن لم تهده إلى ما ينفعه في الدارين! وكم من أعمى وأصم وأبكـم في الطريق إلى الله تعالى منذ عرف الدنيا! لا تغتر بجوارحك ما لم يصحبها هداية وتوفيق. وما حاجة الإنسان إلى شيء حاجته إلى سؤال الله تعالى الدائم أن يُقبل بقلبه إليه تعالى، ويجري به في فلك السعداء المنتفعين في الدارين.

• **وعلّمتني**: عظم ملك الله تعالى وقدرته في الكون ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ فـكل هـذا العالم الذي تـراه مـن دواب وطيور وحيوانات وحشـرات خلق من خلق الله تعالى يدبـر الله تعالى أمرها، ويدير شـأنها ويتكفل برزقها، ويفعل الله تعالى فيهـا ولها ما يريد، إنَّه على كل شيء قدير. ومن عرف الله تعالى عظَّم أمره وأجلَّ شأنه وقام له بحقه، والله المستعان!.

• **وعلّمتني**: أنَّ ما يحل بالأمم من مصائب وأزمات ونكبات رسالة وذكرى للإصلاح في مستقبل الأيام ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ وإذا قرأت ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ بوعي أدركت أنَّ ما أصابك هو بداية مستقبلك، وأول خطوات الطريق إلى فأل الأيام، فكن من تلك الأقدار التي حلت بك على بيّنة، واستعد لها وكن أول الرابحين منها، فإنَّ ذلك من توفيق الله تعالى لك في الدارين. سل نفسك ما خبر قلبك في تلك الأزمة، ما خبر فقرك وذُلّك بين يديه تعالى! ما أثر تلك الأزمة على فألك وأملك! ما الجديد في حياتك! ما المكاسب التي تحقّقت لك في ظروف ما حلّ بك! فرق بين إنسان يشكو زمانه، ويبكي واقعه ويتأسف على فوات حظوظه، وآخر استثمر كل ممكن، وبدأ رحلته من جديد.

• **وعلّمتني**: أنَّ الإعراض عن الآيات وعدم الاستفادة منها وتوظيفها التوظيف الأمثل علامة شؤم وفوات توفيق ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ كحال هؤلاء الذين قست قلوبهم، فابتلوا بالإعراض عن الآيات والأزمات والفتن والمحن، التي تصيبهم للدرجة التي لا تردُهم إلى الله تعالى، ولا تصنع فيهم جديداً. وما أشبه زماننا في بعض صوره بذلك الزمان، لا يكاد يدرك الناس أنَّ ما أصابهم من

الله تعالى، وقد يكون على سـالف من الذنب، وباكـر من الظلم، وإذا سمعوا مذكِّراً وناصحاً عدُّوا ذلك نوعاً من الاتهام، فنعوذ بالله تعالى من الخذلان.

• **وعلَّمتني**: أنْ أبواب النعيم التي تنالك، والعطايا التي تُفتح عليك، والخيرات التـي تدور في واقعك قد تكون اسـتدراجاً إن لـم تقم فيها بواجب الشكر والعرفان ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ وكل نعمة لا تلقى شكراً كافياً قد تكون من هذا الباب.

• **وعلَّمتني**: كمال علم الله تعالى، وما من شـيء يجري في الكون إلَّا بعلمه صغر أو كبر، دقَّ أو جلَّ، رطباً كان أو يابساً حتى الورقة التي تسقط في فلاة، يعلمها الله تعالى، ويجري عليها علمه وقدره وحكمته تعالى ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ وهذا المعنى موجبٌ لإجلاله تعالى وتعظيمه، والقيام بحقه في كل ما أمرك به تعالى، وموجب في المقابل للخوف والخشية والحياء منه تعالى في كل ما يخالف أمره، ويبعد بك عن الطريق إليه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإيمان يدعو للاستعلاء، ويصنع التميُّز الكبير أمام الباطل، ويرفض مشاركته في مساحة ما، مهما كان الواقع في تلك الظروف ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ وهذه الوصية لرسول الله ﷺ، ولغيره من باب أولى، والإسلام أجلُّ من أن يتلبَّس به إنسان، ثم يقعد بين ظهراني القوم في موقف المتفرج والخائف، الذي لا يستطيع أن يكتب حظ دينه الكبير في تلك المساحة التي يعيش فيها. إما أن تكون قادراً على التغيير، وإما أن تخرج وتترك ذلك المجلس إجلالاً للحق الذي معك.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإغارة على الأفكار والمفاهيم والتصوُّرات الجاهلية واجب، يقع على عواتق الناهضين والمصلحين في كل زمان ومكان، سواء كانوا آباءً وأمهاتٍ في بيوتهم، أو قدوات وأصحاب شأن في مجتمعاتهم وأمتهم، وكلٌّ بحسبه ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ فهذا إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام يكرُّ على أفكار الجاهلية بدءاً من والده أقرب الناس إليه، ونهايةً بمجتمعه وقومه، ويعيد بناء الحياة لهم من خلال المفاهيم والأفكار والتصوُّرات التي جاءت في الوحي.

• **وعلّمتني**: أنّ الدعوة مشروع كبير، ويستحق أن تصرف فيه الأوقات والأفكار والأموال، ولو لم يكن فيه إلا قول النبي ﷺ: «**فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُر النعم**». وإذا كانت كذلك فهي أحوج ما تكون إلى علم وفقه ووعي ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ لقد تفنّن إبراهيم عليه السلام في دعــوة قومه إلى التوحيد من خــلال الطريق العقلي، وقد علم أنّه أقرب الطرق إلى إقناعهم وإقامة الحجــة عليهم، وتدرّج بهم إلى النهايات التي أراد. وليســت الدعوة كلمــة ترتجلها محتســباً في موقفٍ ما، وتخرج بها في النهاية من تبعات دينك، كلا! وإنّما هي مشروع يحتاج إلى تأهيل ذاتك وبناء نفسك، ثم معرفة أنجع الأساليب في التأثير على من هم حولك حتى تحصل منها على الثمار التي تنتظرها بشوق.

• **وعلّمتني**: أنّ لهذا الدين قدوات كبرى، ولهذا الإسلام أعلام، وللطريق خارطة كبيرة، أعظم معالمها الأنبياء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾! وإذا أردت طريقاً صالحــاً للعبور، والمضي فيه بأمان فهــو طريق هــؤلاء، وإذا أردت منهجــاً صالحــاً للحياة فهو منهجهم، وإذا أردت فكرةً ومفهوماً، وتصوراً خالياً من الظلام، فهي

ما يأتي من تلك الكوكبة المضيئة في الإسلام فحسب، وهؤلاء هم القدوات في كل شيء.

• **وعلَّمتني**: المسؤولية الفردية بين يدي الله تعالى يوم القيامة ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ مهما كان موقعك ومسؤوليتك، وشهادتك العلمية، ومكانتك الاجتماعية، وأعوانك أو أتباعك في ساحات هذه الدنيا، ستأتي بين يدي الله تعالى ويوم الجزاء والحساب فرداً وحيداً، ليس معك أحد، وسيُجري الله تفاصيل حسابك على ضوء هذه الفردية، فدعك وصحبة السوء، وأعوان الباطل، وإياك أن تكون في دائرة أو مساحة أنت فيها وسيلة الشر وأداة الباطل، بحجة أنك تحت أمر فلان أو مسؤوليته، فكلها لن تغني عنك من الله تعالى شيئاً! فتنبَّه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الحق أبلج، والدين أوضح ما يكون، وأنت صاحب القرار الأول، وليس من عذر يكفي غداً للخروج من تبعات مسؤوليتك الشخصية بين يدي الله تعالى ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ ولن ينفع إنسان: (ليت، وما كنت أتوقع، ولو أنّي فعلت كذا لكان كذا)! فأنت الشخص

الوحيد الذي ستذوق آثار قرارك لذيذاً طيباً أو مرَّ المذاق، فدعك من بُنيّات الطريق، فليس دون الحقائق شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ دين الله تعالى مبنيٌّ على المصالح والمفاسد، وكلُّ صالحٍ في ظاهره أفضى إلى فساد، فهو منهيٌّ عنه في شريعة الله تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ فمصلحة سبِّ آلهة المشركين إذا كانت ستؤول في النهاية إلى سبِّ الله تعالى، فلا يجوز الاقتراب منها بحال، وهذا درس نافع لك في كل شأنك، لا تقدم على أمرٍ من أمورك الشخصية أو العملية إلا وقد درسته جيداً، وقارنت بين مصالحه ومفاسده، حتى لا تقع فيما يخالف منهج الله تعالى في قادم عمرك ومستقبل أيامك. وكم من مصلحة أفضت بك إلى حصول مفاسد كنت في غنى عنها، وليس جواز العمل وصحته وقف على صحة فعلك، وإنَّما متعلق كذلك بآثاره بعد فعله.

• **وعلَّمتني**: أنَّ المشكلة الكبرى في إعراض الإنسان عن ربه تبارك وتعالى ليس لعدم توافر الأدلة الكافية في إقناعه، وإنَّما لعدم صلاحية أدوات الاستقبال لديه ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ١١١﴾ حتى لو نزلت عليهم الملائكة وشاهدوهم وكلَّمهم الموتى وأخبروهم

بصدق الحق الذي جاءهم، ورأوا كل شـيء معاينةً لم يؤمنوا به. ولذا كان من فقه الوالد والداعية والمربي والمصلح العناية بدعوته ومشروعه وفكرته من خلال صدق نيته وأساليبه الدعوية التـي يبذلها، قبل أن يتشوَّف إلى شيء من النتائج العاجلة في فكرته ومشروعه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ حمـل رسـالة الدعوة والإصلاح مكلفة وشـاقَّة، وتحتاج إلـى صبرٍ طويـل ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ من السـنن الإلٰهية الثابتـة أنَّ لكلِّ نبيٍّ عدوًّا من شياطين الإنس والجن، وكذلك لكل مصلح وحامل راية حق لا فرق، هذه سـنة إلٰهية لا تتخلَّف، وثمة مناهضـون للحق يزخرفون الباطل ويجمِّلونه، ويسعون به جاهدين في تفريق كلمة الحق، وأن هذا الباطل سيجد آذاناً صاغيةً تسمع له وتحمل أحداثه، وتغير به على رسل الله تعالـى في العالميـن. وإذا كانت هذه هي السـنن، فلا تسـتغرب ما تجده في عـرض الطريق، ولا تتوقـع غير ذلـك، ولا تعلَّق قلبك ومشـاعرك بخلاف ما قرَّر الله تعالى وبيَّن في كتابـه الكريم. الحقيقة الكبرى ما دمت تحمل راية الحق، فستظل متَّهماً ومحارباً، ويُكاد لك في آناء الليل وأطراف النهار في أي زمان ومكان.

• **وعلّمتني**: أنَّ من سنن الله تعالى أن يبقى الباطل هو الأكثر عدداً ومساحةً ووجوداً على الأرض، وفي مقابل ذلك قلة أعداد المهتدين بالحق، والحاملين لراياته، والمنضوين تحت لوائه ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ وإذا كان الباطل أكثر عدداً ووجوداً، فإنَّ آثاره كذلك ستكون أكثر انتشاراً، وواجبك أن تقوم بدورك وتناضل من أجل دينك، والله قادر على أن يجعل دينه كل شيء، ولكنه يريد أن يرى جهادك واستعدادك للبذل والعطاء، ويريد في المقابل أن يرى صبرك، وطول أملك، وقدرتك على مواصلة الطريق، وتحمُّل أثقاله وأحماله، فلا تغرّك الكثرة في شيء، وليس دورك هداية العالمين، وإنَّما قيامك بواجبك ونضالك من أجل دينك ومنهجك في الحياة.

• **وعلّمتني**: أنَّ ثمة فرقاً بين الحق والباطل، والنور والظلام، والهداية والضلال، فرقاً أكبر من أن يصوِّره حرف كاتب في بضعة أسطر! الإيمان بالله تعالى ينشئ في القلب حياةً بعد الموت، ونوراً بعد الظلام، ولو أنّك قرأت هذه الآية بمشاعرك لأدركت بعضاً من ذلك المعنى الكبير ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ كان ضالاً عن الطريق، شارداً عن الهداية، بعيداً عن الحق، فكان ميتاً في الحقيقة ولو كان حيّاً في واقع الحال، كم من

عظيم في فكره، وضيع في دينه ومنهجه! وكم من بسيط في فكره، عظيم في دينه ومنهجه! حين كان ضالاً كان يرى الدنيا كل شيء، وحين دبَّت فيه الحياة بات يراها لا شيء، حين أقبل على دين الله تعالى تغيَّر تصوره عن الأشياء وميزانه لها، فتغيَّر لهذه المعاني كل شيء. لعلك رأيت من ذلك أشياءً مدهشة في أولئك الأحياء، وقد تغيَّرت مفاهيمهم وأهدافهم وأمنياتهم وكل شيء حتى باتوا شيئاً مختلفاً، وقد كانوا في تلك الحال من سقط المتاع.

• **وعلَّمتني**: أنَّ وجود الأعداء في كل مكان ومساحة سُنَّة إلٰهية ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ فلا تتوقع أن تجد أرضاً خاليةً من المناوئين في زمانك مهما كان ربيع أيامك ولياليك، هذه سنة الله تعالى، وهي دعوة لأن تحمل أثقال مشروعك وهمومك، وتقوم بمنهج الله تعالى، وتناضل من أجله حتى يحين موعد النصر الكبير، ولا يفتك وأنت تقوم بدورك أن تتربى على ذلك المعنى الكبير ﴿لِيَمْكُرُواْ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الهداية نعمة وتوفيق وهداية من الله تعالى، والضلال في المقابل ألم وحسرة وفرقة وضيق وشتات ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا

كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وكلاهما بعد توفيق الله تعالى وخذلانه من كسب يدك وعملك، ومن استقبل دين الله تعالى وجهد في مراضيه دلَّه الله تعالى على الطريق، ومن ضل وتنكَّب الطريق وأبى إلَّا العمى، فتح الله تعالى له أسباب سوء التوفيق والحرمان حتى يبلغ منتهاه، والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من سنن الله تعالى أنَّ الله يجعل للظالم أولياء من حوله يشاركونه هدفه، ويناصرونه باطله، ويدعمون فكرته ومنهجه، ويتكثَّر بهم في الضلال، حتى يظنَّ أنَّه على الطريق، وذلك بعض مكر الله تعالى بالظالمين ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ فلا تغرك الكثرة على موائد الظلام، فإنَّما هي سنة الله تعالى في تكثير سواد بعضهم البعض، ثم تحين عليهم ساعات غضب الله تعالى في النهايات.

• **وعلَّمتني**: بركة كتاب الله تعالى على قارئه ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ وما من مقبل على هذا الكتاب إلا واجد لحظوظه كما يشاء، البركة في تلاوته؛ فالحرف الواحد بحسنة، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، وفي الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ـ وجوَّده الألباني، وحسَّنه ابن باز ـ قال ﷺ:

«**من قرأ شيئاً من القرآن فله بكل حرف حسنة لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**»، وفي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال ﷺ: «**أيُّكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بُطحان أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم**»؟ فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك، قال: «**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل**»، وهو كذلك بركة على متدبره ومتأمله، فيهديه إلى أقوم الأحوال وأحسنها وأجملها ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] وهو بركة على بيت الرجل وأهله، ففي صحيح مسلم قال ﷺ: «**إنَّ الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**»، وهو شفاءٌ للمريض والمعتل، كما ورد في سورة الفاتحة، وأنَّها رقية نافعة من كثيرٍ من الأمراض، وهو بركة على كل مجلس يكون هو مائدته، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلَّا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**». وقد قال عباس الكناني عن شيخه أبي إسحاق المقدسي: أوصاني وقت سفري فقال: أكثر من قراءة القرآن ولا تتركه، فإنَّه يتيسر لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ، قال: فرأيت ذلك وجربته كثيراً، فكنت إذا قرأت كثيراً تيسر لي من سماع الحديث وكتابته الكثير، وإذا لم أقرأ لم يتيسر لي. ومن بركته أنَّه يأتي شفيعاً لأصحابه يوم القيامة؛ ففي صحيح مسلم،

قال ﷺ: «**اقرؤوا القرآن فإنَّه يأتي شـفيعاً لأصحابه يوم القيامة**». ومن أقبل عليه وجد كل شيء.

• **وعلَّمتني**: جمال دين الله تعالى، وسـعته ورحمته، وأنَّه لن يهلك على الله تعالى في النهاية إلَّا هالك ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ وفـي الصحيحيـن مـن حديث ابن عباس، قال ﷺ: «**إنَّ الله كتب الحسـنات والسيئات، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن عملها كتبها الله عشراً إلى سـبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، أو إلى ما شاء الله أن يضاعف، ومن هَمَّ بسـيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسـنة كاملة، فإن عملها كتبها الله سـيئة واحدة**»، وفي رواية: «**ومحاها الله، ولا يهلك على الله إلَّا هالك**». وإنَّ ديناً يجلُّ الحسـنة وفعل المعروف والخيـر، ويكافئ عليه أضعاف ذلك العمل، ويتفضـل ويتكرم على صاحب الخطيئة والسـيئة والمنكر، فلا يزيد عليه فعله، وإنَّما يكتبه كما هو، وهو قابل للغفران إن هو أقبل وأصلح ما بينه وبين الله تعالى ـ لهو الحياة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ وحدة الهدف والمنهج أعظم القضايا التي تعينك على جمع شملك وفكرك وقلبك ومشاعرك، وأسلم لك من الشتات والفوضـى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾

حين يصبح دين الله تعالى هو الحاكم على كل لحظة من حياتك تكون حينها أقرب الناس إلى الحياة الطيبة التي تنشدها، وأضر ما عليك ذلك الشتات الذي يبعثر قلبك ومشاعرك، ويجعلك مشتتاً في كل شيء.

سورة الأعراف

• **علَّمتني سورة الأعراف**: أنَّ كتـاب الله تعالى القرآن هو الدليل المرشـد للحيـاة ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ سـيعرض لكم المنهج واضحاً بيِّناً، وسـيغير على نظم الجاهلية كلِّها، وسيعيد بناء الإنسان كما أراد الله تعالى له أن يكون فـي الدنيـا، فلا يكن في صدرك حـرج منـه للمفاهيم التي يحملهـا، والأفكار التي يؤسِّـس لها، والتصـوُّرات التي يبنيها، وإن كانت معارضة للجاهلية التي تراها في واقعك، ولكنَّه في الطريق بك إلى الحياة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ سـنن الله تعالـى لا تتخلَّـف، ومـن أقبل على الضلال وتنكَّب طريق الحق أوشك أن تجري عليه السنن ذاتها يوماً من الدهـر ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ وهذه الحقيقة كما هي في القرى والمجتمعات هي كذلك في الأفراد لا فرق، ومن فقـه المؤمن وكمال وعيه أن يدرك الأسـباب الجالبـة للهـلاك فيتوقَّاها، والأسبـاب الدافعـة لسخط الله تعالى فيعملهـا، ولو

لم يكن من ذلك إلا بيان هذه الحقائق وكشف هذه السنن للعالمين لكان خطوة على الطريق.

• **وعلّمتني**: أنَّ النتائج يوم القيامة وقفٌ على الأعمال ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ۝٩﴾ وثقل الموازين وخفتها على حجم عملك إخلاصاً وصدقاً وعنايةً واهتماماً، وكلٌّ سيقف بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وينظر إلى ميزانه، فما بين رابحٍ وخاسرٍ! ومن عرف هذه الحقيقة جهد بكل ما يملك في الفوز، واستثمر كل ممكن للربح، وصنع كل شيء لذلك اليوم، ومن لم يوقظه هذا المعنى فما لجرح بميتٍ إيلام!.

• **وعلّمتني**: أنَّ عدوك الأكبر وغريمك الأعظم، وأول عقبات طريقك إلى تلك الأحلام التي ترومها إبليس ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝١١﴾ وقد رفض أن يسجد لأبيك آدم في معرض تكريمه في السماء، وسأل الله تعالى ملحّاً أن يُنظره إلى يوم القيامة ليجري المعركة معك، وأجابه الله تعالى إلى ذلك ﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝١٥﴾ وتوعّد بأن يجلس لك في عرض الطريق، ويبذل كل

ممكن لغوايتك ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ والحياة معركة، فلا تكن من الخاسرين في النهايات.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الوسوسة أعظم وسيلة يستخدمها الشيطان في غوايتك ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ عرض له عرضاً مدهشاً ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ ولم يكتف بذلك، وإنَّما حلف أيماناً مغلَّظة على صدق ما يقول ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ وقد عرف أن ابن آدم مجبول على حبِّ التملُّك وحبِّ البقاء، فجاء له من ذات الطريق، وأداته الكبرى الزينة، ويشكلها حسب رغباتك وشهواتك، وسيجري عليك من خلالها ذات النهايات إن لم تصلح ما بينك وبين ربك، وتسأله ملحّاً أن يصرفك عن طريقه، ويعيذك من خذلانه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ المعصية تكشف عورتك، وتفضحك، وتنزع سترك، ولا تبقي عليك من الكرامة شيئاً ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ مازال بهما حتى أكلا، وحين أكلا بدت عوراتهما، وشَرَعَا يضعان عليها من ورق الجنة، وقد

فات عليهما كل شـيء. وهذه مشـكلة المعصية وآثارها في حياة كل إنسان، تعرّيك من قيمك ومبادئك، وتكشـف عورتك وتفضحك في واقعك، وترمي بك فـي مواقف الذل، بعد أن كنت فـي مواقف العزّ بطاعة الله تعالى.

• **وعلّمتني**: أنَّ الاعتراف بالخطيئة، والندم على وقوعها، وحسـن الإقبال علـى الله تعالى بعد ذلك من أعظم الأدوية التي يسـتخرج بها كيرها من قلب إنسان ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ وأسوأ ما يواجه المذنب الاستهانة بذنبه، والاستخفاف به، والاستمرار فيه حتى يفسد قلبه، ويجري به في متاهات الخذلان.

• **وعلّمتني**: أنَّ لأقـدار الله تعالى حِكَماً عظيمـةً ومقاصد كبرى، فهذه المعصية التي وقع فيهـا أبونا آدم كانت سـبباً للنزول للأرض، والخلافة فيهـا، والقيام بمنهـج الله تعالى فـي العالمين ﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ فكن فطناً في كل ما يجريه الله تعالى عليك، واقرأ درس الحكم والمقاصد الكبرى، وتأهّل لفقه هذا المعنى ترضـى بأقدار الله تعالى، ويـزداد يقينك به، ويكتمل إيمانك في النهايات.

• **وعلّمتني**: أنَّ تأجير العقول من أكبر المشكلات التي تواجه وعي الإنسان، وتحرمه إعمال عقله، واستثماره في التفكير، والحكم من خلاله على الأشياء ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ ولو أنك تأمّلت في حال هؤلاء وهم يقعون في الشرك ويطوفون بالبيت عراة، ويعبدون الأصنام، ويفعلون كل منكر، ثم لا يزيدون على اعتذارهم بتأجير عقولهم للآباء والأجداد ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾! أدركت أن عقلك أعز ما تملك، فلا تملّكه الآخرين، ويفوتك أجلُّ ما فيك.

• **وعلّمتني**: أنَّ الأدب مع الله تعالى من كمال الإيمان ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ وإذا قمت إلى صلاتك، فتجمّل لها غاية وسعك، فإنك تقدم على ربِّ الأولين والآخرين ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ ولو أنك خرجت إلى لقاء مسؤول أو عزيز لبذلت جهدك في العناية بجسدك، وأقبلت عليه في أرقى صورك، فالله تعالى أجلُّ من أن تأتي إليه في مواطن العبادة بما تبتذله في بيتك وضيعتك.

• **وعلّمتني**: أنَّ القول على الله تعالى بلا علم، والفتيا بلا فقه من أعظم المحرّمات ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ

﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ وقد قرنها الله تعالى بالفواحش، والإثم، والبغي بغير الحق، والشرك بالله تعالى، وخطيئةٌ بهذا الشأن حقيق بالفرار من أحداثها، والخروج من تبعاتها قبل حلول آثارها يوماً من الدهر، وفي البخاري من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال ﷺ: «**من كذب عليَّ متعمِّداً، فليتبوَّأ مقعده من النار**». وما أكثر التهاون بهذا المعنى العظيم في زمانك! وما أقل ما ترعى حرماته! وقد تجد من لا يعالج جسده إلَّا لدى مختص ماهر، ويكفيه من يفتيه في مسألة كبرى من مسائل دينه في عرض الطريق.

• **وعلَّمتني**: أنَّ خصاماً سيثور في ساحات القيامة بين الأتباع والمتبوعين، بين الرؤساء والمرؤوسين، وكلٌّ منهم يلعن صاحبه ويتخلى عن رفيقه، ويضرب بالدجل عرض الحائط، وتزول الأوهام، ولا تبقى سوى الحقائق ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾ ومن قرأ هذه المواقف بوعي أدرك نفسه قبل الفوات، ونجا قبل الضياع.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الفوز والفلاح، والربح والخسارة وقف على الآخرة، وكل ما يجري في الدنيا من تلك المعاني إنَّما هو في الصورة والشكل فحسب، أما الحقائق الكبرى فهي في تلك الدار ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ ومن عرف هذا المعنى انشغل بالحقائق عن الأوهام، وبالغايات عن الوسائل.

• **وعلَّمتني**: أنَّ استقبال القلوب للمواعظ على قدر صلاحها وإيمانها ومعدنها، وطيبها وخبثها، فما كان صالحاً قَبِلَ الخير، وإلَّا فلا ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ وصلاح قلبك وفساده وقفٌ على الموارد التي تصل إليه، وبها يكون طيباً وفاسداً، قابلاً ومعرضاً، والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ ثمة معركة كبرى تدور بين الحق والباطل، بين رسل الله تعالى، وحُمَّال دينه ومنهجه، والداعين إليه، وبين أتباع

الباطل، وأصحاب الأهواء والشهوات. معركة بدأت من فجر الرسالة والنور والهداية التي يحملها رسل الله تعالى إلى يومك هذا، يثور فيها الباطل على الحق، والظلام على النور، والضلال على الهداية، وتبقى صراعاً حتى يأذن الله تعالى بالنهايات. معركة يُتَّهم فيها رسل الله، وتوجه لهم الشتائم والنقائص، وهم ممسكون في الوقت ذاته بدينهم ومنهجهم، ومستمرون في بلاغه مهما كانت عوائق الطريق. معركة تتعدد فيها صور الباطل ومواجهته للحق ورفضه له، والاستماتة في الطريق دونه، وهذه هي حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، فلا تنتظر ربيعاً في واقعك، ولا تتفاءل كثيراً بنصر أبقى للدوام، وحسبك أنك أجير عند الله تعالى فحسب ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾.

• **وعلَّمتني:** أنَّه لا فرق بين باطل الأمس وباطل اليوم، ولا فرق بين جاهلية الأمس في زمن الرسل، وجاهلية اليوم في زمن الدعاة والمصلحين، جاهلية الأمس تقول لرسول الله ﷺ وهو يحمل منهج الله تعالى والنور المبين: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ وجاهلية اليوم تقول: إرهابيٌ ضالٌ منحرف! لا فرق إلا في المسمَّيات فحسب! حين تستعلي الجاهلية في زمن ما تُسمِّي وتُصنِّف وتُوزِّع الألقاب كيف تشاء! هذا هو شأنها من فجر التاريخ مع نبي الله تعالى

ورسوله نوح ﷺ، ومارسـت ذات الدور مع رسـول هذه الأمة ﷺ، وستمارس ذات الأدوار مع حُمّال المنهج والعقيدة والرسالة.

• **وعلّمتني**: أنَّ أكره ما لدى الباطل بيئات العفاف والطهر والنظافة والجمال ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ أكبـر مشـكلة يراها الباطل عنـد أهل الحق وحُمّالـه أنّهم أنصـارٌ للفضيلـة، ومحبُّـون للطهر، ودعـاةٌ للعفاف، والجاهلية التي تلغ في الفساد، وتتقمص الفوضى، وتبتلُّ بالدنس ترى الحق يبعدها عن شـهواتها، ويصنع حاجزاً ضخماً بينها وبين الفوضى التي تمارسها فتحاربه، وتقف له في عرض الطريق، ولا ترضاه يساكنها في مساحةٍ ما.

• **وعلّمتني**: أنَّ الباطل محمَّل بالكبر والاستعلاء الوهمي، ومصرٌّ على كبره وفوضويته، ورافضٌ لكل الحقائق التي يراها في واقع الحياة ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ فلا تسـتغرب ولاء صاحـب الباطـل لفكرته ومنهجه وضلاله، وإصـراره على البقاء على ما هـو عليه، وإن طال زمان صراعك معه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ لله تعالى سنناً كونية لا تتغيَّر ولا تتبدَّل، سنناً يجري الله تعالى فيها الشـدَّة والبلاء، ويجري فيها النعمة والرخاء، يُقلِّبهم في النعيم تارة، وفي البـلاء تارةً أخرى، ويصنع هذا رحمـةً بهم، وعطفاً عليهم، وطريقاً لهدايتهم، لعلهم يرجعون إليه من جديد ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤﴾ لا يصنع ذلك عذاباً، وإنَّما رحمة وشـفقة ﴿لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾! لا ليعذبهم وإنَّما ليعيدهم لدائرة عبوديته وإجلاله وتعظيم شعائره، فإن فعلوا كانت تلك البأساء هي الحياة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الابتـلاء بالرخاء أضر ما على الإنسـان، وكم من بلاءٍ أحاط بإنسـان أو مجتمع أو أمـة فكان درس العبـرة منه أقرب ما يكون إلى النفوس وأوفـى، بخلاف بلاء الرخاء، فإنَّه أضر ما يكون على أهلـه ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩٥﴾ حين يجوع الإنسان يبحث عن مصدر رزق، وحين يجده يدلُّ الطريق إلى الله تعالى، حين يُحبس وتضيق عليه الدنيا بما فيها يبحث عن النور والحياة، فيدل الطريق إلى الله تعالى، وحين يضيع الأمن وتسـود الفوضى يعتريه الخوف، فيعود إلى الله تعالى، بخلاف ما إذا عمَّت العافية، وزاد النعيم وتحقَّق الأمن، وكثر العيش، وتحوَّلت الدنيا من حوله إلى رخاء، لم يعد يحتاج أحداً،

ولا يبصر إلا شهواته فحسب، ويظن بأنه أقدر على كل شيء، ولم يعد يقيم وزناً لشـــيء. وكم من نعمة ســلبتها الغفلــة! وضاعت في لجج النسيان ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ والله المستعان.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من سنن الله تعالى التي لا تتغيَّر ولا تتبدَّل، أنَّ من عرف قدر نعم الله تعالى عليه وحفظها بالشــكر كان ذلك أدوم للبقاء، ومن تنكَّر لذلك أو جرت في حياته الغفلة ذهب منه كل شيء ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ كم مــن طمأنينة قلــب، وراحة بال، وبركة مال ووقت، وصلاح ذرية، وســعادة بيت كانت تزدلف في حياة صاحبها، ولم يدرك أنَّها نعمــة فبدَّدتها الغفلة، وذهبــت بها في درك النسيان! ومن عرف قدر النعم صنع لها كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الأمن من مكر الله تعالى أسوأ ما يواجه الإنسان في حياته؛ لأنَّ ذلك مؤذن بالغفلة عن الله تعالى، والبعد عنه، والتنكر لدينه ومنهجه، وعدم شــكره ورعاية أمره ونهيه، ومؤذن فــي النهاية بزوال النعم وحلول ساعات العذاب ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ وكلَّما امتد النعيم

في مســاحة أرض، وكان مصدراً للبطــر والفوضــى كان ذلك موعداً لحلول العذاب والشقاء والحرمان، نعوذ بالله تعالى من الغفلة.

• **وعلّمتني**: أنَّ القلوب الحية تأخــذ العبرة من كل موقف عارض ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ كم مــن أمة مضت فــي التاريخ وجرت عليها ســنن الله تعالى، وآثارها مازالت باسطة في الأرض، وفيها ألف ذكرى وعبرة! ومن كان له قلبٌ حيٌ ألقى السمع وهو شهيد!.

• **وعلّمتني**: أنَّ حاشــية الإنسان، وصحبته الســيئة، ورفقة الحرمان، والكبراء الذين حوله أضر ما عليه، وأسوأ ما في حياته ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ يأتيهــم الحق أوضح ما يكون، ثــم يتمالؤون فيما بينهــم على أنه مجرد سحر، وقصده إخراجكم من أرضكم، وتضيع عليهم أكثر الفرص لنجاتهم وحياتهم، ويذهبون في غياهب الظنون والضياع.

• **وعلّمتني**: أنَّ متاع الحياة العاجل يُذهب بقيم الإنسان وعلمه ومهارته، ويجعله كلأً مباحاً للآخرين ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣﴾ وإن كان هذا المعنى في حق السحرة فما أكثر ما يجري اليوم في حياة طلاب علم، وأصحاب مهارات يبيعون تلك القيم والمنح التي أعطاهم الله تعالى بأرخص الأثمان، ويشترون بها عاجلاً من الدنيا، ويدفعون فيها قيمهم ومبادئهم دون أدنى حرج.

• **وعلّمتني**: أنَّ دين الله تعالى ومنهجه وأولياءه غالبون في النهايات ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ١١٧ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨﴾ وأنَّ الباطل إلى خسران وضياع ﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩﴾ ولن تفقه هذا المعنى حتى تعرف أنَّ فرعون جاء بكبار السحرة، وجهد ألا يقاوم الحق إلا بأساطين المعرفة ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ١١٢﴾ ودفع لهم كل شيء، ولكن الحق منصور في النهايات.

• **وعلّمتني**: أنَّ الهداية توفيق! جاء السحرة للباطل، وصنعوا كل ممكن لنصره وفوزه، وهزيمة الحق وخسارته، فما هي إلا لحظات وإذا هم من أهل الحق وأنصاره، ويدفعون في سبيله كل شيء ﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ

أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾.

• **وعلّمتني**: أنَّ الحقَّ يعيد بناء الإنسان وتأهيله، ويصنع قيمه ومبادئه، ويرتب تصوراته بصورة مدهشة، وفي أقل وقت ممكن ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ من طواغيت متكبّرة متجبّرة، وسحرة متغطرسة إلى مؤمنين طائعين مستعدين لتحمل أعباء الطريق وتكاليفه، ولو كلف ذلك قطع الرقاب.

• **وعلّمتني**: أنَّ الجماهير أضرُّ ما على الإنسان ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ وكم من جمهور صفّق لغير حق! ودعم في باطل! وصنع كل فوضى! ومازال بالقادة والزعماء والكبراء حتى أوردوهم سوء النهايات.

• **وعلَّمتني**: أنَّه ليس في الإسلام وعد بالتمكين أو النصر أو النجاة في عرض الدنيا، إنَّما هو الصبر فحسب، والموعد الجنان بإذن الله تعالى ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ الطريق مكلف ومجهد ومتعب، ولا يربي أصحابه على متاع الحياة العاجل، وإنَّما يرمي قلوبهم ومشاعرهم إلى هناك، إلى انتظار ذلك الأمل الكبير في النهايات.

• **وعلَّمتني**: عواقب الصبر والإيمان على أصحابه ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ فهؤلاء بنو إسرائيل يقفون على مشاهد العزِّ والتمكين والنصر المبين في النهايات، ترى فرعون بعد أن حكم وفَجَر وتجبَّر وطغى يذهب غريقاً في البحر، وينتهي الظلم والاستبداد، وتعود الأرض من جديد للفئة المستضعفة القليلة المضطهدة، وتحين مواعيد الفرح من جديد. وما حاجتنا إلى شيء حاجتنا للفأل والأمل.

• **وعلَّمتني**: أنَّ فساد التصوُّرات أخطر ما على الإنسان، والنفوس التي لا تعرف الله تعالى حقاً لا تبالِ ما تصنع في حقه من ضلال

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾ هؤلاء بنو إسرائيل، يفلق الله تعالى لهم البحر وينجّيهم من عدوّهم، ويهلكه بين أعينهم، ثم إذا هم أول ما تجاوزوا البحر طلبوا صنماً يعبدونه، وإلٰهاً آخر يتوجهون إليه.

• **وعلّمتني**: أنّ هذا الدين يحتاج إلى مؤهلين لحمله وقادرين على الالتزام به والقيام بتكاليفه، والنهوض بأحداثه ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٤٥﴾ وإن كان هذا الخطاب في أصله لموسى عليه السلام إلّا أنّه كذلك لكل نبي، وفي كل منهج جاء من عند الله تعالى، ومن لم يدرك هذا المعنى ويكون مستعداً لحمله والنهوض به في واقعه بقي بعيداً عن حقائقه ومعانيه. فرق بين من يأخذ دين الله تعالى كله جملة واحدة ويعرف له حقه، وبين من يأخذ منه شيئاً ويترك أشياء، ويظنُّ بأنّه لا فرق بين هذا المعنى وذاك.

• **وعلّمتني**: أنّ الكبر من أعظم الصوارف عن الحق! ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ

يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وخراب القلوب مؤذن بفسادها، وكم من موعظة حية وحديث يأخذ بالألباب، لا يجد رواجاً في القلوب لعدم قابليتها، والله المستعان! ومن فقهك إذا رأيت من نفسك إدباراً عن الحق، وعدم استفادة من مواعظه، أن تدرك قلبك وتنظر من أين وصل إليه العطب، وتتداركه قبل فواته بالكلية.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل مشروع لا يتغذَّى من روح صاحبه، ويجري في مشاعره، ويأخذ حظه من قلبه وفكره، فلا تنتظر منه شيئاً ممتعاً في قادم الأيام ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ حين عاد إلى قومه، فرأى عبادتهم للعجل بعد كل تلك الجهود التي قضاها في دعوتهم غضب وفقد وعيه على ضياع قضيته ومشروعه، ورمى بالألواح وفيها ذكر الله تعالى، وأخذ برأس أخيه لائماً وعاتباً على التفريط في مشروعه الكبير، وكذلك تصنع الأفكار والمشاريع.

• **وعلّمتني**: أنّ الابتلاء سنة إلٰهية في حياة الأمم والأفراد والجماعات، وكم من ساقط مخفق في ثناياه! وكم من مخذول في ساحاته بعد أن كان يرفل في النعيم! ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ منع الله تعالى اليهود من صيد السمك يوم السبت، وأباحه لهم فيما بقي من أيام، وأجرى عليهم البلاء بأن يأتي السمك يوم السبت قريباً من الشاطئ، ويختفي فيما بقي من أيام، فما كان منهم إلّا أنْ وقعوا في البلاء، ولم يصبروا عليه، ينصبون شباكهم يوم الجمعة ويأخذونها يوم الأحد، يحتالون على الله تعالى، فأجرى الله تعالى عليهم النكال والعذاب، وخواتيم السوء والحرمان.

• **وعلّمتني**: أنّ عواقب المنكر على أصحابه وخيمة وسيئة وقبيحة ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ وقعوا في المنكر وقضوا منه شهواتهم، وأفضوا من خلاله إلى غضب الله تعالى وسخطه، ولاقوا أسوأ أنواع العقوبات، وهل كنت تتصوّر أن يعود منكر من المنكرات على أصحابه بمثل هذه العواقب! من إنسان صاحب كرامة إلى قرد يعوي في الطرقات، وكذلك كل منكر في حياة أصحابه يخلّف مثل هذه الذكريات البئيسة، ويترك مثل هذه النتائج

الوخيمة، ولا يحسب صاحبه أنه خرج منه في تلك اللحظة معافى، فإن غباره قد تتأخر، ولكنها تثور في مستقبل الأيام، والله المستعان.

• **وعلّمتني**: فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنّه مشرف بأصحابه على الحياة! ترى هؤلاء الذين نصحوا وأنكروا، وقاموا بدورهم وواجبهم نجوا من الهلاك، وحصل لهم الأمن من العقوبة ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ وكم من قائم بهذه الفضيلة أصبح وأمسى يتقلب في رضا الله تعالى، وأمن من سخطه، ونجا من عذابه، ولم يُحرم من إجابة دعائه، وكان في النهاية من الفائزين.

• **وعلّمتني**: أنّ التمسك بكتاب الله تعالى، والحرص على المنهج، والإصرار على طريق الحق، وإقامة الصلاة خاصة في أزمان الفتن من أعظم أسباب الفلاح والزكاء والنجاح ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ وإذا قرأت النص بإمعان كأنّك ترى كل من حولك يتنازلون عن دينهم، ويتخلفون عن منهجهم، ويبدؤون رحلة التنازل عن كثير من المسلّمات لفوضى واقعهم، وأنت قابض على دينك ومنهجك، ورافض لما تراه من الفوضى في واقعك، وفي الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه

ـ وصححه الألباني ـ قال ﷺ: **«يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»**!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل إنسان مفطور على توحيد الله تعالى، وإقامة حقه من الربوبية والألوهية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: **«كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه ويمجِّسانه»**. وفي صحيح مسلم قال ﷺ: **«يقول الله تعالى: إنِّي خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرَّمت عليهم ما أحللت لهم»**. وهذا العلم كافٍ في الإقبال على الله تعالى، والتعرف عليه من أقرب الطرق، ومن صلحت نيته عرف الطريق بأيسر الوسائل وأقربها إليها.

• **وعلَّمتني**: أنَّ نعم الله تعالى على إنسان ليست دليل حبٍّ، وإنَّما ابتلاء واختبار ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ ومن عرف هذه الحقيقة جهد ألَّا يكون من المخفقين في اختبارات النعم ومشاهد المنن عليه يوماً من الدهر! كم من نعمة في حياة إنسان لا يدرك أنَّها من مواطن البلاء، فتفوت عليه مباهج شكرها، وتضيع منه في النهايات.

• **وعلَّمتني**: أنَّ نعم الله تعالى تحتاج إلى صدق استقبال، وحسن رعاية، وكمال شكر وعرفان، ومن لم يصنع ذلك ذهبت منه أدراج الرياح، والله المستعان! ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٧٦﴾ لقد آتاه الله تعالى العلم، ووهب له من فضله، وألبسه من كرامته، وكساه من علمه، فترك كل ذلك وانسلخ منه، فذهبت وخلَّفت الحرمان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ استقرار النعم في حياتك مرهون بشكرها والقيام بحقها ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝١٧٥﴾ وكل نعمة لا يُحتفى بها ولا يقام بحقها ولا تستقبل بالشكر، فهي محفوفة بالضياع. ومن تأمل فيما أعطاه الله تعالى من علم، أو جاه، أو مهارة، أو مسؤولية، أو فكرة عرف قدر نعم الله تعالى، وجهد في شكرها بكل ممكن، وحذر غاية الحذر من فواتها في طيات النسيان.

• **وعلَّمتني**: أنَّ أعظم واجبات العلم العمل به، وأخطر ما على صاحبه فوات حظوظه من واقعه ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا

﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ كم من قارئ لآيات وعيد الربا، وهو لا ينفك عن المعاملة به! وكم من قارئ لآيات برّ الوالدين وهو منسلخ من آثارها! وكم من قارئ لسوء الخلوات ومشاهد المنكرات وهو جزء من ذلك الظلام!.

• **وعلَّمتني:** أنَّ جوارح الإنسان وإمكاناته ومهاراته أقل من أن تهديه إلى الله تعالى ما لم يصحبها هدى وتوفيق ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ كهؤلاء الذين لهم قلوب وأعين وآذان، ولكنهم لا ينتفعون بها في شيء، ومثل ذلك من لديه مهارات وقدرات وإمكانات، وما حاجة الإنسان إلى شيء حاجته إلى سؤال الله تعالى، والإلحاح عليه في التوفيق والثبات.

• **وعلَّمتني:** أنَّ أعظم قاعدة في التعامل مع الآخرين متمثلة في هذه الآية: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ وإذا أخذت العفو قبلت من الناس أي شيء، ولم تكلِّفهم فوق قدراتهم،

وعذرت كل ما لم يأتك منه مُنَاك. وهذه القاعدة كفيلة ببناء ما بينك وبين الآخرين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ القرآن أعظم وسائل الرحمة، وأهم الطرق إلى صلاح قلبك، وجمع شتاتك، وتحقيق آمالك في مستقبل الأيام ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ فإذا ما سمعت قارئاً يتلو آيات الله تعالى، فهب له مشاعرك ووقتك، وستجري الحياة في قلبك إلى أقصى مدى!

• **وعلَّمتني**: أنَّ الغفلة أكثر الأمراض المؤثرة في حياة صاحبها، ومن فقهك وكمال وعيك أن تعارض هذا المرض بكثرة الذكر ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ وليس أنفع للقلب من ذكر الله تعالى، وهو مادة حياته، وموارد توفيقه، وأعظم أسباب حياته على الإطلاق.

سورة الأنفال

• **علَّمتني سورة الأنفال**: أنَّ تفاعل قلب الإنسان مع كتاب الله تعالى من أعظم دلائل حياته، وما تصنع الذكرى في قلوب الموتى! ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ وأنت أخبر بقلبك ومشاعرك مع كتاب الله تعالى، وأعرف بمدى تفاعلك مع آياته، فإن وجدت شيئاً من ذلك، فاحمد الله تعالى وسَلْه الثبات، وإذا لم تجد فدونك إخلاصك لربك، وصدق دعائك، وإلحاحك، وتدبرك لكتابه تعالى، وستجد الحياة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ للإيمان حقائق وصوراً، وكم من مُدَّعٍ قولاً ليس عليه شيء من البيّنات ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ ووجل القلوب عند سماع القرآن،

وصدق التوكل، وإقامة الصلاة، والنفقة من دلائل حقائقه ومشاهد صدقه وبيّنات واقعه، وما سوى ذلك فدعاوى، لا علاقة لها بالحقائق في شيء.

• **وعلّمتني**: أنَّ الله تعالى إذا أراد أمراً أجراه، وإذا قدّر شيئاً جعله واقعاً ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٨ ﴾ خرج أصحاب رسول الله ﷺ يريدون قافلة أبي سفيان في عرض الطريق، وأراد الله تعالى لهم العزّ والفلاح والسؤدد، فساقهم لغزوة بدر من غير إرادةٍ ولا رغبةٍ منهم، وصنع لهم فيها كل شيء. فلا تقلق من قدر الله تعالى، فإنّما يسوق الله تعالى لك من خلاله الخيرات.

• **وعلّمتني**: أنَّ إرادة الله تعالى للإنسان أعظم له من إرادته لنفسه ﴿ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦ ﴾ أرادوا عيراً في عرض الطريق، وأراد الله تعالى لهم أن يكونوا أمّةً

منصورةً وغالبةً وممكّنة، وصاحبة الدولـة بعد زمن طويل من الإعداد والصبر الطويل.

• **وعلّمتني**: أنَّ موازين النصر والهزيمة لا تصنعها القوى المادية المحسوسـة على الأرض، ولا الأسـباب الظاهريـة، وإنَّما يصنعها الإخلاص والصدق وحسـن الصلة بـالله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ ثلاث مائة وبضعة عشر عدد المسلمين في مواجهة ألـف مقاتل مـن قريش في غـزوة بـدر، تنتهي بمشـاهد الصدق والإخلاص إلى نصرٍ مبين يعـزُّ الله تعالى فيه أهل طاعته، ويذلُّ أهل معصيته، وتكون فرقاناً بين الحق والباطل، وميلاداً لدين الله تعالى، ولن تتخيَّل أثر الصدق والإخلاص حتى تقرأ فصول نزول الملائكة للأرض، ومقاتلتهـا للعدو، ونـزول الغيث والنعـاس على العصبة المؤمنة في تلك اللحظات.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الهزيمة والخسارة والنكاية الكبرى حاصلة بكل من وقف في طريق أهل الإيمان، وإن طال زمن إمهال الله تعالى له ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾ كم هي المسافة بين عَنَت قريش، وشدة بأسهم، واضطهادهم للفئة المؤمنة في مكة، وبين هذه اللحظة التي تنتصر فيها تلك القلة المؤمنة على أهل الكفر والشقاق لمنهج الله تعالى! كم هي المسافة بين صور التعذيب التي تلقَّاها صحابة رسول الله ﷺ في جنبات مكة، وهذه الصورة التي تمتلئ فيها قلوبهم فرحاً بنهايات النصر والفوز والكرامة على الطغاة، الذين عاشوا على الضلال والكبر والبطر، حتى جاءهم موعد النهايات! وهي سنة جارية في كل من شاقَّ الله تعالى ومنهجه إلى يوم الدين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ المرابطة على الثغور وحراستها، والنضال دون مدخرات الأمة من أعظم الواجبات، وكل فرد مسؤول عن ثغره، ومكلف بواجب حمايته، وتقع عليه تبعات التفريط في ذلك الثغر يوماً من أيام الدهر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ وهذا أمر عام في ثغور الجهاد التي يجري فيها قتال السيف، وثغور الجهاد التي تجري فيها أحداث المشاريع لا فرق.

• **وعلّمتني**: أنَّ نجاحك في مشروعك، وقيامك بدورك في حراسة ثغرك، وتوفيقك في قضيتك موكول إلى توفيق الله تعالى أولاً، وحسبك بذلك السـبب وبلوغ جهدك في دورك، والله يتولى النهايات كما يشاء ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ أخـرج الله تعالى تلك الفئة المؤمنة لمواجهة عدوهـا، وأمدها بتوفيقه، وأنزل لها ملائكته، وثبّت أقدامها، وطمأن قلوبها، ونصرها في النهاية، وهي في المقابل بذلت كل ممكـن، وتحمّلت أعباء الطريـق، وقامت بأثقاله، فنصرها الله تعالى، وحقّق لها أمانيها.

• **وعلّمتني**: أنَّ الحيـاة الكبرى موقوفة على الاسـتجابة لله تعالى ولرسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ وحيـاة قلبك على قدر استجابتك له تعالى ولرسوله ﷺ، ومن وعى هذا المعنى بذل له كل ممكن، واستلذ المتاعب من أجله، وبلغ منه أمانيه يوماً من الدهر.

• **وعلّمتني**: أنَّ التخلُّف عن أمر الله تعالى وأمر رسـوله ﷺ فضلاً عن الاسـتهانة بهما مؤذنة بأسـوأ عواقب الحرمان ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ وكم ممَّـن تأخَّر في زمن الإمـكان عاد غير

ممكّن مع الأيام! وكم من فائت لم يعد! في مرات يسمع تحريم الربا، فلا يرخي له سـمعه، وآخر يقرأ عواقب حضور المنكرات والسكوت عنها ولا يزال يتمادى، وثالث يظلم عباد الله تعالى ولا يرعوي، فيحين زمان على هـؤلاء بالحرمان فيرون الحقائـق، ولا يتمكّنون من العودة لها، ولكن ما لجرح بميت إيلام!.

• **وعلّمتني**: أنَّ السـكوت على المنكرات مؤذن بأسوأ العقوبات علـى المجتمعـات ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ إنّها في النهايـة لا تصيب الواقع فيها والمشارك في أحداثها فحسـب، وإنَّما تأتي على كل من حولها دون استثناء.

• **وعلّمتني**: أنَّ تذكُّـر النعم والقيام بشـكرها من أعظم أسـباب بقائها، واستمرارها في حياة صاحبها ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾ وما ابتلي الإنسـان بأعظم من نسـيانه ماضيه واعتداده بواقعه، والاستكبار على من حوله للنعم الطارئة التي مَنَّ الله تعالى بها عليه، وكم من غفلة أوجبت ضياعاً!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ ترك أوامـر الله تعالى، والوقوع في نواهيه خيانةٌ لله تعالى ولرسـوله ﷺ، وضياع للأمانـة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ وكم مـن خائن بهذا المعنى فـي زمانـك! وأخطر ما علـى الإنسـان قضيـة المفاهيـم والأفكار والتصوُّرات، وقد غاب هذا المعنى بالكلية عن أكثر الناس إلَّا من رحم الله تعالى، وما أكثر ما يدور مفهوم الخيانة على بضعة ريالات، أو شيء من حاجات الإنسان العامة، ويغيب عن هذا المعنى الكبير.

• **وعلَّمتني**: أنَّ فتـن الأمـوال والأولاد مـن الفتن التـي ينبغي الاحتراس منها والانتباه لها ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ وكم مـن مفتون وهو لا يـدري! في مرات كثيرة يكون مال الإنسان هو فتنته حين يكون مورده من حرام، وينفقه في حرام، ومثل ذلك حين يمده الله تعالى بهذه النعمة، فلا يعرف فيها حقَّاً، ولا يقوم لها بواجب، ومثل ذلك الولد حين يكون سبباً في ضياع أمر والده، أو عائقاً له في الطريق، والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: عظم آثار التقوى على صاحبها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ تمنح صاحبها فرقانـاً يفرِّق به بين الحق والباطل،

والصواب والخطأ، والأهم والمهم، ولا تزال به حتى تكشف له كل شيء، وهي مع ذلك تكفِّر سيئاته، وتغفر له ذنبه، وتصنع له كل جميل، ومن فَقِهَ هذه المعاني بذل لها كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل جهد للكافرين والمنافقين والمناوئين لدين الله تعالى إلى بوار ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ هذه سنة الله تعالى التي لا تتخلَّف، وإن كان أصل هذا في إنفاق المال، ولكنه يجري كذلك في إنفاق الفكر والجهد والعمل، والبذل كله سيبوء بالفشل، ويعود في النهاية إلى الخسران.

• **وعلَّمتني**: أنَّ للجهاد غايات كبرى، وليس المقصود منه قتل النفوس، وإزهاق الأرواح، والجناية على الآخرين ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ ومن تلك المقاصد الكبرى إزالة العقبات من الطريق، وإفساح الطريق لكل من أراد الإيمان بالله تعالى، فإذا كان لا سبيل إلى تلك الغايات الكبرى إلا بقتال تلك الفئات الباغية الواقفة في الطريق والرافضة للحريات، فليمض الجهاد إلى غاياته الكبرى.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الثبات أمام العدو، وطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ وملازمة ذكره، وترك النزاع والخصام أعظم أدوات النصر في أي معركة من المعارك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦﴾ والمعصية والغفلة والنزاع والاختلاف أسوأ الطرق إلى الخسران والخذلان، والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الله تعالى إذا أنعم نعمةً على عبده فسنَّته الجارية أن تبقى منَّة الله تعالى ونعمه باسطة في واقعه حتى يبدأ هو في زوالها وتبديدها من واقعه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝٥٣﴾ وإذا ما رأيت نعم الله تعالى تتبدَّد من واقعك، وتختفي من حياتك، وتثور لديك المشكلات، وتكثر العقبات، فقد يكون ما بينك وبين الله تعالى أوجب لك الخلاف بعد الاجتماع، والضياع بعد الاستقرار، والفوضى بعد الأمن والاستقرار.

• **وعلَّمتني**: أنَّ حريات الأمم والشعوب لا تأتي إلا من خلال العُدَّة الكافية والقوة الفاعلة في واقعها ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا

﴿تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ وأصل هـذه القوة وقاعدتها الكبرى: قـوّة **الإيمان** بالله تعالى والتعلّق به والإقبال عليه، ثم قوة العلم، وكل سبب موصل لتلك الغايات الكبرى في مستقبل الأيام.

سورة التوبة

• **علَّمتني سورة التوبة**: وضوح منهج الإسلام في التعامل مع المخالف ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ٤﴾ وهذه الآيات دليل ذلك المعنى الكبير؛ إذ تُنهي التعامل مع الكافرين، وتوقف تلك العهود التي كانت بينهم وبين المسلمين، وتبدأ معهم رحلة جديدة واضحة المعالم.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإسلام دين رحمة وهدى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ٦﴾ فمن أقبل يريد الأمان فالإسلام يحرسه ويؤمنه، ويحفظ له كيانه، ويمنحه الفرصة الكافية حتى يسمع كلام الله تعالى، لعله يعود

للحق، ويجد روحه من جديد، حتى تدرك أنَّ الإسلام أحرص ما يكون على هداية العالمين إلى الحق، وليس دين دماء كما يصوّره عالم اليوم.

• **وعلَّمتني**: أنَّ محبة الله تعالى هي الأصل، ولا ينبغي أن يعارضها شيء ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ إنَّ الإسلام يبني القرابات، ويأمر بصلة الرحم، ويشجّع على توثيق عرى الصِّلات، ولكن ليس على حساب العقيدة والمنهج، يجب أن تكون العقيدة والحب في الله تعالى والبغض فيه هي الأصل، وعليها تدار المحبة والبغض، ثم يأتي بعد ذلك كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ قوى النصر ليست كثرة العدد ولا السلاح ولا القوى الخارجية، وإنَّما هي الصلة بالله تعالى، والثبات على المنهج، واستمداد التوفيق والنصر منه تعالى فحسب ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ

عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ حين كانت القلة في بدر مصحوبة بالتقوى والثقة والتوكل، واستمداد النصر من العلي الكبير صارت تلك النهايات المدهشة، وحين كانت الكثرة في حنين موكولة إلى القوى المادية المحسوسة، صارت أقرب ما تكون إلى الهزائم والشتات والخذلان.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من أكثر مشكلاتنا التي تواجهنا الغلو أو التفريط ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ رفع الإنسان فوق مقامه مؤذن بالانحراف، كما تشير هذه الآية في حال اليهود والنصارى، والتفريط في حقوق العلماء والكبار كذلك مؤذن بالانحراف في الوجه المقابل. إن للعلماء شأناً ومكانة، وهم الذين ردَّنا الله تعالى إليهم في معرفة أحكام شريعته ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ولن يتم هذا إلا بنوع من الاحترام والتقدير الذي يمنحهم حقهم، ولا يرفعهم فوق مقامهم الذي مكنتهم منه شريعة الله.

• **وعلَّمتني**: أنَّ دين الله تعالى غالب منصور، ولو طال زمان هذه الحقيقة، هذه سنة الله تعالى الكونية التي لا تتغيَّر ولا تتبدَّل على مرِّ

التاريخ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يريدون ويصنعون من أجل تلك الإرادة كل شـيء، والله تعالى يريد ويصنع لتلك الإرادة كل شـيء، في كل مرة يختلقون أحداثاً، ويسـتثمرون أحداثاً أخرى، ويوظِّفون كل حدث من تلك الأحداث لتشويه هذا الدين، ويتفاجؤون في النهاية أن الناس تبحث عن الإسلام، ويسألون عنه، ويدخل دين الله تعالى من تلك الحوادث مئات وآلاف، وتبدأ رحلة الإسلام من جديد ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ هناك أيَّامـاً وأزماناً فاضلة في دين الله تعالى يجب أن تُجلَّ وتقدَّس، فإنَّ الخطيئـة أعظم فيها من الخطيئة في غيرها ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ وهذه الأشـهر هي: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب، ومن أدب المؤمن إجلال وتعظيـم ما عظمه الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

• **وعلَّمتني**: أنَّ النهوض بدين الله تعالــى، وحمل أفكاره الناهضة وقضايــاه الضخمة واجــب كل مؤمــن، ومهمة كل صالح فــي الحياة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ وهــذا العتاب على المتخلِّفين عن هذه المعاني دليل ذلك المعنى الكبير! وما حاجة الأمة اليوم إلى شــيء حاجتها إلى استشــعار كل فرد فيها دوره والشعور بهمومه، والركض بمشروعه وفكرته وقضيته.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الركون إلى الظلال الوارفة، والقعود على الأسرَّة، والاكتفاء بالفرجة في زمن الحاجة خذلان، وما يثقل بالإنسان عن حمل هذه الهموم إلا سوء توفيق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ إمَّا النفرة في ســبيل الله تعالى، أو القعود وثقل الأرض وحب الظلال.

• **وعلَّمتني**: أنَّ عدم قيام الإنسان بدوره، والحركة الفاعلة في واقعه، وتبليغ دينه ومنهجه كبيرة متوعَّدٌ عليها بأسوأ أنواع العقوبات ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ كم من ثغور تنتظر من يقوم عليها ويحفظها ويجري لها الحياة! وكم في المقابل من طاقات فارغة تبذل كل شيء في شهواتها، وتبخل على دين الله تعالى بأقل القليل.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإسلام ليس في حاجة إلى أحد من العالمين مهما بلغ شأنه، وأنَّ التخلُّف عن خدمة دين الله تعالى مكلف على الإنسان ذاته فحسب ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ وكم من متخلِّف عن دين الله تعالى أبدله الله تعالى بخير منه ألف مرة! وكم من متخلِّف في المقابل أشغله الله تعالى بالتوافه من مشط رأسه إلى أخمص قدميه.

• **وعلَّمتني**: نصر الله تعالى لأوليائه ودينه ومنهجه ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ

﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ خرج ﷺ من مكة وحيداً طريداً فأمّنه الله تعالى وأعمى قريشاً عنه، وأوصله إلى أمانيه، وعجزت قريش أن تصنع شيئاً، وهو أقرب ما يكون إليها وبين يديها.

• **وعلّمتني**: أنَّ معية رسول الله ﷺ كما تكون بالبدن وهي التي حصلت لصِدِّيق هذه الأمة أبي بكر رضي الله عنه، فهي كذلك لكل مؤمن تقي صحب رسوله ﷺ بقلبه وعمله، وجرت في مشاعره تلك الأماني التي لو كان حيّاً في زمانه لما وسعه إلا رفقته ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ ومن كان كذلك كان الله تعالى معه في كل شيء.

• **وعلّمتني**: أنَّ الفَلَاحَ والخير والتوفيق في العمل لدين الله تعالى والنهضة به والقيام بأحماله ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ وكم من بركة في وقت الإنسان وفكره وماله وحياته كلها كانت أثراً من آثار هذا المعنى الكبير. وكم من قاعد فاته كل شيء!.

• **وعلَّمتني**: ضحالة تلك النفوس التي تتهافت على أرباح الدنيا، وهي أقصر ما تكون عن أرباح الحياة الكبرى ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ لو كان شيئاً من متاع الحياة العاجل لتهافتوا إليك بكل ما يملكون!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ صلاح القلوب والنوايا الصالحة مؤذن بالخيرات في حياة صاحبه، وسوء النية أصلُ كل فساد، وخلف كل ضياع ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ حين خربت قلوبهم أقعدهم الله تعالى، وكم من قاعد عن العمل وهو يملك كل شيء! ولو أنَّه ألقى بقلبه وفكره ومشاعره إلى هذه الصورة التي يعرضها الله تعالى عن المنافقين لجهد ألَّا يتخلف عن دينه فيشابه القوم في النهايات، ولكن كما قال الأول: ما لجرح بميت إيلام!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ النفاق والمنافقين أخطر ما على الأمة ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم

مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾﴾ وإذا أردت أن تعرف هذه الحقائق فَهَبْ من وقتك لقراءة سورة براءة تشاهد القوم وجهاً لوجه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ لَمْزَ المصلحين في العمل، وتخوينهم في تلك الأمانات، وإساءة الظنّ بهم من أعظم صفات النفاق والمنافقين ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ وكم من مغموس في النفاق تراه من خلال قلمه وكلمته أعظم ألف مرة من أن تراه وتلقاه بجسده!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ السخرية والاستهزاء ولَمْزَ عباد الله تعالى المتقين من أعظم أسباب الانحراف عن دين الله تعالى، وموجبة لصاحبها بالضلال ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ لقد قال هؤلاء كلمة في عرض الطريق، وهم خارجون في صف الجهاد مع رسول الله ﷺ: «**ما رأينا مثل قرَّائنا أرغب بطوناً، وأكذب ألسناً، وأجبن**

عند اللقــاء» فكفروا بذلك، وخرجوا من ديــن الله تعالى بالكلية! قال الراوي: رأيت بعضهم متعلّقاً برقبــة ناقة النبي ﷺ وهو يقول: إنّما كنّا نخوض ونلعــب، فلا يزيد ﷺ على قولــه: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ نعوذ بالله تعالى من الحرمان!.

• **وعلّمتني**: أنَّ الأمر بالمنكر والتواصي به وإشــاعة مشــاهده، ومدّ صوره، والنهي عن المعروف وتقليل صوره وتحجيم مساحته، والشُّحَ عن البذل في دين الله تعالى من أعظم صفات المنافقين ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٦٧﴾.

• **وعلّمتني**: أنَّ طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ، وتقديس الوحي وتعظيمه، وإقامة الصلاة، والنفقة في سبيل الله تعالى من أعظم صفات المؤمنين، وهي الطريــق إلى رحمــة الله تعالى وتوفيقه فــي الدارين ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ واجب طلاب العلم والدعاة والمصلحين كشف سُتُر النفاق والمنافقين، وفضحهم وبيان وجوه عبثهم بمنهج الله تعالى، وذلك من خلال إشاعة مفاهيم الوحي التي تتحدَّث عن صفاتهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣﴾ وهذا من أعظم أنواع الجهاد لهؤلاء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ إخلاف الوعد ونقض العهود من صفات المنافقين ﴿۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦﴾ عاهدوا الله تعالى لئن أعطاهم الله تعالى مالاً سيتصدقون منه لدين الله تعالى ومنهجه، فلمَّا مكَّنهم من ذلك نقضوا ذلك العهد وتخلَّصوا من آثاره، وكم من إنسان عاهد ربه لئن آتاه الله مالاً أو وقتاً، أو وظيفة، أو مهارة سيبذل منها لدين الله تعالى ويُسَخِّرها في منهجه، فلما أعطاه الله تعالى نسي كل شيء، فجرت عليهم عواقب الحرمان ﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ٧٧﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ جولة النفاق مع الإسلام وأهله ليست وليدة اليوم، وإنَّما من فجر التاريخ وزمن الرسالة وأول الدعوة، وستظل ما بقيت

الحياة ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ مات ابن أبيٍّ رأس النفاق والمنافقين وبقي أذنابه يجهدون في ذات الطريق، مات رأس الضلالة وبقي أتباعه وأعوانه على الطريق، مات عدو الله تعالى وعدو منهجه وبقي أعداءٌ لله تعالى وأعداءٌ لمنهجه. هذه سُنَّة التاريخ، ولن تجد لسُنَّة الله تبديلاً، ولن تجد لسُنَّة الله تحويلاً.

• **وعلَّمتني**: أنَّ أعظم أسباب فساد القلوب والأديان الشهوات والشبهات ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةً وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلًا وَأَوۡلَٰدًا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ فقد أخبر الله تعالى أن فساد هؤلاء إنَّما كان من قبل ذلك ﴿فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ﴾، (والخلاق) هو اتباع الشهوات، ﴿وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْ﴾ في الباطل والكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ، وقد بلغك عن سلفك قولهم: احذروا من صنفين؛ صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه. ألا ترى من يسوِّق لك حِلَّ الغناء باسم الدين، ويلوك شبهات باسم التقريب، ومثلك أوعى من أن تكون في مسار القوم؛ فتنبَّه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ ترك العمل والتخلُّف عن مواقع الحياة الجادة من علامات المنافقين ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾ وإنَّ إنساناً يرى حاجة دين الله تعالى إلى جهده وفكره وماله وبذله، ثم يتخلَّف لحقيقٌ أن يدرك نفسه قبل الفوات.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من القواعد العامة في دين الله تعالى أنَّه لا سبيل على المحسنين، فكل من حسنت نيته فقام بعمل، أو شارك في مهمة، أو عمل في مجال من المجالات، وبذل فيها الأسباب الممكنة للنجاح، وجهد في تحقيق آماله من خلاله، ثم لم يصل إلى شيء من ذلك، فلا سبيل عليه في شيء ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ اتباع السلف والأخذ بأقوالهم منهج يبلغ به صاحبه للحق والهدى، ويسلم من عثرات الطريق ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ وثناء الله تعالى على من اتبعهم دليل هذا المعنى الكبير، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**».

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل نشـاط أو فكـرة أو عمل أو مشـروع يراد به التفريق بين المسلمين ومعاداة منهج الله تعالى، فهو كمسجد الضرار لا فـرق ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ يحرم دعمه والتعاون معه والمشـاركة فيه، وينبغي على القادرين إزالته حتى لا تتسع به ومن خلاله دوائر الفرقة والشتات في واقع المسلمين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ المؤمن أجيرٌ عند ربِّه تعالى، قد باع نفسـه وماله ووقته وكل شيء منه لربه تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ ومـن كان كذلك وجب عليه أن يعي تكاليف وتبعات تلك البيعة، وأن يدرك أثقالها ويقوم بها، فالثمن جنة عرضها السماوات والأرض.

• **وعلَّمتني**: أنَّ العقيـدة أكبر من كل رابـط بين العالمين ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ

أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ ويجب أن يُعرف أن استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه الكافر من باب الوعد الذي وعده إياه، فأما بعد صفاء المنهج فلا وألف لا.

• **وعلَّمتني**: أنَّ سنة الله تعالى الجارية أنه لا يضل من هداه، ولا يغيِّر نعمةً أعطاها تعالى لعبده إلَّا في الحال الذي هو يصرُّ على ضياعها منه، ويقوم بما يبدِّدها من واقعه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ فسنة الله تعالى إذا أنعم عليك برزق أو علم، أو تفوُّق، أو جمع شمل، أو سلامة صدر، أو حسن ذكر، لا يمكن أن يبدِّدها من واقعك حتى تكون أنت مصرٌّ على ضياعها من خلال معاصيه تعالى، فتجري عليك سنة الله تعالى في التغيير والتبديل.

• **وعلَّمتني**: أنَّ التقوى والصدق من أعظم القواعد في التعامل مع الله تعالى ومع خلقه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وما جرت أحداث التوبة في حياة الثلاثة الذين خُلِّفوا: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع إلَّا من أثر ذلك، اتَّقوا الله تعالى وصدقوا معه ومع رسوله ﷺ قولاً وفعلاً وحالاً؛ فصاروا إلى تلك النهايات التي أوجبت لهم حلول توبة الله تعالى عليهم، ورضاه عنهم.

• **وعلّمتني**: أنَّ المؤمن يثاب على ما باشره من الأعمال، ويثاب كذلك على ما تولَّد من أثر تلك الأعمال ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فالنفقة من الأفعال المقدورة لهم، فهي مما باشروه من الأعمال ﴿كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ بخلاف الظمأ والنصب وغيظ العدو، فليست من أفعالهم، وإنَّما متولدة عنها، فيكون لهم ذاك وهذا على حدٍّ سواء.

• **وعلّمتني**: أنَّ بالأمة ضرورةً ملحَّةً جداً إلى هذا المعنى الكبير ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ ولن تبلغ الأمة أحلامها إلّا من خلال فئات تنذر أنفسها للعلم، وتنفر في سبيله، وتدفع من أوقاتها له، وتجهد في بناء ذواتها لبناء مستقبل أمتها في قادم الأيام، فإن لم تنفر تلك الفئات القادرة على التعلم والمتوجهة إلى المشروع العلمي، فعلى الأمة أن تحسن الاختيار في النفير من خلال الاصطفاء لتحقيق تلك الغاية الكبرى.

سورة يونس

• **علَّمتني سورة يونس**: أنَّ دلائل الكون كافيــة في ردِّ القلوب إلى خالقها، والتعرف على ربها، والقيام له بحقه تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ ومــن عــرف الله تعالى بحق قام له بكل شــيء، وقوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ دليل على أنَّ المقصود من هذه الآيــات الكونية تحقيق توحيد الألوهية. ومن لم تدله هذه البينات على ربه، فلا مفروح به في شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ ضياع الرؤية مفضٍ بصاحبه إلى الضياع ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ ومن لم يعرف خالقه من خلال آياته ودلائل خلقه ومشاهد كونه فماذا بقي له من الحياة! وقل مثل ذلك في التعرف على مشــروعك، وأهدافك، وخطتك الأسبوعية، كل ذلك فرع عن الرؤية لمشروعك الكبير في الحياة.

• **وعلمتني**: كمال رحمة الله تعالى بالخلق ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ يدعو الإنسان في مرات على نفسه لمرض أو بلوى، فلا يجيب الله تعالى دعاءه رحمةً به وشفقةً عليه، ويدعو على ولده وأهله في حال غضبه، فلا يجيب الله تعالى دعاءه، ولو أجابه لهلك، ولما بقي له شيء، ولكنَّها رحمته تعالى سبقت غضبه، وحلمه وعفوه سبق سخطه.

• **وعلمتني**: غفلة الإنسان عن ربه تبارك وتعالى، وتكبره وإعراضه عن عبادته ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ إذا مرض دعا ربه ملحّاً مضطرّاً مخبتاً منيباً عائداً إلى ربه تبارك وتعالى، وإذا ذاق العافية لوى عنقه متكبراً متجبراً معرضاً. وما أكثر هذه الصور! وما أقل العبرة منها!.

• **وعلمتني**: أنَّ إهلاك الله تعالى الظالمين سنة إلٰهية لا تتغيَّر ولا تتبدَّل ما بقيت الحياة ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ ومن فقه الإنسان أن

ينظر إلى واقعه ومسؤولياته، وما اؤتمن عليه حتى لا يكون ظالماً وتجري عليه سنن الله تعالى، ويكون في النهاية من الخاسرين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ لغة الضلال واحدة من فجر التاريخ إلى يومنا هذا ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ لا فرق بين قول أولئك بالأمس: ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ وبين اعتراض المعترضين اليوم على شريعة الله تعالى وكونها الحاكمة في كل شيء، ويريدون منهجاً أيسر وأقرب إلى شهواتهم، ويحاولون أن يصنعوا لها تطبيقات تناسب زمانهم وشهواتهم.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الشرع يضع تصوراً واضحاً للدنيا ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ مدهشة في بدايتها وآسرة حين النظر إليها، ثم ما هي إلَّا لحظات، فتدركها آفات الأرض فتعود لا شيء. وإنَّ كل عاقل قرأ هذه الحقيقة ورزقه الله تعالى توفيقاً أدرك نفسه قبل الفوات.

• **وعلَّمتني**: أنَّه ليس من مهمة الدعاة والمصلحين رؤية سنن الله تعالى في المعارضين ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ سنن الله تعالى ستمضي سواء أجرى عليهم عذابه الذي تراه بعينك أو أبقاهم يصنعون كل شيء، تزداد سيئاتهم وتكثر خسارتهم، ويردون إلى يوم الجزاء والحساب.

• **وعلَّمتني**: أنَّ عواقب الظلم وخيمة على صاحبها ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾ للدرجة التي لو كان يوم القيامة يملك ما في الأرض لوضعه فداءً للخروج من أثر ظلمه في عرصات القيامة، وكم من ظالم لنفسه يجري بها في فجاج الشهوات والشبهات! وكم من ظالم لزوجه وولده! وكم من ظالم لعامل وخادم! وكم من ظالم لوالد وإنسان! والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ القرآن نعمة، ومن رزقه الله تعالى الإقبال عليه، وشرح له صدره، ونصب له من سنام وقته، وأشغل به نفسه؛ فقد أفاض الله تعالى عليه من رحمته ونعمته ما يشاء ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ وقد قال

جمع من السلف: فضل الله على أهل القرآن ورحمته بهم أنّه جعلهم من أهله.

• **وعلّمتني**: أنَّ الفرح بالحسنة والسرور بها فرح بفضل الله تعالى ونعمته على عبده ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ وقد أمر الله تعالى عباده أن يفرحوا ويسعدوا بما تحقق لهم من طاعة وأنس وقرب وعون على مَرَاضيه وما أُعطي الإنسان بعد الإسلام نعمة أعظم عليه من هذا القرآن، ومن دواعي هذه النعمة الإقبال عليه حفظاً وتلاوةً وتدبراً واستشفاءً.

• **وعلّمتني**: رقابة الله تعالى على كل ما يجري في الكون ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ فأي شأن تكون فيه من أمرك، جلّ أو حقر، صغر أو كبر، كان في ظلام أو نهار، في وجود أناس أو في غيابهم، فهو في علم الله تعالى، لا يندُّ منه شيء، فخذ لذلك أهبته، واعرف قدر ربك، وتجهّز للحظات الخلوات، حتى تلاوتك لكتاب الله تعالى وتقليبك النظر فيه وتدبرك، كل ذلك يجري على مرأى من نظر الله تعالى وعلمه.

• **وعلَّمتني**: عاقبة أولياء الله تعالى في الدارين ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ لا خوف عليهم فيما يستقبلون من أحداث الآخرة، ولا حزن على ما فاتهم من حظوظ الدنيا. ومن عاجل حظوظهم ثناء الناس عليهم، وإطباقهم على ذكرهم الحسن لهم، وما يرون من عاجل بشراهم في الدارين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من القواعد الكبرى في الوحي، ومن سنن الله تعالى الكونية أنّه تعالى لا يُصلح عمل المفسدين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وإن كان هذا المعنى جرى في مواجهة عمل السحرة مع موسى إلَّا أنّه يجري في كل عمل يقوم به عُصبة الفساد وأهل الزيغ والانحراف في كل زمان ومكان، ما كان فساداً وعلى غير هدىً فلا بركة فيه، وهو إلى ضياع، سواء كان هذا منكراً أقامه صاحبه، أو مجالاً صنع فيه فساداً، أو عملاً على غير هدى، أو خطةً لمواجهة دين الله ومنهجه، كلها إلى ضياع.

• **وعلَّمتني**: أنَّ لكلِّ طاغيةٍ موعداً، ولكلِّ ضالٍّ نهاية، وانقلاب الموازين سنة الله في العالمين ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ

﴿وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ من هو فرعون بالأمس! ومن هو اليوم؟ من هو فرعون وهو يتبختر ويتجبّر، ويقوده الضلال إلى الاستعلاء حتى على ربه؟ ومن هو اليوم حين يستغيث بربه، ويعلن إيمانه، ويريد فرجاً في ساعة الموت؟ ولكل ظالم وطاغية الموعد ذاته يوماً من أيام الدهر.

• **وعلّمتني**: أنَّ بقاء الضلال والكفر والنفاق في الأرض سنة من سنن الله تعالى الكونية ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ ولولا هذه السُّنّة لما عُرف المؤمن من الكافر، الضال عن الطريق من المتمسّك بالصراط، المجاهد لدينه ومنهجه ورسالته والقاعد على أريكته المتفرج على واقعه! فاستقبل أمر دينك، واعلم أنَّ الحياة صراع، وسيظل الباطل ما بقيت الدنيا، ودورك أن تبقى جاداً على الطريق، مناضلاً من أجل رسالتك حتى يحين موعد الوداع.

• **وعلّمتني**: أنَّ الله تعالى هو النافع الضار والمقدّر لما يجري من أحداث وأقدار، وما يجري عليك من أحداث وأقدار، فإنّما هي

من ربك تعالــى أولاً ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ فارفع بصرك وقلبك ومشــاعرك إلى الســماء! وعلّق قلبك بــالله تعالى، فالحيــاة تجري وفــق ناموس قــدّره الله تعالى لا يتخلّف منه شيء.

• **وعلّمتني**: أنّ كل فرد مســؤول عن ذاته، وهو صاحب القرار في نجاحها وإخفاقها ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ فأمر هدايتك واستقامتك على منهج الله تعالى هو خيارك وقرارك، وأمر ضلالك وبعدك عــن ربك تعالى هــو كذلك خيارك وقــرارك، فاختر ما شئت، وتحمّلْ أعباء تلك القرارات في النهايات.

• **وعلّمتني**: أنّ الوحــي (قرآنــاً وسُــنّةً) عاصمٌ لــك من الضلال والانحراف، وهذه الوصيــة ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ من أعظم الوصايا في تاريخك كله فتمسّــك بها؛ فالقلــم أقل من أن يحكي لــك آثارها في حياتك، غير أن لها تكاليف تحتاج إلى صبر طويل فكن في مســتوى الحدث ﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾.

سورة هود

• **علَّمتني سورة هود:** أنَّ هـذه العوالم التي خلقهـا الله تعالى إنَّما خلقها للابتلاء ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ خلـق الله تعالـى الفقر والغنى، والليل والنهار، والسماء والأرض، والعافية والمرض، والرزق والفقر ليجري قدره تعالى في خلقه، وليُمْضِ سنته في العالمين، ومن أدركَ هذا المعنى عرف له قدره، وقام فيـه بواجب ربه تعالى، وتصبَّرَ على الطريق الطويل بمثل هذه المعاني الكبـار حتى يبلغ النهاية التي يريد، والله المستعان.

• **وعلَّمتني:** أنَّ الإنسـان طُبع على النكران والجحـود ما لم يغالب ذلك بكمـال إيمـان ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠﴾ تمسُّه رحمة الله تعالى ويغشاه نعيمه وتجري فصول الربيع في واقعه، فأقل ما يكون شـكراً، فإذا ما ذهبت منه تلك النعم عاد ساخطاً يائساً وكأنَّه لم ينل شـيئاً من النعيم، فإذا ما عادت عليه الرحمة،

وألبسه الله تعالى النعيم، وأجرى له الحياة عاد بطراً متكبراً معرضاً عن الله تعالى إلَّا فئة مؤمنة مرابطة وصفها الله تعالى بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝١١﴾ ووعدها تعالى بالمغفرة والأجر الكبير.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الصراع بين الحق والباطل سنة إلٰهية من فجر التاريخ إلى قيام الساعة، وإذا أردت أن تعرف هذه الحقيقة، فاقرأ تلك الجهود الضخمة التي قام بها نوح ﷺ كما تعرضها هذه السورة في مواجهة الباطل وأهله في تلك الحقبة من الزمن ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ۝٢٦ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ۝٢٧﴾ واقرأ ما ورد بعدها من قصص الأنبياء والمرسلين الذين بذلوا كل ممكن، وواجهوا الباطل بكل صوره حتى كانت النهايات.

• **وعلَّمتني**: أنَّ هناك خلافاً كبيراً وعريضاً بين دعوات الأنبياء وقيم الجاهلية ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ۝٢٧﴾ تقوم دعوات الأنبياء على أن البشر أمام

دعوة الله تعالى ومنهجه وحدة واحدة، لا فـرق بين غني وفقير ورجل وامرأة، وتقوم قيم الجاهليـة على التفريق بيـن المخلوقين على لون ونسـب وغنى وفقـر. وهذه نافـذة على قيمـة واحدة بين الإسـلام والجاهلية، وإلّا فالخلاف كبير وعريض.

• **وعلّمتني**: أنّه لا يمكن أن يجتمع الإسلام والجاهلية في مساحةٍ ما، فإمّا الجاهلية بركامها وظلامها وفوضويتها، وإمّا الإسـلام بطهارته ونزاهته وعدله وقيمه ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّهُم مُّلَٰقُوا رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

• **وعلّمتني**: أنّ الفرص تلوح ولا تعود، ويحين موعد ربيعها ثم يزول ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ لقـد بقيـت الفرصة

لقوم نوح ما يقارب من تسع مئة وخمسين سنة، تعرض فصولها المدهشة، وتستقبل العائدين للحياة من الظلام، وأبى أولئك القوم أن يستثمروها، أو يستفيدوا منها في بناء مستقبلهم، حتى فات عليهم كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الهداية اصطفاء ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ وما كل إنسان يشرب من معينها الصافي، وكم من مصروف عنها وقد جاءته في أبهج حللها وأجمل لحظاتها فأبى إلَّا الضلال! هذا ابن نبيٍّ من أنبياء الله وفلذة كبده، وفي بيته ورأى كل الحقائق، فأبى إلا الضلال والحرمان.

• **وعلَّمتني**: أنَّ سوء التوفيق لا نهاية له ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ لقد رأى ابن نوح من آيات الله تعالى ما لم يكن له بها عهد، ولكنَّها لم ترده إلى الله تعالى، واختار الهلاك على الكفر والضلال على الهداية، فما أقسى خواتيم السوء!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ دور الأب والمعلـم والداعية والمصلح هداية الدلالة والإرشـاد، وبذل الأسـباب الممكنة، وما عدا ذلك فمردُّه إلى الله تعالى ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ فإذا كان نوح عليه السلام رسول الله، ما استطاع أن يسقي ابنه مباهج الهداية، وهو أقرب ما يكون إليه، فما الشأن بغيره من العالمين!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإسـلام يتعامل مع الخلق وفـق قيم تجري في سلكٍ ناظمٍ للحياة ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ وليـس فـي الإسـلام فرق بين ابن نبي وغيره، الفرق الذي تقرره الشريعة يأتي من خلال صلة الإنسـان بدين الله تعالى وأخذه كمنهج، أو رفضه والتخلي عنه فحسب.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الصلة بالله تعالى وكثرة الاسـتغفار مؤذنة بخيرات مدهشـة في حياة صاحبهـا ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

يجري الله تعالى بهذا المعنى خيرات عامة على الناس بإنزال الغيث، ويجري في المقابل خيرات خاصة بأصحابها من زيادة القوة، وكثرة الأموال والأولاد، ونحو ذلك من الخيرات.

• **وعلّمتني**: أنَّ صلاح النفوس والشفقة على المخلوقين من أعظم صفات الدعاة والمربين والآباء المؤثرين ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ حليم لا يحب معاجلة المخطئين بالعقوبة، وكثير التضرع والإنابة إلى ربه تبارك وتعالى. والنفوس الكبيرة تستعلي على الخلافات العارضة، وتبني جسوراً من الحياة للصاعدين عليها في مستقبل الأيام.

• **وعلّمتني**: أنَّ المعصية أخطر ما تكون على أصحابها ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ مازالت بهم حتى قلبت تصوراتهم، وانتكست فطرهم، وضاعت قيمهم، ولم يبق لهم شيء صالح للحياة.

• **وعلّمتني**: أنَّ سنن الله تعالى لا تتخلّف عن الظالمين، وأنَّ لكلّ أجل موعد للفصل والقضاء، وما طال ليـل إلّا أعقبه فلق الفجر، وما خيّم ظلام إلّا وكنا في انتظار صبحه بشوق ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾ ﴾.

• **وعلّمتني**: أنَّ القـدوة أصـل كبير في حياة الأنبياء والمرسـلين ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ وإذا أراد الكبـار أمانيهـم من فكرة أو مشروع أو واقع إصلاح فعليهم أن يكونوا في موضع القدوة، وستجري لهم فصول الحياة كما يشاؤون.

• **وعلّمتني**: أنَّ الله يمهل ولا يهمـل، ويمد في الأجل ولا يعاجل في العقوبـة، ولكنّه إذا عاد أَخَـذَ أَخْذَ عزيزٍ مقتدر، نسـأل الله تعالى العافية ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

ومن قرأ الوحي واطلــع على التاريخ عرف كيف صنــع الله تعالى في تلك الأمم التي خالفت منهجه تعالى وأصرّت على الضلال.

• **وعلّمتني**: أنَّ وصية الله تعالى الكبرى لرسـوله ﷺ ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ وهــي وصية الله تعالى لــكل مؤمن إلى يــوم القيامة، يســتقيم كما أمره الله تعالى لا كما يريده واقع الحياة، يستقيم وفق المنهج الذي نزل في كتاب الله تعالى وسيرة رسوله ﷺ لا كما يريده نظام أو تمليه آراء، أو تصنعه الشـهوات! الاستقامة سلوك لا يأتي عبثاً، وإنَّما يسـير وفق منهج الله تعالــى ﴿كَمَآ أُمِرْتَ﴾ ومعالم هذا المنهج أبين ما تكون.

• **وعلّمتني**: أنَّ الركون إلى الذين ظلموا جريمة تستحق العقوبة ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ الركــون للظلمــة، والوقــوف معهــم، ومعاونتهم على ظلمهم بأي وسـيلة كانت، حتى لو كانت بشـطر كلمة، كل ذلك جريمة وظلم وتعدٍّ علــى منهج الله تعالى، وتجاوز لحدوده أيّاً كان هذا الظالم الذي يعان، قريباً أو بعيداً، مسـؤولاً أو من عامة الناس لا فرق.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الصلة بالله تعالى من أعظم المعينات على الطريق، والصلاة أعظمها وأجلها ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ وإذا وقع المؤمن فيما يسخط ربه تبارك وتعالى بادر إلى الحسنات الماحية، وألقى بأحمال تلك السيئات عن ظهره، وأقبل على ربه تبارك وتعالى من جديد.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الصبر زاد الحياة الكبير ﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥﴾ ومن رُزق الصبر، رُزق كل شيء، وما كان الصبر في شيء إلا زانه وجمَّله، وما خلا من شيء إلا ضيَّعه وفرَّقه، وما أكثر عوائده على أصحاب المشاريع والرايات! وما ألذ آثاره على علاقة الأزواج والأباء والمعلمين والطلاب.

• **وعلَّمتني**: أنَّ سنن الله تعالى لا تتغيَّر ولا تتبدَّل، وأنَّ كل مجتمع أخذت منه النصيحة حقها، وشاعت في وسطه كلمة المعروف، ونُهي فيه عن المنكر سلم من غوائل السوء ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ وفي المقابل كلَّما تخلَّف هذا المعنى عن مجتمع حلَّت عليه عواقب الحرمان.

• **وعلَّمتني**: أنَّ هذا الاختلاف بين العالمين سنة إلٰهية، وسيظل ما بقيت الدنيا ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ فلا ترجُ واقعاً منسجماً معك في كل شيء، ولا تنتظر ربيعاً مورقاً يعمُّ العالم دون استثناء، ولا تتصوَّر نهايةً لم تجرِ في سنن الله تعالى، ومن فقه هذا المعنى قام بواجب الله تعالى، وحرص على فعل الأسباب الممكنة، ثم سلَّم أمره لربه تعالى، وبقي عبداً لله تعالى فيما يجري بعد ذلك من أقدار. وكل الأخطاء التي تحدث في الأمة في مرات كثيرة لضعف الفقه بهذا المعنى الكبير!.

سورة يوسف

• **علّمتني سورة يوسف**: أنَّ القرآن أعظم منن الله تعالى على عباده ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ يقرؤونه بلسان عربي مبين، ويرسم طريق الحياة الطويل بوضوح، وفيه جواب لكل المشكلات فضلاً عن البركات والهدى والفتوحات التي تلحق صاحبها في الدارين.

• **وعلّمتني**: أنَّ الأجواء المفتوحة بين الأسرة في البيت الواحد من أعظم معالم التربية الراشدة في مستقبل الأيام ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾ الابن يواجه عارضاً في منامه، فلا يملك إلا أن يفضي به إلى والده، والوالد الذي خبر الحياة وعلّمته من تجاربها يلقي إليه بمشورة العليم. وما حاجة الأسر في كثير من البيوت اليوم إلّا إلى هذه الأجواء التي تفضي البنت والابن بمختلف أعمارهم بهمومهم ومشكلاتهم وما يعترضهم على الأبوين في كل وقت وحين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من فقه الوالد والمربي أن يدرك الفروقات بين أبنائه ومن يربِّيهم، ويضع عينه على من يحتاج منهم إلى رعاية واهتمام ليكون حافلاً بالمجد في مستقبل الأيام ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦﴾ وجزء من مشكلات التربية في البيوت اليوم أنَّنا نريد الجميع على صورة واحدة في كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ التفريق بين الأبناء في الحبِّ والإجلال والتقدير سبب من أسباب الخلاف والشقاق في مستقبل الأيام ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾ وما كان لهم ذلك لولا ما رأوه من عناية واهتمام بيوسف عن غيره، والله المستعان! وفرق بين ما أشرنا إليه سابقاً من إدراك الفروق وهذا المعنى، فإنَّ الأول يُعنى باختلاف الصفات، ويبني عليها فقه الاستثمار، كلٌّ فيما يخصه، والثاني بذل الحب والرعاية والاهتمام للجميع دون فرق.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الله تعالى إذا أراد أمراً أجرى له من الأسباب ما يكون به قدراً واقعاً ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝١٥﴾ وضعوه في الجبِّ ثم

تولاه الله تعالى بعد ذلك، حتى أنزله القصر وحمله للسجن ليضعه على عرش الملك ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإحسان أعظم الصفات الجالبة للحياة ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ وهـذه الصفة التي نُعت بها يوسف عليه السلام ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ صارت ملازمة له في كل ضيق وقع فيه ومنَّة كتبها الله تعالى له، تراها في ثناء المسجونين معـه ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ وتجدها في ثنـاء الله تعالى عليه بها بعد أن خرج من السـجن وتبـوَّأ المُلْك في مصـر ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ فما أحوجنا لهذا المعنى الكبير! وما أكثر عوائده على النفوس والبيوت!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ فتنة النساء أخطر فتنة تواجهك في دينك ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ وفي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء**». وقد تيسَّرت اليوم من خلال هذه التقنية حتى أصبحت طريقاً للضياع والهلاك. والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ التساهل في التعامل مع الخدم داخل البيوت من أعظم أسباب هذه الفتن، وأضر ما تكون على الأسر ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ وما كان لهذه القضية أن تكون من أصلها لولا تساهل العزيز في تمكين شابٍّ جميلٍ من البقاء داخل البيت. وكم من خيانات تخلَّلت من هذا الباب! وانظر لرجل في بيته وقد تحقَّق من مراودة زوجه لخادمها، وما زاد على أن قال: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ٢٩﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإخلاص والصدق مع الله تعالى من أعظم الأسباب المنجية من الضياع ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ صرف الله تعالى عن يوسف عليه السلام هذه الفتنة، وأخرجه من هذا الظلام، وأنعم عليه بستره، وأشار الله تعالى إلى أنَّ مردَّ ذلك كله إلى إخلاصه ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ وفي مرات كثيرة يخرجك الله تعالى من عمق الظروف والمشكلات والأزمات لصالحٍ مضى منك في غابر الدهر، وفي المسند من حديث ابن عباس رضي الله عنهما - وصححه أحمد شاكر رحمه الله - قال ﷺ: «**تعرَّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدَّة**»!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ العفاف أعظم معالم الإنسان الصالح للحياة، رجلاً كان أو امرأة ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ جهدت بكل ما تملك من جمال ومكانة وقصور الملك وأبواب مغلقة وفتن الشهوات، وهو في غربة وأعزب وشاب وهي الطالبة، ومع ذلك كان جبلاً في مواجهة الفتن، وحقُّ هذا المعنى ﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾ أن يقام له حفل عرس في زمن الفوضى!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ قَدَرَ الإنسان بمقدار ما يملك من العلم والمعرفة، وما معك من العلم والأفكار والمفاهيم هو الذي يصنع موقعك، حتى لو كنت في ظلام السجون ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ

أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ وما كان لهذين الغلامين أن يقصّا تلك الرؤيا إلّا حين رأوا معالم الهدى والعلم في واقعه عليه السلام، وصنع لهم في النهاية كل شيء ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾.

• **وعلّمتني**: أنّ الأفكار التي نحملها، والمشاريع التي نتوق إلى نجاحها، والقضايا الكبرى التي نفكر فيها ليست ترفاً فكرياً حتى نمنحها فضول أوقاتنا أو بعض همومنا، وإنّما هي كل شيء ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ داخل السجن يقوم بدوره، ويحمل تبعات مشروعه، ويبلّغ منهج ربه تعالى، وهو في أيام الغربة، ورحلة الهجر، وبين جدران السجون.

• **وعلّمتني**: أنّ الله تعالى إذا أراد أمراً أجرى له الأسباب ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ

خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾
أراد الله تعالى أن يخرج عبده وصفيه ورسوله ﷺ من السجن ويكافئه على صبره، فألقى الرؤيا للملك لتبدأ فصول قصة الوعد الكبير، ويأتي فرج الله تعالى في موعده.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الفأل والأمل من صفات الكبار ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ وما أكثر الأزمات والفتن والمصائب التي تحل بالفرد والمجتمع والأمم، وما حاجة الإنسان فيها إلى شيء حاجته إلى هذا المعنى الكبير.

• **وعلَّمتني**: أنَّ العلم يورث الخشية، حين ردَّ الله تعالى إليه أبويه واجتمع شمله، وتحقَّقت له أحلامه كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ عاد إلى ربه تعالى شاكراً ومثنياً، ورادّاً الفضل إليه أولاً وآخراً، وطالباً حسن الختام ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ وهذه المعاني لا يلقّاها إلّا صالح موفّق.

• **وعلّمتني**: أنّ من سنن الله تعالى أن يبقى أكثر الناس على ضلال ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ ومهما كانت البينات التي تصل إليهم، فلا تصنع لهم جديداً ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ والفقه بهذا المعنى مؤذن بأن يدفع الإنسان كل ما يملك في صالح مشروعه، ويستفرغ وسعه في قضيته، ويجهد بكل ما يستطيع في سبيل دينه ورسالته، ويكل ما بقي للحي القيوم، ويؤمن بأنّ سُنَّنه ستظل ما بقي الزمان.

• **وعلّمتني**: أنّ طريق الدعوة وسبيلها واضح بيّن من فجر التاريخ إلى يومك هذا، وإن اختلفت فيه الأساليب ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ واضحٌ بيّنٌ وفق الوحي من كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيه ﷺ، وكل اجتهاد أو مصالح

تعرض على الوحي، فإن صارت في فلكه فهي من السبيل الصحيح، وإلا رُمي بها عرض الحائط، ولو كان فيها ألف مصلحة مظنونة. يجب أن يفقه أنَّ وسائل الدعوة ليست توقيفية، ولكنها ليست فوضى بل لها منهج، وتجري عليها قوانين الوحي.

• **وعلَّمتني**: أنَّ النصر مع الصبر، وأنَّ مع الكرب والعسر فرجاً ومخرجاً، وإن طال أمد ذلك النصر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ يخبرك الله تعالى بأنّه في مرات يبلغ الحال من الأسى والألم برسل الله تعالى فضلاً عن غيرهم إلى مرحلة اليأس، ثم تحين مواعيد الفرج، ويعود الغيث بالربيع من جديد.

سورة الرعد

• **علَّمتني سورة الرعد**: أنَّ الإعراض عن الحق أسوأ ما بلي به إنسان في تاريخه كله ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ يخبر الله تعالى عن هذا الوحي أنه الحقُّ الذي به كل شيء، ومازال كثيرون معرضون عن الطريق. إنَّ من وعي المؤمن إذا عرف فكرة ملهمة وقضية كبرى وطريقاً صالحاً أن يسلكه ليحيا به من جديد، فكيف وهو يعرف هذه الحقيقة الكبيرة ثم لا يصنع بها واقعه، ويكتب من خلالها حظوظه في الدارين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من تأمل في خلق الله تعالى وألقى ببصره ومشاعره في هذا الكون عاد معظماً لربه تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ

بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٤﴾ خلق مدهش يحتاج إلى قلوب مؤمنة وعقول صالحة فحسب.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الله تعالى يعلم كل شيء، ولا تخفى عليه خافية ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ۝٩ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾ فليكن ذلك منك على بال، ومن كان بالله تعالى أعرف كان منه أخوف.

• **وعلَّمتني**: قاعدة عظيمة وسنة إلٰهية أنَّ الله تعالى لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ فلا يغيِّر الله تعالى حالك من بؤس وشقاء وضياع وضلال إلى نعيم وهدى وتوفيق إلا بقرار وجهد منك أولاً، وفي المقابل لا يغيِّر الله تعالى حالك من الأمن ورغد العيش وأفراح قلبك وجمع شملك ونماء مالك إلى خلاف ذلك إلا بخطوات منك أولاً. وهذه سنن لا تتخلَّف سواء كان العاملون لها أفراداً أو جماعاتٍ أو أمماً لا فرق.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل جهود الباطل لا قيمـة لها، وهي إلى ضلال وبوار، وكثيرها قليل في مقابـل الحق ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فلا يضرك كثرة الباطل، وقوة صوته وجلبتـه، فإنَّما هو إلـى زوال! كلمة الحق وإن كانت بسـيطة إلا أنها تأتي على زبد الباطـل وإن كان كثيراً، وجهد الخير وإن كان قليلاً يدفع جهد الباطل ولو كان لسنوات طويلة! السُّنَّة الإلٰهية في الحق والباطل لا تقاس بالكثرة ولا بالعدد ولا بالقوة، بل بالأثر ولو بعد حين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الحياة الدنيا التي يعيشها الإنسان عمره كله ليست في مقابل الآخرة التي ينتظرها سـوى متاع عارض، يـزول بزوال اللحظات ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ يقضـي ليالـي فـي السـهر الماجن، ويمكث أياماً على عبث الشـهوات، ويعيش زمناً بلا قيود، ثم تسأله في نهاية تلك الليلة، وفي اليوم التالي لتلك الشـهوات، فإذا به يحدثك عن الآلام في قلبه ومشاعر الأسى في نفسه فضلاً على أن يذكر شيئاً باقياً من أثر تلك الشهوات والفوضى التي عاشها زمناً من عمره، ولو أنه عاش كل عمره في متع الحياة دون توقف ووجد لها لذة ونعيماً لكانت بالنسبة إلى نعيم الآخرة مجرد متاع عارض، وفات عليه في النهاية كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الطمأنينة والأنس في ذكـر الله تعالى، وما عدا ذلك فسـراب لا قيمة له فـي شـيء ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ ومن عرف هذا المعنى وجد كل شـيء. وكم مـن باحثٍ عن هذه الحقائـق لم يصل بعد! وفـي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشـعري ﷺ قال ﷺ: «**مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكره مثل الحـي والميت**». وذكـر الله تعالى المراد بـه هنا: طاعته، وحسـن الصلة به، وصدق الإقبال عليـه، ومنه ذكره بالقلب واللسـان والجوارح. والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: عظمة كتاب الله تعالى ﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًا﴾ يقـول الله تعالى: لو كان من صفات كتابٍ من الكتب الإلٰهية أن تزال به الجبال، وتشقق به الأرض، أو يُكلَّم به الموتى لكان هذا القرآن، وقد قال تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] ولو أن موفَّقاً استقطع له من سنام وقته تلاوة وحفظاً وتدبراً لأدرك بعضاً من معاني هذه الأوصاف التي يشير الله تعالى لها في مثل هذا المقام!.

سورة إبراهيم

• **علَّمتني سورة إبراهيم**: عظمة هذا القرآن وأثره الكبير في واقع إنسان ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١﴾ المسألة أكبر من حسنة في حرفه مع جلالة هذا المعنى، ولكنّه إعادة تشكيلٍ للنفوس، وبناءٌ لتصوراتها، وإعادة تكوين لمفاهيمها، وحملٌ لأمانة التغيير، وصناعة النفوس.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل وسائل الهداية متاحةٌ للعالمين ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٤﴾ لقد أنزل الله تعالى كتاباً فيه كل ما يتعلق بدينه ومنهجه، وبعث إلى عباده رسولاً منهم وبلغتهم، ويمكنهم أن يعرفوا الطريق من أقرب مسالكه، ويبلغوا منه ما يرجون من أحلام، ولن يهلك على الله تعالى إلّا هالك.

• **وعلَّمتني**: أنَّ سنة الله تعالى الجارية: أنَّ من شكر الله تعالى على نعمه، وقام بحقه الكبير، واستثمرها في طاعته ومراضيه أبقى الله تعالى عليه نعمه، وزاده منها ما يشاء، ومن كفر بها وجحدها ولم يستعملها في طاعته جرت عليه عاديات الزمن، وفاتت من واقعه ولو بعد حين ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ الشكر موجب لبقاء النعم وزيادتها، وكفرها موجب للحرمان منها، وشكر نعم الله تعالى ليس المقصود منها ما يردده صاحبه باللسان، وهو متخلف عن أمره، وواقع في نهيه، وإنَّما شكر العمل والتطبيق!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ عوائد صلاح الإنسان وجهده وتعبه لذاته، وليس لله تعالى من ذلك شيء ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ وفي صحيح مسلم أنَّ النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «**يا عبادي كلكم ضالٌّ إلَّا من هديته.... الحديث**». ومن فَقِهَ هذا المعنى أقبل على ربه تعالى، وأخذ لنفسه ما يكفي للنجاة بين يديه تعالى يوم القيامة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ ثمة نقاشاً كبيراً وعريضاً سيدار يوم القيامة بين الرؤساء والمرؤوسين والأتباع والمتبوعين ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ

ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ومَنْ أجّـر عقله للآخرين، ورضـي بضياع حريته، وجعل نفسه عبداً يرسف في أغلال العبودية لمخلوقين، فليس له سوى الندامات.

• **وعلّمتني**: أنّ أتباع الشيطان سيتلقون يوم القيامة محاضرة تأنيب ضمير وعزاء من مسؤول الضلالة وكبيرها الأول ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ومن سـلّم قياده للشياطين استحق أن يكون حاضراً في مشاهد الحرمان.

• **وعلّمتني**: أثر الكلمـة الطيبة ودورها الكبير فـي صناعة أفكار الإنسـان ومفاهيمه ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ سواء كـانت كلمـة التوحيد التـي تترجـم العبودية المحضة لله تعالـى، وتمثـل اسـتعـلاء الإنسـان بمنهجـه، ويتخلّص بهـا المؤمن مـن الأوهـام العارضـة فـي

الطريق، أو كلمة الخيـر والإصلاح التي تصنع مساحات للربيع في قلوب العالمين، وتنير لهم الطريق، وتبعث فـي قلوبهم الجمال، وفي المقابل سوء الكلمة الخبيثة وأثرها القبيح ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ سواء كانت كلمة الشرك والنفاق التي تكتب على صاحبها شـقاء الدارين، أو كل كلمة تمد في مساحات الفساد، وتعيق دين الله تعالى، وتفرّق كلمة المسلمين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الكلمة الطيبة ولو كانت قليلة وبسيطة إلا أن أثرها باقٍ، ودورها كبير، ومساحتها مدهشة إلى أقصى مدى ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ومن وعى هذا المعنى لم يحتقر كلمة طيبة في أي مساحة، وجهد في إثراء واقعه بكل ممكن، وأتى على أمانيه من خلال هذا المعنى الكبير، والكلمة الخبيثة بخلاف ذلك؛ ضعيفة البنيان، قليلة التأثير ولو خرجت في قرارات، وصدرت من مسؤول، وأتت في نظام، وأخذت حظها من الدعم تعود في النهاية للخيبة والخسـران والفشل والحرمان ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ ومهما كانت صورها وصداها ودائرة حيّزها في البدايات، فلا تحتفل بها فهي في النهاية إلى الخسران!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الثبات على الحق، والاستمرار على الطريق، وبقاء الإنسان حيّاً بأفكاره ومفاهيمه منَّةٌ من الله تعالى، وعون كبير من خالقه، ورحمة واسعة من مولاه ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ كم من إنسان آتاه الله تعالى إيماناً فسُلب منه وعاد تائهاً ضالاً في الطريق! وكم من إنسان منَّ الله تعالى عليه بعلم أو فكر، فسلبه الله تعالى منه وعاد جاهلاً من جديد! وكم من إنسان عاش زمناً طويلاً على الحق يدافع من أجله، فعاد عدواً له يحاربه في عرض الطريق! وكم من إنسان خُذل في حياته، وآخر عند الموت، وثالث بين يدي الله تعالى، نعوذ بالله تعالى من الحَور بعد الكور، ومن الضلال بعد الهداية.

• **وعلَّمتني**: أنَّ مشكلة العابثين بالقيم والصانعين للمنكر لا يؤذون نفوسهم فحسب، وإنَّما يبددون نِعَم الله تعالى على كل من حولهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ وإن كان أصل هذا ترك من حولهم للإنكار، وضعف قيامهم بدورهم الإصلاحي في ذلك الواقع، إلَّا أن بادرة المنكرات التي يصنعها أولئك هي الفتيل الذي يأتي على كل شيء، ويكتب عليه في النهاية الزوال والضياع، والله المستعان! ماذا لو فقه كل فرد في المجتمع أنَّ صاحب المنكر لا يؤذي نفسه، وإنَّما يجرُّ الويلات عليه، ويبدِّد نعم من حوله، ويخسف

بكل بارقة أمـل في واقعه، ثم قام كل فرد بـدوره في النصيحة حفاظاً على المجتمع والأمة من الضياع!.

• **وعلَّمتني**: أنَّه لا سـبيل لك إلى حساب نعم الله تعالى عليك ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ ولو أنك تأملت فقط في عافية جسدك وقيامك وقعودك وذهابك ومجيئك لأدركت ما لله تعالى عليك من نعم، فضلاً عن نعمة الدين والأمن والأهل، واجتماع الشمل وقرة عينك وقلبك ومشاعرك بمن حولك، ومـا حاجة هذه النعم منك إلى شـيء حاجتهـا إلى عرفان لربك، وشكرٍ له، وإجلالٍ لشريعته، وقيام بمنهجه.

• **وعلَّمتني**: كيف يكون أدب القدوات مـع ربهم تبارك وتعالى! ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ هذا النبي الذي يصفه الله تعالى بأنَّه أمة، ويصنع مشاهد الجلال لربه تعالى، يبني بيته، ويسـأل ملحّاً ألّا يكون هو وولده عابداً للأصنام! دعوة تكفي عن ألف درس وموعظـة وذكرى! وبعضنا يقوم بركعتين في الليل، أو يصوم ثلاثة أيام في الشهر، ثم يرى نفسه بأنه من أصلح العالمين، وأولهم دخولاً للجنان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ مواقف الجلال في الكبار ليس جهدهم لصالح دينهم فحسب، وإنَّما مشاعر الرحمة التي تعيش في قلوبهم للضالين عن الطريق والشاردين عن الهداية ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ من حقّ هذا المعنى ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أن يكون منهجاً للدعاة والمصلحين والآباء والمربين قبل أن يبدؤوا الرحلة في أي مشروع!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الدعاء من أعظم أسباب بلوغ أمانيك، ومن عرف الله تعالى عرف الطريق إليه ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ ومن عرف أثر الدعاء أدمنه وتعلَّق به وأقبل عليه، ولو لم يكن فيه إلَّا حسن الظن بالله تعالى واليقين بوعده تعالى لكان كافياً عن كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من سوء الظن بربك أن تظنَّ به أنَّه لا يرى جهد عدوه وسعي المناوئين لمنهجه، وجهدهم في مدِّ مساحة الباطل على

حساب مساحة الحق ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ كل ذلك على مرأى منه، وهو يشهد كل شيء، ولكنَّه لا يعجل في عجلتك، ولا يحسب حساباتك، وله سنن كونية لا تتغيَّر ولا تتبدَّل، وثمة يوم للحساب والجزاء.

سورة الحجر

• **علَّمتني سورة الحجر**: أنَّ أقسى أنواع الحرمان أن تترك الإيمان للكفر، والهداية للضلال، والنور للظلام ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾ وقد حكى ابن كثير عن ابن الجوزي رحمهما الله تعالى أنَّ رجلاً من صحابة رسول الله ﷺ شارك في غزو الروم، فرأى امرأةً من نساء الروم فأحبَّها، فترك الإسلام وتنصَّر ورقى إليها، وبقي معها فمروا عليه بعد زمن فسألوه: ما فعلت صلاتك؟ ما فعل قرآنك؟ فقال: أما إنِّي نسيته كله إلَّا قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾! ومن جرَّب الحرمان عرف أثر هذا المعنى، وأدرك معانيه بجلاء.

• **وعلَّمتني**: أنَّك إذا احتجت إلى شيء، ورغبت فيه، فلا تسأله إلَّا من مالكه ومصرِّفه ومدبِّره ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾ وربك يملك كل شيء، وما يجري لك من خير وعون ورزق على أيدي المخلوقين، فتيقَّن أنَّ الذي كتبه لك وأجراه عليك هو ربك، وهؤلاء جعلهم الله تعالى سبباً بينك وبين رزقك

الذي جـاءك، وكل العالـم من حولـك محاويج فقـراء إلى صاحب الكنوز جلَّ في علاه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ المعركة مع الشيطان على أشُدّها ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ وقد أقسـم بربـه تعالى أنَّه ليضلَّنَّهم الطريق، ويسلك بهم غير سبيل المؤمنين، ويجتالهم في صحبته إلى نار جهنم في النهايات، وأخبرك أن الزينة أعظم أساليبه في الغواية، وأخطر تجاربه في الضلال، ومازال يجري في فلكه من هذا الطريق أمم، ويصنع بها ومن خلالها أحداث الضلال والظلام في كل يوم.

• **وعلَّمتني**: ألَّا تشغل قلبك ومشاعرك بمن حولك من المعارضين لدينك والمناوئين لمنهجك ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾! والصفح الجميل صفح بلا عتاب، اسعد بما معك من الحق، وارتفع عن حديث السفهاء، وتنفَّس الحياة كما تشاء أنت، لا كما يشـاء الآخرون. ومن عرف قدر الحياة حمل كل ما يأتيه منها على الصبر والحلم، وقد صنع أهل مكة في نبيك ﷺ كل أنواع البلاء، وحين قدر عليهـم لم يزد على أن قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء! وسـأل الله تعالى أن يغفر لهم فقال: «**اللهم اغفر لقومي فإنَّهم لا يعلمون**».

• **وعلّمتني**: أنَّ روح الإيمـــان تبعث على الاســـتعلاء عن مظاهر الدنيا الفانيـــة ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ لا تسمح لعينك فضلاً عن قلبك ومشاعرك أن تتدنى لرؤية زخارف هذه الحياة الفانية، ما لديك من إيمان ومباهج وأفراح وكنوز أعظم لك ألف مرة من عارض زهيد لا يمنحك ما تريد.

سورة النحل

• **علّمتني سورة النحل**: أنَّ الحكمة من إرسال الرسل تعبيد الناس لله تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ وعبادة الله تعالى اسم جامع لكلّ ما يحبُّه الله تعالى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وتخليص الناس من المعبودات الجاهلية والعبث بالعقول من خلال الأوهام والأفكار والمفاهيم والتصوُّرات الخاطئة، وحظُّ كلِّ داعية ومصلح من الحياة حظه من هذا المعنى الكبير.

• **وعلّمتني**: أنَّ من شأن المؤمن ألَّا يسأل في دينه إلَّا أهل الذكر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ وأعظم ما لدى الإنسان دينه ومنهجه، وإذا كان الأمر كذلك فينبغي ألَّا يستفتي فيه إلَّا عالماً تقيّاً من أهل الذكر كما أمر الله تعالى، وفي زمانك تنتشر صور من الترخص وسؤال كل إنسان، والرضى بكل فتوى، والاكتفاء بأي قول حتى ضاع على الإنسان كل شيء. وقد رأيت

من يعتني بنفسه، فلا يعرضها عند المرض إلَّا عند الاستشاري ولو كلفته آلاف الريالات، ولا يصلح سيارته إلَّا لدى مختص معروف، أطبق الناس من حوله على معرفته، وحين يأتي لدينه ومنهجه يسأل من يلقاه في عرض الطريق، ويكتفي بالنكرات فيما بينه وبين الله تعالى.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الجهل أخطر ما يواجه الإنسان، كانت الجاهلية بالأمس تحتقر الأنثى، وتكره ميلادها، وتئدها خشية العار في مستقبل الأيام ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝﴾ واليوم لا تجد حرجاً في خروجها لكل مكان، وفي أي ساعة من ليل أو نهار دون رقابة، وترى ذلك نوعاً من التحضُّر والتمدن. ومن قرأ الوحي عرف كيف أنَّ الشارع أعطى المرأة كرامتها وحفظ لها حقوقها، وفي المقابل صنع لها نظاماً تمارس به دورها، وتتقي به الجاهلية من حولها.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الشريعة عنيت ببناء الإنسان جسداً وروحاً، وهذه الإشارة إلى أنَّ عسل النحل شفاء ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾ جزء من هذا المعنى الكبير، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد

الخدري ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إنَّ أخي استطلق بطنه فقال: «**اسقه عسلاً**» فسقاه، فقال: إنّي سقيته، فلم يزده إلَّا استطلاقاً، فقال ﷺ: «**صدق الله وكذب بطن أخيك**». وفي البخاري عن ابن عباس ﷺ قال ﷺ: «**الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية بنار**». وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في سورة الفاتحة في قصة القراءة على اللديغ، وفيه: «**فكأنَّما نشط من عقال**». وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «**في الحبة السوداء شفاءٌ من كل داء إلَّا السَّام**». ونحو ذلك مما يدلك على كمال هذه الشريعة وعنايتها بالإنسان في كل شيء.

• **وعلَّمتني**: منّة الله تعالى على الإنسان ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٧٨﴾ ولد لا يعلم شيئاً فتولى الله تعالى تربيته وتأهيله حتى جعله قادراً على بناء نفسه. ومن فقه هذا المعنى أجرى له من صور الشكر والعرفان ما يجب لله! وكم من آثار لله تعالى على عبده حين خَلْقِه وبعد ذلك هي بحاجة إلى معرفة قلبية ومشاعرية، تجري أحداث شكرها من خلال تعظيم شرعه تعالى وإجلاله والقيام بحقه وواجباته.

• **وعلَّمتني:** أنَّ الإسلام جاء بناموس للكون، لا يختل في أي صورة من صوره، قانون يعامل الناس وحدة واحدة، لا فرق بين غنيّهم وفقيرهم، ولا كبيرهم وصغيرهم، ولا ذكرهم وأنثاهم إلا فيما ورد في الشرع فحسب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ قانون يقدِّم للحياة تصوُّراً واضحاً وشاملاً ومتكاملاً وصالحاً مدى الدهر، ثم هو في المقابل يأتي مصحوباً بالإحسان واللطف، وفيه سعة للصلح والعفو والصفح، ويأتي في مرات كثيرة على أماني الإنسان كما يشاء.

• **وعلَّمتني:** أنَّ الحياة في شريعة الله تعالى كما تقوم على العدل والإنصاف وإعطاء كل ذي حقٍّ حقَّه، فهي كذلك تحارب الفوضى، وتنهى عن الفحشاء والمنكر ﴿وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ وتسنُّ أنظمةً تكفل انتشار الحق وكلمة المعروف والعدل والإنصاف بين عموم الناس، وتضع ضوابط تحمي من الفوضى وإشاعة المنكرات في أوساطها.

• **وعلَّمتني:** أنَّ ما عند الله تعالى أبقى للإنسان مما هو في يده ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ وهذا المعنى كفيل في إعادة بناء تصورات الإنسان، وبناء منهجية التفكير لديه. فرق كبير جداً بين ما في يدك وما عند الله!

ما في يدك قليل جدًا أو لا شيء بالنسبة لما عند الله تعالى، وهو أقرب ما يكون للنفاد والنهاية، بخلاف ما عند الله تعالى، فهو يزيد ولا ينقص، ويكثر ولا يقل، ويبقى ولا ينفد! حقيقة ضخمة وكبيرة ومدهشة تصوّر لنا تلك التصرفات الخاطئة التي نمارسها مع ذواتنا، فنمسك خوفاً من النفاد، ونبخل خشيةً من الضياع، ونتقاصر عن العطاء رغبةً في قليل تراه أعيننا، ويفوت علينا في الوقت ذاته ذلك الوعد الكبير ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾! ولهذا المعنى كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان.

• **وعلّمتني**: أنّ الحياة الطيبة التي يبحث عنها العالم بأسره هي في دين الله تعالى فحسب ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ من أراد الحياة والسعادة والجمال وعالم الدهشة الكبير، فليبدأ رحلته مع الله تعالى، وسيرى في النهاية كل شيء ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ ليس من سافر أو رأى مشهداً أو سمع شيئاً وإنّما ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾! كل ما حولك لا يستطيع أن يقدم لك لحظة ممتعة خالية من شوائب المكدرات إلا العمل الصالح، فإنّه يفتح لك أبواباً تلقى فيها كل شيء. ومن جرّب عرف، ومن ذاق استلذ، ومن ترك هذه الحقيقة جرى الحرمان في حياته إلى أقصى مدى.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الكفر بنعم الله تعالى أعظم الأسباب في ضياعها ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ هذا مثل ضربه الله تعالى لمجتمع من المجتمعات وأمة من الأمم، كانت آمنة في واقعها مطمئنة في حياتها، يأتيها رزقها طيباً مباركاً من كل أقطار الدنيا، ولكنَّها كفرت بتلك النعم وبطرت، واستعانت بها على حرمات الله تعالى، وتعاملت معها على أنَّها لا علاقة لها بصلاح الإنسان أو فساده، بصوابه أو خطئه، فجرت في واقعها المنكرات، فألقى الله تعالى بها في النهاية إلى الضياع. هذه سنة إلٰهية غير قابلة للتغيير أيًّا كان المستقبِل لنعم الله تعالى، فرداً أو جماعةً أو أمةً، مَنْ قام بشكرها أبقاها الله تعالى، ومن لم يحتفِ بها تبدَّدت من واقعه وعاد لأسوأ الأحوال، والله المستعان.

• **وعلَّمتني**: أنَّ لشريعة الله تعالى أبواباً محكمة لا يجوز لمخلوق أن يتسوَّرها مهما كانت الدواعي إلى ذلك ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ فأمر التحليل والتحريم في شريعة الله تعالى له أهله المعروفون به، وليس من حقِّ إنسان يلوك هذه الشريعة بلسانه محلِّلاً ومحرِّماً مهما كانت الدواعي إلى ذلك، ومن فعل ذلك كان أقرب ما يكون إلى عدم الفلاح والتوفيق.

• **وعلّمتني**: أنَّ بالأمــة حاجة إلى القــدوات الكبار ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ والأمة: هو القدوة في الخير، والقانت: هــو المطيع له تعالــى الملازم الذي لا ينفــك عن طاعته، والحنيف: هو المقبل على الله تعالى المعرض عمّا سواه، وهو الجامع لصفــات الكمال من العلــم والعمل. إنَّ هذا الوصــف ضخم للغاية، والمدهــش فيه أنَّ الواصــف الله تعالى، وحق هذه الســيرة الذاتية أن يتولاها الكُتّاب والمصلحون بالعــرض والكتابة والتأليف حتى تكون مناراً للأجيال، وطريقــاً للحياة في زمن بات الإعــلام يعرض صوراً للقدوات غير صالحة للحياة في أبســط معانيها فضلاً أن تكون منهجاً في كل شيء. والله المستعان!.

• **وعلّمتني**: أنَّ الدعوة رسالة ضخمة ومسؤولية كبيرة ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ وهذه الآية تُعطي منهجاً مرتباً منظماً واضحاً في التعامل مع المخاطبين، فالمســتجيب القابل الراغب في الحق المحب له المؤثر له على غيره إذا عرفه يُدعى بطريق الحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة وجدال، والقابل الذي عنده نوع غفلة فهو معرض ومشتغل بغير الحق، ولكن لو عرفه لاتبعه، فهذا يحتاج مع الحكمة إلى الموعظة بالترغيــب والترهيب، والمعانــد الجاحد يُجــادل بالتي هي

أحســـن، ومن تســـنَّم هذه القضية وأقبل عليها وجعلها مشروعه الكبير، فعليه أن يعتني بها قــراءةً وتدريباً وتأهيلاً حتى يأتـــي منها على أمانيه، ويكفي أنَّها مشـــروع الأنبياء، ومـــا حاجة هذه الأمم اليـــوم إلَّا لداعية، يجري هذه الشريعة السمحة في عقولها، ويصنع في قلوبها الحياة.

• **وعلَّمتني**: قاعـــدة كبيرة وهـــي ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾ وأنَّ معية الله تعالى وتوفيقه وتأييده ونصره لإنسان على قدر ما معه من هذا المعنى الكبير (التقوى والإحسان)، ومن أقبل على ربه مجلاً معظِّماً لشريعته مجيباً لأمره مقدِّساً لنهيه، وأحسن في عبادة ربه تعالى، وأغاث من حوله بإحســـانه وجوده وكرمه وعفوه وتسامحه تحقَّق له هذا المعنى، ووجد ما يسعده في الدارين.

سورة الإسراء

• **علَّمتني سورة الإسراء:** أنَّ صلاح الإنسان وإقباله على ربه تبارك وتعالى وصلته به عائدٌ إلى ذاته، وهو المنتفع به أولاً وأخيراً، وفساده في المقابل ومعصيته وخذلانه عائدٌ إليه كذلك لا فرق، ولن ينفع غيره أو يضره في شيء من ذلك ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ وهذا الفقه مؤذن بأن يعود الإنسان إلى نفسه، ويتأمل ما هي عليه، ويعرف طريقه بوضوح، ويجهد في إعادة خارطة الطريق من جديد قبل أن يفوت عليه شيء.

• **وعلَّمتني:** أنَّ هذا القرآن كتاب هداية لكل شيء ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ يهدي للتي هي أقوم في نفسك وفكرك وعقلك وجسدك وروحك، ويهدي للتي هي أقوم مع زوجك، وفي تعاملك مع ولدك، ويهدي للتي هي أقوم في معرفة الهدى وأسبابه وطرقه الموصلة إليه، ومعرفة الشر وأسبابه والطرق الموصلة إليه كذلك، ويهدي للتي هي أقوم في شفاء علل الشهوات والشبهات، ويهدي للتي هي أقوم في

معرفة الحق مـن الباطل، والنـور من الظلام، والصـواب من الخطأ، والحقيقة من الأوهام، ويهدي للتي هي أقوم في كل شـيء، ومن أقبل عليه متأملاً متدبراً وسـأل الله تعالى أن يشـرح صدره لذلك المعنى الكبير سقاه الله تعالى منه الهداية من أول الطريق.

• **وعلّمتني**: أنَّ من سنن الله تعالى الثابتة أنه إذا تسلط المترفون في أرض أو مسـاحة ومكان بالفسـق والجهل والفوضى وإشاعة المنكرات أجـرى الله تعالى عليها الهـلاك والضياع ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ وثمرة هذه الحقيقة أن تدرك سـنن الله تعالى في واقعك، وتحاول أن تكون جزءاً من الحل، وتسهم في مغالبة واقعك، وتصنع واقعاً للنجاة.

• **وعلّمتني**: مكانة الوالدين في شـريعة الله تعالى، وأنَّ الله تعالى قرن طاعتهما بتوحيده ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ وهذا الفقه مؤذن بطاعتهما وعظيم برّهما، وفي صحيح مسـلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال ﷺ حيـن رقى المنبر: «رغم أنفه»، فسـئل عن ذلـك فقال: **«جاءنـي جبريل السـاعة فقال:**

يا محمد! من أدرك والديه فلم يغفر له رغم أنفه»، أي حق أنفه أن يمرّغ في التراب؛ لأنّه مضيّع للفرص! وفي النسائي ـ وصحّحه الألباني ـ من حديث عبد الله بن عمرو قال ﷺ: **«رضا الله في رضا الوالد، وسخط الله تعالى في سخط الوالد»**، وفي سنن أبي داود ـ وصحّحه الأرناؤوط ـ قال ﷺ: **«ما من ذنب أجدر أن يعجِّل الله لصاحبه العقوبة مع ما يدخره له يوم القيامة من العقوق وقطيعة الرحم»**.

• **وعلّمتني**: أنّ التوزان فضيلة جليلة في واقع صاحبها ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ هذه وصية الله تعالى، لا تمسك في إنفاقك لدرجة الشُّحّ والبخل، ولا تسرف في الإنفاق، فيضيع منك كل شيء. كن متوازناً واعرف قدر ذلك المعنى في حياتك، وشارك في كل فضيلة، واكتب حظّك منها أعظم ما يكون، وفي المقابل انظر لأولوياتك وواجباتك، واجعل شيئاً يكفل نجاحها وتحقيق حظوظها، وعدم ضياعها منك في مستقبل الأيام.

• **وعلّمتني**: أنْ يترفَّع المؤمن عن مناهي الله تعالى، وألّا يقع في مستنقع الشهوات، فيذهب منه كل شيء، فيترك الزنى ويترفع عن قتل النفوس، ويسمو بنفسه عن حقوق وأموال اليتامى، ويوفي كيله الحسّي

والمعنــوي للمخلوقين الذين يتعامل معهم، ولا يتكلم في شــريعة الله تعالى بالظنون والأوهام، ويتأدب مع ربــه، ويدع الكبر والتبختر على عباد الله تعالى، فإنَّ ذلــك من كبائر الذنــوب ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾.

• **وعلَّمتني:** أنَّ الكلمة رسالة ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ لم يأمرهم الله تعالى في هذا النصِّ بالحَسَنِ، وإنَّما أمرهم اختيار الأحسن والأجمل والأكثر أناقة، وفي الصحيحين مــن حديث أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «**والكلمة الطيبة صدقة**». وفي الصحيحين من حديث سهل بن حنيف ﷺ قال ﷺ: «**لا يقولــن أحدكم: خَبُثَتْ نفســي، ولكن ليقل: لَقِسَتْ نفســي**»، وكلها في معنى الغثيان، ولكن الثاني ألطف وأجمل تعبيــراً وأليق بجمــال الحياة مــن الآخر، وقــد قال إبراهيــم تلميذ الشافعي رحمه الله يوماً وهو يذكر للشافعي بيان حال رجل في علم الجرح والتعديل: فلان كذَّاب! فقال له الشافعي رحمه الله: «**أَكْسُ ألفاظك أحسنها**».

ومن عرف هذا المعنى جهد ألَّا يقول إلَّا كلامـاً جميلاً رائعاً، ويكاثر بهذا المعنى في الحسنات.

• **وعلَّمتني**: أنَّ ما يبعثه الله تعالى في الكون من آيات إنَّما هي على سـبيل الإنذار والتخويف لعبـاده ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾. وفي الصحيحين من حديث عائشـة رضي الله عنها قالت: كان رسـول الله ﷺ إذا رأى مخيلةً تغيَّر وجهه، ودخل وخرج، وأقبل وأدبر، فإذا مطرَتْ سُرِّي عنه، فذُكِر ذلك له فقال: «**ما أمنت أن يكـون كما قال الله**: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٤ ـ ٢٥]. ومن فِقْهِ الإنسـان وكمال عقله ووعيه أن يأخذ حظـه من العبرة، وأن يعود إلى ربه تبارك وتعالى، ويصلح ما بينه وبينه قبل الفوات.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الحق هو الأبقى والأظهر والأدوم في أي مسـاحة من الأرض مهما كان الباطل فيها ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ هذه سـنة الله تعالى، حتى لو كان الحق قليلاً في مقابل كثرة الباطل، ولو كان الحق ضعيفاً في مقابل قوة الباطل، ولو كان الحق وحيداً في مقابل جمهور الباطل، سـنة الله تعالى الكونية التي لا تقبل التغيير والتبديل تخبرنا بأنَّ الحـق أبقى وأظهر وأقوم في مقابل ضعف

الباطل وضياعه، وذهاب أثره في النهايات. ثمة فرق كبير بين حقٍّ يملك مقومات البقاء، وباطل كالهبـاء في يوم عاصف، حق يسـتمد وجوده وقوته من الله تعالى، وباطل يسـتمد قوته من شـياطين الإنس والجن، فرق بين حقٍّ يلامس فطرة الإنسان وطبيعته، وباطل يعارض أصل هذه الفطرة، فرق بين حق يجد الإنسان لذته وفرحه وجماله ودهشته عند أول فعله، وباطل يجد الإنسـان مضّه وألمه في كل لحظة من لحظات عمره ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ هذا القرآن شـفاءٌ ورحمة، شـفاءٌ للأبدان، وشفاءٌ للأرواح، وشـفاءٌ كذلك للعقول، شـفاءٌ للأبدان من عللهـا وأدوائها وأمراضها، وفي حديث الرجل الذي قُرئت عليه سورة الفاتحة «**فكأنما نشـط من عقال**». والحديث في الصحيحين، وشفاء للأرواح؛ فكم من ضالٍّ ألقى القرآن في قلبه الحياة، وأشرقت روحه بعد ظلامها الطويل، وعاد من جديد! شـفاء للنفوس والأرواح من قلقهـا وحيرتها للهدى، وشـفاء للعقول من الأفـكار الضالة والأهـواء المنحرفة والشـبهات العارضة، وهو شفاءٌ لكل شيء.

سورة الكهف

• في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة حتى ظننَّا أنَّه في طائفة النخل، ثم ذكر صفاته، وقال: «**فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف**»، وفي صحيح مسلم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال**)، وقال ﷺ: (**من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين**) صحَّحه الألباني.

• **علَّمتني سورة الكهف**: أنَّ كل ما تراه على الأرض من زينة ومباهج الحياة إنَّما هي للابتلاء والاختبار والامتحان ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ وهي زينة فاتنة لأقصى مدى، والاستعلاء على تلك الزينة هو دأب المؤمن العارف بسنة الابتلاء، وهذه حقيقتها التي يقررها كتاب الله تعالى، ومن فقه هذا المعنى أخذ منها ما يبلِّغه الآخرة، وحرص غاية الحرص ألا يعارض منها شيء تلك المقاصد الكبرى، وأن تكون وسيلة وطريق لتلك الآمال فحسب.

• **وعلّمتني**: أنَّ القصص من أقرب الأساليب التربوية لبناء المفاهيم والأفكار والتصوُّرات ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١﴾ وثمة دروس ومعالم تسهم في بناء الإنسان في سورة الكهف لا تأتي إلا من خلال هذه الأساليب، ومن فقه المربي أن يعتني بذلك في مشروعه، وأن يستلَّ من هذه المعاني ما يأتي على أمانيه في مستقبل الأيام.

• **وعلّمتني**: أنَّ من أقبل على الله تعالى صادقاً صنع الله تعالى له كل شيء ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ۝١٤﴾ آمنوا بربهم تعالى، واستقاموا على منهجه، ورفضوا الباطل، واعتزلوا المنكر، وقرروا الاستعلاء بمنهج الله تعالى، وتركوا ديارهم وخرجوا فارّين بدينهم ومنهجهم، فزادهم الله تعالى هدى، وربط على قلوبهم، وتولّى شأنهم كله ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۝١٦﴾ ومن فقهك أن تدرك أن حسن الإقبال على الله تعالى يصنع لك فوق أمانيك.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل شـيء مرهون بقدرة الله تعالـى وإرادته، وهو الحاكم في الكون يُصرِّفه كيف يشـاء ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣﴾ وإذا كان الأمر كذلك، فلا ينبغي لإنسان أن يجزم بشيء من أمره إلا معلَّقاً بالمشـيئة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ﴾ وهو نوع من الأدب مع ربك تعالى، تستشعر فيه قدرته وجلال ملكه وتصريفه لكونه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الحياة بحاجة إلـى أعوان، والطريق طويل ومكلف، ويحتاج إلى أصحاب، وخير ما استعان الإنسان به صحبة الصالحين ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨﴾ وإذا تأملت الوصية وجدتهـا تدعوك للصبر مع تلك الرفقة التي تختارها، وتشدِّد عليك ألّا تلتفت عنهم للزينة العارضة، ولا تنصرف للشهوات التي تدعوك للتخلي عن منهجك وعقيدتك ورسالتك، وتذكرك بأن صحبة الغافلين الذين آثروا الهوى على العقيدة والمنهج، لا تصلح لرفقة الطريق الطويل. وإياك ألف مرة أن تذهب حياتك في صحبة من كان أمره فرطاً أي: ضائعاً بلا منهج ولا قيمة ولا روح!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الاستعلاء بالمنهج فرع عن العزَّة به ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ إذا قررت الهداية، فارفع رأسـك

عالياً، وانظر لأفق السماء فأنت عبد لربك، وهذا الذي تسير عليه منهجه ودينه، ورسولك محمد ﷺ أعظم الرسل قدراً، وأعلاهم منزلة، وأقربهم مكانة، والحق الذي معك هو دين الله تعالى الذي ينبغي أن يكون حاكماً في الأرض، وكل ما عداه أهواء باطلة لا قيمة لها في شيء.

• **وعلّمتني**: أنَّ المغتر بماله، والمعتز بمكانته، والمتكبر بما أعطاه الله تعالى نموذج للبغي في الأرض والعدوان على القيم والاستكبار على النعم، وعادة الله تعالى في كل أولئك أن يجري عليهم سننه، ويجعلهم درساً وذكرى للتاريخ ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ بَطِرَ النعمة وتكبّر على صاحبه الفقير، وتألّى على الله تعالى أنه لا يبيد جنته، حتى أنكر قيام الساعة، فأجرى الله تعالى عليه سننه وآياته ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ وهذه سنة الله تعالى في كل من آتاه الله تعالى شيئاً ثم لوى رقبته متكبّراً، ولم تردّه تلك النعم إليه!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ للحياة قيماً وموازين توزن بها، وتقيَّم من خلالها ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ فكثرة المال والأولاد ليست من قيمها ولا موازينها، فلا ينبغي أن يُحتفل بها في شيء إلا إذا كانت عوناً على مراضي الله تعالى. القيمة الكبرى التي تحتاج إلى رعاية وعناية تلك الباقيات من العمل الصالح ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ وهي الأقوال والأفعال التي يتقرب بها الإنسان من ربه، وتجري في فلك وحيه وشرعه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل إنسان يكتب تاريخه كما يريد، ويصنع لنفسه ما يشاء ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ كل دقيقة من حياتك، ولحظة من عمرك، ومساحة من واقعك، ستأتي مكتوبة ومدونة ومرصودة، وهي التي ستكتب حظها في ميزانك خفَّةً وثقلاً وفوزاً وخسارة، ومثلك أوعى بألا تأتي متأخراً أو في مساحة خسران.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل إنسان في النهاية نتيجة لأمانيه وطموحاته ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ قرر موسى عليه السلام ألَّا يبرح الأرض، أو يتوقف في الطريق، أو

يَكِلَّ عن مقصده الكبير حتى يلقى الخضر عليه السلام ويأخذ منه العلم، ويجد الأماني التي يبحث عنها، وكان له ما أراد. وأنا وإياك إن لم تكن عزائمنا كذلك، وإلا فلا مفروح بتلك الأماني التي ترزح في قلوبنا من زمن طويل.

• **وعلّمتني**: أنَّ عدم العلم مفضٍ بصاحبه إلى الحرمان ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ وقد تكرر هذا اللوم ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ ثلاث مرات، وفي النهاية اعتذر منه، وقصَّ له أسباب ما صنع، وفي البخاري عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال ﷺ: «**يرحم الله موسى لو كان صبر لقصَّ علينا من أمرهما**». وليس هناك ألذ من العلم، وما أكثر ما يجري في نفوس الناس من استغراب بعض المعاني حتى يأتي العلم، فيبدِّد ذلك الاستغراب.

• **وعلّمتني**: أنَّ صلاحك مع ربك تبارك وتعالى أعظم سبب تنال به أمانيك، يصلح به بيتك، ويبارك لك في مالك وولدك، ويجري لك الخيرات في الدارين ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ ومن عرف هذه الحقيقة وأقبل إليها صادقاً جاداً لقي من عاجل بشراه.

لا يكرمون ولا يُضيِّفون، ثم يدخلون ويبنون جداراً، وسبب ذلك أن كنزاً لأيتام تحت هذا الجدار، وفعلوا كل ذلك لأن أباهم كان صالحاً، وهو الجد السابع لهؤلاء الأيتام، وليس والدهم الأصل حتى تعرف قدر صلاح الإنسان في تحقيق أمانيه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ إقامة العدل أساس كل شيء ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ وما كان هذا المعنى في أسرة وبيت أو مجتمع ومؤسسة أو دولة وأمة إلا وصارت إلى التوفيق، وما تخلَّف عنها إلَّا صارت إلى الحرمان، وقد قال شيخ الإسلام ﷺ: إنَّ الله ينصر الدولة الفاجرة إذا كانت عادلة، ويخذل الدولة المسلمة إذا كانت ظالمة. وكم ترك الظلم من آثار! وكم بعثر من بيت، وفرَّق من شمل، وكتب الحرمان في مساحات كثيرة! والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الوحدة في الصف والعمل الجماعي من أعظم مواصفات القائد ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ وذو القرنين هنا يصنع هذه الوحدة ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ ويبني من خلالها الصف الكبير، وهذا المعنى كبير وجليل وعظيم، ولا

يصل إليه إلَّا موفَّق، وقد قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وما كل مريد للنجـاح بلغه، وكـم من بيوت تفرَّقت! ومؤسسـات تشـتَّتت! ومجتمعات ضاعت لفوات هذه الفضيلة من واقعها.

• **وعلَّمتني**: أنَّ العفة والقناعة من صفـات الكبار، وقلَّ أن تجد كبيراً يده ممدودة إلى عطاء من حوله ما لم يكن به ضرورة إلى ذلك ﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ عرضوا عليه أن يهبوا له خرجـاً، فأبى وذكَّر بأن ربه تعالى أعانه ويسَّـر أمره، وسـدَّه عن التطلع إلى ذلك، وهو نوع من أدب القادة حين يمكِّنهم الله تعالى من كل شـيء، فيعيـدون الفضل له، ويرون بأن المنة الكبرى له تعالى ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الطموح والهمم العالية والأماني الضخمة لا تصلح إلا للكبار، لقد طاف ذو القرنيـن الأرض حتى بلغ مغربها ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ ﴾ وطافهـا من الجهـة المقابلة حتى بلغ

مشـــرقها ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾ ﴾ والقدوة قاعــدة النهضة في كل واقع ومســاحة، ومن لم تثق بقدوته، فلا تجري أنفاس مشاعر جديته في قلبك ومشاعرك، وكل أب ومعلم وقائد في مؤسســة أو مجموعة لا يعلّم أبناءه وطلابه وأصحابه ومرؤوسيه هذه القدوة الصالحة للحياة، فلا سبيل إلى أمانيه.

• **وعلّمتني**: أنَّ من الفقه والوعي وكمال العلم الأخذ بالأسباب في كل مشروع يراد له النجاح، والفوضى لا تخلّف إلّا الإخفاق والضياع، وقد أخذ ذو القرنين كل الأســباب الكفيلة بنجاحه، وأكّد على معانيها الكبار وآثارها أربع مــرات ﴿ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ ﴾ وكان النبي ﷺ إذا خرج للحرب لبس لأمته ودرعه، ويوم خرج في حادث الهجرة للمدينة صنع كل شــيء غير أن ذلك يجب ألّا يتعــدى الأخذ بالأســباب، وتتعلق القلوب بمالك الملك ومسبّب الأسباب جلّ في علاه، فإنه كل شيء.

سورة مريم

• **علَّمتني سورة مريم**: أنَّ الحياة عبارة عن مشروع ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ خاف هذا الصالح ألَّا يقوم قومه بفكرته وقضيته ومشروعه، فسأل الله تعالى مُلحًّا أن يرزقه ولداً يقوم على إرثه الحقيقي من الحياة (إرث المشاريع)!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الدعاء من أعظم الوسائل الجالبة للتوفيق ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ وهو أقرب الوسائل وأيسرها إلى تحقيق أمانيك، إلَّا أنَّه موقوف على صدق طلبك وكثرة إلحاحك، وله شروط في القبول؛ من أعظمها أكل الحلال، وتجنُّب الحرام، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ذكر ﷺ الرجل أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذِّي بالحرام، فأنَّى يستجاب له! وعند الترمذي من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه - وحسَّنه

الأرناؤوط ـ قال ﷺ: «**لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليبعثَنَّ الله عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**».

• **وعلَّمتني**: أنَّ الاستقامة وحمل هموم الدين والسير به في العالمين تحتاج إلى ناهضين ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾﴾ فدين الله تعالى أجلُّ من أن يؤخذ بالضعف والخمول والتهاون والكسل، يجب أن تصدق في نيتك، وتقبل إليه بقلبك ومشاعرك، وتجهد في بناء نفسك قدر وسعك، فقد قام نبيك ﷺ حتى تفطَّرت قدماه، وصلَّى آخر حياته ﷺ جالساً بعد ما حطمه الناس، فانهض من فراش نومك وسرير قعودك، ولا تتوقف حتى تحين مواعيد اللقاء بربك، وتأتي في منازل الفالحين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ نجاح كل إنسان وفلاحه وبلوغ أمانيه وقفٌ على الخطوة الأولى ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾﴾ السماء لا تمطر ذهباً، والرطب الذي تراه عينك لا يمكن بلوغه إلا بمحاولات جادَّة وصادقة، وإلَّا ستنتظرين غائباً حتى الموت.

• **وعلَّمتني**: أنَّ إدارة الأولويات فنٌّ لا يصنعه إلَّا الكبار ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا

يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ لقد بدأ إبراهيم دعوته ومشروعه وقضيته الكبرى ببيته أولاً، وبأبيه، وانطلق في دعوته من القاعدة ومن أول الطريق، وما أكثر الفوضى في هذا الشأن وما أكثر الإخفاقات! ولو أنَّ عاقلاً عرف قدر هذا المفهوم فأقبل على علاقته مع ربه تعالى، وعني أولاً بصلاته حضوراً في المسجد، وإدراكاً لتكبيرة الإحرام، وخشوعاً، وكثرة نافلة لأتى في النهاية على كل شيء، ثم رتَّب علاقته مع الآخرين، فجعل والديه هم الأصل وقاعدة الاهتمام الكبرى، ثم أهل بيته ورحمه وجيرانه لتحقَّق له ما يريد.

• **وعلَّمتني**: إذا صلحت صلاتك صلح لك كل شيء، وإذا ضاعت ضاع كل شيء ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ وقد قال ابن القيم رحمه الله: والصلاة مجلبة للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، طاردة للأدواء، مقوية للقلب، منشطة للجوارح، ممدَّة للقوى، شارحة للصدر، مغذية للروح، منوِّرة للقلب، حافظة للنعمة، دافعة للنقمة، جالبة للبركة، مبعدة من الشيطان، مقرِّبة من الرحمٰن، وبالجملة: وما ابتلي رجلان بعاهة أو داء أو محنة أو بلية إلا كان حظ المصلِّي منهما أقل وعاقبته أسلم. اهـ.

وكل من تخلَّف عن هذا المعنى الكبير لقي غيَّين؛ غيّاً عاجلاً في الدنيا من غمومها وهمومها وظروفها وعسرها وضياعها، وغيّاً في الآخرة، يتقاصر القلم عن وصفه ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كرم الله تعالى على قدر إقبالك عليه ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «**قال الله تعالى: وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه..**»، «**ومن تقرَّب إليَّ شبراً تقرَّبت إليه ذراعاً، ومن تقرَّب إليَّ ذراعاً تقرَّبت إليه باعاً، وإنْ أتاني يمشي أتيته هرولة**». وأنت ورغبتك وجهدك وعملك، فعلى قدر هذه المعاني تنال المكرمات، والقعود والتواني لا يخلِّف إلا الضياع، والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الله تعالى إذا قَبِلَك قَبِلَ منك كل شيء ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ كحال هؤلاء أقبلوا إلى ربهم راغبين صادقين جادّين، فألقى الله تعالى عليهم حبه ورضوانه، فجرى حبهم في قلوب العالمين. وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**إنَّ الله إذا أحبَّ عبداً نادى جبريل: إنِّي**

أحبُ فلاناً فأحبَّه يا جبريــل. قال: فيحبُّه جبريل، ثــم ينادي جبريل: يا أهل الســماء إنَّ الله يحبُ فلاناً فأحبوه. قال: فيحبُّه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فــي الأرض». فدونك هذه الأمانــي، ومن صدق الله تعالى صدقه الله!.

سورة طه

• **علَّمتني سورة طه**: أنَّ الحياة أقرب ما تكون إلينا وبين أيدينا، ونحن نبحث عنها متلهِّفين ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ مشكلة العالم اليوم أفراداً وجماعات ودولاً أنهم يبحثون عن الفلاح والنجاح، ولكن من غير الطريق الذي اختاره الله تعالى لهم! في كتاب الله تعالى كل شيء، ومازلنا نرى بأنَّه مجرد كتاب للأجر فحسب. وسيظل النهر يجري أمام أعيننا، ولكننا غير مدركين لما فيه! لقد جاء هذا القرآن ليخرج الناس من الظلام إلى النور، ومن الشقاء إلى الراحة، ومن الفوضى إلى الطمأنينة ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾.

• من معالم هداية القرآن الكبرى أنَّه يعيد بناء تصورات الإنسان، ويؤهله للحياة من جديد ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣﴾ كان موسى طريداً شريداً خائفاً من خطئه باحثاً عن النجاة، وفجأة يعيده الوحي إلى دور المصلح الكبير الذي يبذل كل شيء لإنقاذ العالمين من التيه وإخراجهم من الظلمات. لن تعرف الفرق إلا إذا رأيت شاباً يشتكي من ظلام المعصية وكثرة

الأخطاء وملازمتـه للعثرات، ويبحث عن الطريـق الأمثل للخروج من النفق، ثم يتحوَّل فكره من دور السائل المسكين الباحث عن الحل إلى دور حامل الراية، وصاحب المهمة، وصانع القـرار، فتتحوَّل كل تلك الأسـئلة التي كانت تواجهه وتغرقه في أحداثها إلى دور المجيب عنها والمبدِّد لظلامها. ترى موسـى عليه السلام في هذا الموقـف يتحوَّل بالوحي ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ۝١٣﴾ مـن دور الهارب الشـارد الباحث عن الحل إلى دور المصلح المنقذ للعالمين مـن الضلال! في مرات كثيرة وكثيرة جدًّا نحتاج أن نخرج من دوائر الهامشية ودور الضحية والمؤامرة الكبرى على الأمة إلى الحامل لراية الإصلاح والتغيير.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الهداية اصطفـاء واختيار ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ۝١٣﴾ وإن كان هذا في مقام اصطفاء موسى عليه السلام بالرسالة إلَّا أنَّ الأصل أنَّه جـارٍ في كل منَّة يمـنُّ الله تعالى بها على إنسـان! وهذا المقـام أصله من الله تعالـى، ولكنَّه مرتب على أسـباب من صلاح القلوب، وحسن إقبالها على ربها تبارك وتعالى.

• **وعلَّمتني**: أنَّ صاحب المشـروع أحوج ما يكون إلى توفيق وصحبة صالحة ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۝٢٤ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝٢٦ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝٢٨ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَارُونَ أَخِي ۝٣٠ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۝٣٢ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۝٣٥﴾

فإذا ما شـــرح الله تعالى صدرك، وبـارك لك في وقتــك، وأقبل بك على مشروعك، ويسّر لك أسبابه وأعانك وسددك، ثم يسّر لك في المقابل من يأخذ بيدك ويعينك، ويســلّيك فــي الطريق، وتبلغ معه ومــن خلاله إلى أمانيك، فقد صنع لك كل شيء.

• **وعلّمتني**: أنّ صاحب الحق هو الأعلى شأناً وقدراً، الأعلى منهجاً ورســالة، والأعلى قدراً ومكانةً وقوة! ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾ حتى لو كنت في وجه طاغية الأرض، فأنت الأعلى، ولو كان يملك كل شيء فأنت الأعلى، أنت الأعلى حتى لو كنت وحدك في أرض النزال ومع فرعــون أمة الأرض، أنــت الأعلى لو كنت لا تملــك إلّا عصاك وفرعون يملك أعتى قوى الأرض، أنت الأعلى؛ لأنّ معك الحق ومعهم الباطل، معــك ربك ومعهم أباليــس الأرض، معك العقيــدة والمنهج الحق، ومعهم الخرافة والدجل والأوهام، معك الإيمان الصادق ومعهم متاع الحيــاة العاجل، أنــت الأعلــى؛ لأنّ معك الرب، وهــم الأدنى والأسفل والأحقر؛ لأنّ معهم بشر من الأرض!.

• **وعلّمتني**: أننا نملك أكثر القرارات أثراً في بناء مســتقبلنا ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾

من هم السحرة قبل هذا الموقف! ومن هم الآن! العلم ذاته الذي كان بالأمس معهم هو ذاته اليوم لا فرق، الفارق الوحيد أنَّهم رأوا الحقيقة واكتشفوا زيف الأوهام التي كانوا عليها، وكان القرار مدهشاً فوق العادة ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾﴾ قرار لا يتصوَّره إلا من حضر المشهد، ورأى جبروت الطغاة، وعرف كيف يستهان بالأرواح في مساحات الصراع! وما أكثر الذين يعرفون الحقيقة، ويدركون ضرورة التوبة، ويعرفون كل شيء، ولكنَّهم مازالوا يرون بأن قرارها مكلف ومجهد ولا تحتمله النفوس، فيبقون يراوحون في الظلام ذاته زمناً طويلاً، وقد يفوتهم كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الخطيئة مهما كانت كبيرة في حق نفسك وعظيمة في حق ربك إلَّا أنَّها مقابلة بهذا المعنى الجليل ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ من تاب من خطيئته وكاثرها بالصالحات، وكانت الطريق إلى هداه، فإن الله تعالى ﴿لَغَفَّارٌ﴾ كثير المغفرة وعظيم التوبة وباسط العفو جلَّ في علاه، ومن أحسن الظن بربه، وصدق في الإقبال عليه، وندم على ما فعله كان من المقبولين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ نعـم الله تعالى كثيرة ووارفـة وعظيمة، ولا تحتاج سوى صدقٍ مع ربك، وحسن ظنٍّ به، ويقين بإجابة سؤالك، وكثرة دعاء وإلحـاح ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ وإذا كان هذا التوجيـه من ربك لأعظم رسله وخاتمهم وأفضلهم على الإطلاق فما الظنُّ بنا! وقد قال عمر ﷺ: إنّي لا أحمل همَّ الإجابة، ولكنّي أحمل همَّ الدعاء! وكم من موفق واقف على باب ربه في الليل والنهار في كل سـجود، وبيـن الأذان والإقامة، وفي ساعة الجمعة، وآخر ساعات الليل في السحر، وعند صومه، وعند سـفره، لا يكاد يملُّ! وكم من مصروف عن الخير وهو أقرب ما يكون إليه، والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من أسوأ الناس عيشـاً، وأنكدهم حالاً، وأكثرهم بأسـاً وفوضى المعرض عن الله تعالـى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ كم من معرض يتمزّق قلبه في اللحظة الواحدة ألف مرة! يشـكو ضياع مسـتقبله، وشـعث قلبه، وتكاثر همومـه، وفرقة حياته، حتـى لكأنّك أخذت همـوم العالمين وأفرغتها على كاهله، تلقاه فتعرف مـن أول لقاء ما ينوء به من أحمال وأثقال، وكل ذلك من أثر إعراضه عن ربه وشـروده عن طاعته، وهذا غيض من فيض، وبداية للنهاية، وفي يوم القيامة كل شيء ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾.

سورة الأنبياء

• **علَّمتني سورة الأنبياء**: أنَّ الغفلة أخطر الأمراض ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ۝٣﴾ يعرض لك مشهد الآيات اقتراب ساعة الحساب والجزاء وهم غافلون معرضون لاهون لا علاقة لهم بشيء من أحداثها. وهذا المعنى يجري في حياة كثير من العالمين، يكفي أن تُلقي نظرةً على يومه وليلته، فتراه ينوء بأعباء الدنيا وعلى حساب دينه ومنهجه وقضيته الكبرى، ولا يروعك إلا خبر وفاته ونهاية أيامه، وهو لم يهنأ في صلاته فضلاً عن قضايا دينه ومنهجه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الحياة مهما طالت في ذهن صاحبها إلَّا أنَّ الموت يُقصِّرها، ويدني أيامها، ويسلب نعمها ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ ما من كثير إلَّا قلَّله الموت! وما من عظيم إلَّا حقَّره! كم فرَّق من جمع، وقطع من أمنية! حتى الأنبياء والمرسلين جاؤوا لغاياتهم الكبرى، ثم أدركهم

الموت ورحلوا عن الدنيا. وما حاجة إنســان اليوم إلى شيء من الفقه حاجته إلى تربية نفسه على هذا المعنى العظيم.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الابتلاء ســنة ربانية، وما من مخلوق إلّا وتجري عليه أحداث هذه السُنَّة في واقعه يوماً ما ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ يأتي الابتلاء في مرات في صورة مــرض، وفي أخرى في صورة فقر، وفي ثالثة في صورة ســجن، وفي رابعة في صــورة حرمان وعذاب، ويدرك المبتلى ومن حوله أنَّ هذا ابتلاء، ويحتاج إلى صبر، ويتواصون في تقرير هذه القضية في كل مرة يرون فيها ذلك الابتلاء يأخذ حظوظه من حياة إنســان، وقد يأتي الابتلاء في صورة صحة وعافية، وثانية في صورة مال ورفاهية، وثالثة في صورة علــم، ورابعة في صورة منصب وشــهوة، فلا يشــعر المبتلى أنّه مبتلى، ولا يدرك الذين من حوله أنّه كذلك مبتلى، فيعيش على غير هدى حتى يضيع منه كل شيء. كم من مبتلى بالفقر والمرض والسجن والحرمان قوي بها دينه وصلب إيمانه وتحمل أعباء الطريق، ولقي الله تعالى بأضعــاف ما كان يلقاه بدونها! وكم من مبتلى بصحة ومال وشــهوة ومنصب وعلم ضاع دينه ومنهجه وقضيته، وفات عليه كل شيء!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإنسان جُبل على العجلة وعدم التأني ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ يريد أن يختصر اللحظات، ويجاوز سنن الله تعالى، ويأتي على

كل أمانيه في لحظــة. يبدأ في مشــروع ويريده أن ينتهــي الآن، وهذه اللحظة، وتطول عليه مسافات أمانيه، فيختصرها في مرات بأدنى الحيل، يتوق لصلاح بيته وزوجه وولده، فيبدأ وهو يريــد تلك النهاية اليوم أو غداً أو نهاية الأســبوع، فإذا ما تأخرت يئس وتنازل عن كل شيء، يبتليه الله تعالى فلا يصبر، ويتوق للشفاء وينتظره بين عشيَّةٍ وضحاها، وإذا لم يتحقق له ذلك عاد يائساً قانطاً ساخطاً متشــائماً. هذا الطبع يحتاج إلى مغالبة ومدافعة، وفي صحيح مســلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال ﷺ لأشــج بن عبد القيس: «**إنَّ فيك خصلتين يحبُّهما الله ورســوله: الحلم والأناة**». وعند البيهقي ـ وحسَّنه الألباني ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**التأنِّي من الله، والعجلة من الشــيطان**». وغالب مشكلاتنا اليوم من هذا الخلق الذميم، وكم من نادمٍ بعد الفوات!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الله تعالــى يرعى أوليــاءه فيشــرح صدورهم ويقوِّي عزائمهم، ويحفظهم ويعينهم، ويكلؤهم برعايته وتوفيقه عند الملمّات ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ أراد الكفر أن يعلي كلمته ومنهجه وفكرته وقوته وســلطانه من خلال تلك النار التي أوقدت لإبراهيم ليكون درساً للتاريخ، وأراد الله تعالى أن يجعلها قصَّةً وذكرى لنصــر أوليائه وهزيمة الأعداء! أرادوها درســاً لكل من يجرؤ على تلك الجاهلية، وأرادها الله تعالى درساً لكل من يقف في وجه دينه ومنهجه، وإذا قضى الله تعالى أمراً أجراه، ولن تجد لسُــنَّة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة

الله تحويـلاً ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾.

• **وعلَّمتني:** أنَّ دور المصلح في مسـاحته، وأثـره الكبير في دائرة تأثيـره ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ الجاهلية التي عاشـت زمناً طويلاً على تقديس المعابد لا يمكن أن تعاد صياغة عقولها إلا من خلال الفأس التي تُبيِّن لهم عدم قدرة تلك المعابد على حماية أنفسها فضلاً عن إغاثة غيرها، هكذا كان يؤمن أبو الأنبياء وقدوة العالمين عليه السلام في مشهد يدفعك للعز، وأنت ترى مصلحاً قرَّر ألَّا يكون خاملاً، وقام يدافع بكل ما يملك ولو احتاجت البينـات إلى فؤوس تضرب بها تلـك الطواغيت. وحاجة الأمة اليوم إلى الروح ذاتها، إلى بطل يقرر ألا يقعد على كراسي الفرجة، أو خلف الصفوف، أو يؤثر الظلال على الحـرِّ والعمل والجهاد، نحتاج فارسـاً يغير على الظلام الذي حولـه وليس بالفأس التـي كان يحملها إبراهيم عليه السلام، وإنَّما بالعلم الذي كان يعرف به إبراهيم عليه السلام ما يصنع في البيئة التي هو فيها تلك الحقبة من الزمن. وإذا كانت بالأمس أصناماً تُعبد علناً وحلُّها الوحيـد في فأس تفلُّها وتجعلها شـتاتاً، فأصنام اليوم أفكارٌ ومفاهيم وتصوُّرات، تحتاج فأس العلـم وروح النهضة لمن يواجه تلك الأفكار والمفاهيم والتصوُّرات الجاهلية، ويلقي بها في الركام.

• **وعلّمتني**: أنَّ التخليـة قبـل التحلية، والهدم قبل البناء، وتشـييد القصور الفخمة لا يأتي إلّا بعد تسـوية الأرض، وجعلهـا صالحةً للبناء والإعمار ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ حاجة الأمة اليوم إلى طلاب علم يهدمون الأفكار والمفاهيـم والتصوُّرات الوهمية التي أخذت موقعها من كثير من العقول باسم المصالح والمفاسد، والأوضاع تغيَّرت، والحضارة تبدَّلت، كما فعـل إبراهيم عليه السلام، ثم يبـدؤون بعد ذلـك بالعمران وبناء الأفكار والمفاهيم والتصوُّرات الضخمة في تلك المساحات.

• يمكنـك أن تربط بين مشـهد الهدم الـذي مارسـه إبراهيم عليه السلام ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ومشهد البناء الذي أقامـه بعد ذلـك ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقـرة: ١٢٧] والذي جاء مباشرة في سورة الحج لنصل إلى قضية مهمة وكبيرة ومؤثرة في التغيير، وهي ضرورة وجود البديل الصالـح للتغيير. في مرات كثيرة يقف دور المربي والمصلح عند الهدم، ولكنه لا يسـتطيع أن يبني مكاناً صالحاً للبناء. يجب أن ندرك أننا بحاجة إلى وجود بديل صالح، يمارس

فيه الناس جملة من عاداتهم وقضاياهم، مضبوطٍ بالشريعة، ولكنَّه مهيَّأ لأن يكون بديلاً صالحاً لذلك المهدوم، ولو في بعض معالمه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الدعاء أعظم الوسائل وأهمها وأكثرها أثراً في تحقيق أمانيك، فهذا أيوب عليه السلام يجد به كل شيء ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ۝٨٤﴾ وذو النون يخرج به من لجج الظلام ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨﴾ ويلقى به زكريا الولد بعد طول زمن ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠﴾ ومَنْ أحسن الإقبال على الله تعالى، وأدمن الوقوف على بابه تعالى وتضرَّع إليه، وتأدَّب مع ربِّه تعالى، وتجنَّب معوقات الإجابة لقي من الله تعالى كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الواجب على الآباء والمربين والدعاة والمصلحين أن يصبروا طويلاً على هداية الآخرين، وألَّا يستعجلوا الطريق، وأن

يعلموا أنَّ القلوب بيد الله تعالى، وحسبهم بذل الأسباب الممكنة فحسب ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ غضب يونس عليه السلام من قومه وتركهم وتخلَّى عنهم، فألقاه الله تعالى في البحر والتقمه الحوت، ثم منَّ الله تعالى عليه بعد ذلك فأخرجه من جديد. يجب أن يؤمن كل مربٍّ وداعية ومصلح وأب أنَّ طريق الدعوة طويل ومكلف وشاق؛ لأنَّه يتعامل مع النفوس، ونفوس أخذت من الباطل والشهوات والأوهام ما يكفي لصناعة ألف حاجز عن سماع الدعوة والإيمان. ليس من الأدب أن تُختصر نفوس الناس وقلوبهم ومشاعرهم في كلمة أو لقاء أو جهد مجتزأ، يجب أن تعلم أنك رسول هداية فحسب، إنْ عليك إلَّا البلاغ، ورؤية الثمار ليست من شأنك، وإنَّما إلى الله، وحسبك أن تعلم أنك أجير، والله تعالى يتولى مكافأة الأجراء في النهايات!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ صلاح الإنسان مع ربه تعالى، وحسن الصلة به، وتعظيم أمره وتقديس شعائره أعظم أسباب التوفيق ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ استجاب الله تعالى لزكريا، فجاء له بالولد، وأصلح له زوجه، وأعاد ذلك كله إلى أعظم الأسباب

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ ومن عرف الطريق جهد ألَّا يتوقف حتى يبلغ منه ما يريد.

• **وعلَّمتني:** أنَّ الأفكار والمفاهيم والتصوُّرات أعظم ما يصنع حاضرك ومستقبلك، ترى الوحي هنا يرسم لك وحدة شعورية ضخمة تجاه أمة الإسلام ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ فيبني فكرك وقلبك على توحيد الله تعالى، ويبني مشاعرك في المقابل على وحدة أمتك. ومن فقهك ألَّا يعارض توحيد الله تعالى في قلبك وفكرك وواقعك أدنى الأشياء، وأن تمضي في المقابل جزءاً من وحدة أمتك ولبنة من لبناتها. بات اجتماع الأمة اليوم أمنية لكل مسلم، ولكن تحوَّلت هذه الأمنية مع كل أسف إلى شعارات خالية من العمل والبناء والتطبيق، وإذا أردنا أن نعيد لهذه الأمة ذلك المعنى الكبير والبناء المتين، فليكن كلُّ واحدٍ مِنَّا لبنة صالحة لتلك الأمنية الكبيرة في مستقبل الأيام، ولن يكون ذلك إلا بأن نخلِّص قلوبنا من الحقد والكراهية والنفاق، ونمد أيدينا إلى كل من حولنا بدءاً من بيوتنا مع أزواجنا وأولادنا وأرحامنا وجيراننا، ثم إلى كل مسلم تربطنا به إخوة الإسلام ومعانيه الكبار حتى تكتمل تلك المنظومة، ويتحقق ذلك المقصد الكبير.

• **وعلّمتني**: أنَّ الإســلام منصور، وأهله أحق بالبقاء في الأرض، والعاقبة للمتقيــن ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ هذه سنته الكونية وإن طال الزمان! لقد جاء الله تعالى بآدم أول مرة إلــى الأرض لعمارتها وإصلاحها، وبعث إليها برسله، ووضع لها منهجاً شاملاً للحياة، ووعد الأمة المكلفة بعمارتها بأن تأخذ بذلك المنهج وتســتقيم عليه وتجري فــي فلكه، ثم وعدها بالنصر والتمكين، وكل فرد مســؤول عن المشاركة في بناء هذا الحلم الكبير بجهده واستطاعته، وسيحين موعد النصر ولو بعد حين.

سورة الحج

• **علَّمتني سورة الحج**: أنَّ هنـاك موعـداً للنهايـات، ويومـاً سيجري فيه حساب الخلائق، ويقف كل إنسان أمام عمله، ويجني ما كسبت يداه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ للدرجة التي تذهل المرضعة عن مرضعها، وتضـع كل ذات حملٍ حملها، ويقف الناس في سـاحات القيامة كالسكارى من هول الموقف وشـدته. وإذا كان كذلك فمن وعي الإنسـان وكمال فقهه وعلمه أن يسـتعدَّ لذلك الموعد، ويأخذ له حقه من العمل والاستعداد.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من شقاء الإنسان وسوء توفيقه وضياع أمره في الدارين جهله بربه تعالى، ومعارضته لنصوص الوحيين، ومحاكمة شريعة الله تعالى إلى عقلـه وفهمـه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ وكـم

من جاهل في زمانك يجادل في وجـود الله تعالى ووحدانيته، ويجادل في قدرته وعلمه، وفي أسمائه وصفاته، ويجادل في كل شيء، وهو من أجهل خلق الله تعالى بنفسه فضلاً عن غيره، وإذا مرض القلب واعتل الفكر صنع كل فساد ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩﴾.

• **وعلّمتني**: أنّ النفـوس التي لا تعرف حقائـق الإيمان الكبرى تعيش متذبذبة لا تعرف الثبات، وتسقط في الطريق مراراً ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١١﴾ يعبد الله تعالى على حرف أقرب ما يكون إلى السـقوط، وعند أول صدمة ينحدر به ذلك الحرف إلى الهاوية، صـورة واقع يصوّر لك هشاشة تلك النفوس في واقع الأحداث، فإذا كان يعيش فـي بيئة تزدان بالإيمـان والخيـر والعمل الصالح، ودين الله تعالى فيها وراف الظلال اطمـأن إلى ما هو فيه، وإذا تغيّـرت الظـروف وكانت الجولة للباطل على الحق، تخلّص من دينه وقيمه ومبادئه، وعاد إلى الضلال مـن جديد. وما أكثر هذه الصور التي تراها خالصة لدين الله تعالى حين الربيع، وعند أول نداء على الحق تولّي إلى غير هدى.

• **وعلَّمتني**: أنَّ مجرد الهمِّ في حَرَمِ الله تعالى بالذنب موجب لسخط الله تعالى وعذابه ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وإذا كان هذا الوعيد لمجرد الهمِّ بالمعصية، فما الشأن في العاصي والمتجاوز لحدود الله تعالى في ذات المكان! إنَّ لله تعالى حرمات يجب أن تُجلَّ وتقدَّس وتعظَّم، ومن تلك الحرمات حرمه الذي جعله أمناً للناس ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الله تعالى يرعى أهل الإيمان، ويحفظهم ويدافع عنهم، ويصنع لهم تعالى كل شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «**قال الله تعالى: من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب**». غير أن تلك المدافعة عن أهل الإيمان منوطة بما معهم من إيمان، وكلَّما قوي إيمان العبد زاد دفاع الله تعالى عنه، وكلَّما نقص نقص ما يقابله؛ فمستقلٌّ ومستكثر، وإن كان هذا لا يراه الإنسان ولكنه عند التأمل يجده في صور كثيرة ومتعددة، والله تعالى خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ التمكين في الأرض مشروط بإقامة دين الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ وما لم تكن النفوس

قابلة لهذه المعاني الكبرى، وقادرة على خــوض غمار التحدي فيها، وإلَّا ستظل مفصولة عن أعظم شروط تلك الآمال.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الحياة معركة، تبدأ رحلتهــا الأولى بجهاد النفس وتأهيلها من خلال عبادة الله تعالى، والاستعلاء عن الشهوات، وتحمل أعباء الطريق الطويل، وتأتي ثانياً من خلال النهضة بالأفكار والمفاهيم والتصوُّرات التي يحملها الإنســان، ويُعبِّد بها العالم مَــنْ حوله لربه تعالى، وثالثاً من خلال جهاد العقبات التي تحول دون تعبيد الخلق لله تعالى، سواء تلك العقبات شهوات أو شبهات من خلال العلم والبيان، أو خلال جهاد الســيف والقلم لا فرق، وكل ذلك يجري وفق ضوابط شريعة الله تعالى ومنهجه.

سورة المؤمنون

• **علَّمتني سورة المؤمنون**: أنَّ فـلاح المؤمن مرهون بحرصه على كل ما جاء في الوحـي، وإذا رزق العبـد إجلالاً للوحـي وتعظيماً له وتطبيقاً لما فيه لقي كل شيء، وقد علَّق الوحي هنا فلاح كل مؤمن على محافظته على صلاته وخشـوعه فيهـا، وأدائه لزكاتـه، وحفظه لفرجه، وقيامه بأمانته وعهده، ومن رعى هذه الجوانب لقي ما وعد به ربه تعالى من الفلاح في الدارين ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠﴾.

• **وعلَّمتني**: حاجة الأمة إلى المؤمن الصالح الذي يجل شـعائر الله تعالى ويعظِّمها ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ

﴿ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠﴾ وأنه ليس بالضرورة عند الحديث عن العمل والبناء والتضحية، ومسؤولية الإنسان عن فكرة ومشروع وقضية أن نغفل تلك الفئات التي يكفي منها صلاحها وحسن إقبالها على ربها وقيامها بأدوارها الممكنة، وتسهم هي بذلك في تحقيق النصر الكبير في مستقبل الأيام، وقد قال القائد ذات مساءٍ قبل المعركة حين وجد محمد بن واسع رحمه الله مادّاً يديه في السحر: والله إنَّ أصبع محمد بن واسع عندي أعظم من ألف فارس. اهـ.

• **وعلَّمتني**: أثر الإيمان على صاحبه وأنه مفضٍ به إلى رقة قلبه ووجله وخشيته وخوفه ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ يفعلون كل الطاعات ومقبلون على الله تعالى، ويصنعون كل خير وبر، ويخافون ألَّا يقبل الله تعالى منهم شيئاً، وقد قال عمر الفاروق رضي الله عنه: يا حذيفة أسألك بالله هل عدَّني رسول الله ﷺ في المنافقين؟ ومَنْ هو عمر الفاروق! وفي الترمذي وابن ماجه ـ وحسَّنه الألباني ـ أنَّ عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ عن معنى الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠﴾ أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: «**لا يابنة الصِّدِّيق، ولكن الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ألَّا يُقبل منه**». وإذا عرف الإنسان نفسه أدرك ما له وما عليه.

• **وعلَّمتني**: أنه لا يمكن أن يكون الحق لأهواء العالمين ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ جاء الحق لضبط إرادات الإنسان، وكبح شـهواته، وتأهيله للحياة، وقيامه بدوره الفاعل فيهـا وفق نظام محدد وطريق متسق، وفي هذا الحق ما يتعارض مع شهوات الإنسان وإراداته وطموحاته، فإذا ما تُرك له الخيار وصار الحق باتجاه تلك الرغبات ضاع كل شـيء. والمسـألة ليسـت حريات مطلقة ولا فوضى تعـود لتلك الرغبات والشهوات، وإنَّما اختبار وابتلاء وجزاء وحساب.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الفرص تعرض ولا تعود ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ كانـت الحيـاة الدنيـا كلهـا فرصة لهذا المتندم، وقد فات عليه في النهاية كل شـيء. حين تحل ساعة الموت وتبدأ رحلة الحسـاب، ويرى الإنسـان الجنة والنار وملائكة الرحمة وملائكة العـذاب تجري لحظات الندم في حيـاة صاحبها، ولكن بعد فوات الأوان. كم من قارئ لهذا الحديث الآن وسامع له، ومازال شارداً عن الحـق معارضاً له ومعرضاً عـن الحقائق، وغيـر معتبر بمثل هذه اللحظات! وغداً يتَّضح كل شيء.

سورة النور

• **علَّمتني سورة النور**: أنَّ هذا الدين ينظِّم الحياة ويرتبها في صورة متناسقة، يرتِّب فيها علاقة الإنسان بربه تعالى، وعلاقته بالمخلوقين من حوله في صورة من الجمال والإبداع ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ النفاق والمنافقيــن أعظم أعداء دين الله تعالى، وألد خصومه، وأسوأ معارضيه على الإطلاق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ يتجاوز هذه المرة إلى أطهر بيت في الأرض،

بيت رسول الله ﷺ ويبثُّ سمَّه، ويلقي بأمراضه فيه، ويسعى جاهداً لخلق صور الفساد بكل ما يملك. نزلت عائشة رضي الله عنها عن جملها في غزوة المريسيع وقادوا بعيرها، ولم يدركوا أنها ليست فيه لصغرها، ثم يجدها صفوان بن المعطل رضي الله عنه في مؤخرة الركب فيدخل بها المدينة، فيشيع ابن أبيّ رأس المنافقين أنَّ صفوان زنى بزوج رسول الله ﷺ، وتبقى الشائعة في المدينة شهراً حتى ينزل الله تعالى فيها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة ببراءتها رضي الله عنها وأرضاها، ويبيِّن بأنَّ هذه جولة من جولات النفاق ورأس الفتنة وموقد فتيلها عبد الله بن أبيّ بن سلول رأس المنافقين وكبير مجرميهم. وهكذا هم في كل زمان ومكان، يبغضون دين الله تعالى، ويكرهون أولياءه، ويسعون في الفتنة، ويعيقون الصف، ويخلقون الفرقة، وأكثر ما يبين لك عن القوم وقيعتهم في الصالحين، وتخوينهم في كل شأن من شؤون الخير، وقد قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾!.

• **وعلَّمتني:** أنَّ الأحداث التي تصيب الإنسان والمصائب التي تُلقي بأثقالها في واقعه، والأزمات التي تواجهه ليست شرّاً محضاً، وإنَّما فيها من عواقب الخير ما يبعث الحياة في نفوس أصحابه ولو بعد حين ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وهذا المعنى يجب أن يأتي معنا في كل قدر يجريه الله تعالى في حياتنا، ونتفاءل لحدِّ اليقين أنَّ القادم أجمل وأبهج وأدهش في نفوسنا، كان الخير في هذا الحادث أن كشف الله تعالى الستار عن المنافقين، غير تلك الدروس التي حصلت

في واقع الجماعة التي وقعت فيها الشائعات، أو شاركت في القذف، أو جرى منها ما لم يكن على المنهج، فعاد تقويمها من جديد.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من أدب المؤمن وكمال إيمانه وتوفيقه أن يثق بأهل الإيمان، وألَّا تزحزحه الشائعات عن ذلك المعنى الكبير ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ وفي مثل هذه الحوادث تأخذ الشائعات مداها وتبلغ آفاقاً واسعة المدى، ولكنَّها أقصر ما تكون لدى المؤمن الذي يزن كلمته، ويعرف أثرها على دينه، ويتقي الشبهات فضلاً عن كذب يجري على ألسنة المنافقين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الكلمة أخطر ما تكون وخاصة ما يتعلَّق منها بالأعراض ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾! وعند الترمذي ـ وصحَّحه الألباني ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال ﷺ: «**يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفض الإيمان إلى قلبه! لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيِّروهم، ولا تتبعوا عوارتهم، فإنَّه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبَّع الله عورته، ومن تتبَّع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله**». وما نحن بحاجة إلى شيء حاجتنا إلى إعادة قراءة قول الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾! وقد ترجم الحافظ ابن حجر رحمه الله لأحد الرجال فذكر ذكاءه وعلومه ثم قال: وتغيَّر ذهنه في أواخر عمره

ونسـي غالب محفوظاته حتى القرآن ويقال: إنَّ ذلـك كان عقوبةً له لكثرة وقيعته في الناس. والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ مشـكلة الشـائعات في مرَّات كثيرة أنَّها لا تمنح للعقل فرصة أن يتأمل أو يتفكر أو يكوّن موقفاً مضاداً لها، وإنَّما تُلقي به إلى التأييـد دون تأمل ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ وفي قـول ربك تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ دليل على أن لسـان المتلقي يأخذ مباشـرة من لسان المتحدث دون أن يمرَّها على فكره وعقله، ودون تدبُّر وتأمُّل ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾ لا بقلوبكم وعقولكـم وأفكاركم. ومن فقهك وكمال عقلك ومتانة دينك ألَّا تسـقط في الحضيض، أو تُلقي بنفسـك في الضياع، وكم من كلمة قالت لصاحبها: دعني! وكم من متأسف بعد الفوات! ولله ما أروع زينب بنت جحش ضرَّة عائشة رضي الله عنها وقد حانت فرصة الاستعلاء على ضرَّتها حين سألها النبي ﷺ: هل رأيت على عائشة شيئاً؟ فقالت: (أحمي سـمعي وبصري، والله ما علمت إلَّا خيراً)! وما أحوج الرجال إلى كلمة هذه الصالحة فضلاً عن النساء!.

• **وعلَّمتني**: خطورة أعراض المؤمنين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾

حتى الذي لم يشارك في الفاحشـــة، ولـم يكن مصدراً من مصادرها بمجرد محبته لما شـــيع عنهم يدخل ضمـــن الوالغين في الأعـــراض والمروّجين للفاحشة والخائضين في وحل الفوضى. ثمة أناس لا يصنعون شيئاً، ولكنّهم يحبُّـــون الحديث عن تلـــك الحادثة ويتلـــذَّذون بتلك الأخبار، ويشـــتهون ويتطلَّعون لها، يتوعَّدهـــم الله تعالى بعذاب أليم فـــي الدارين. ومن فقهك وكمال دينك ألا تكون ضمن هؤلاء المعتدين على عورات المؤمنين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ للشـــيطان خطوات، ولا يصل بك إلى النهايات حتى يجري بك في فلك تلـــك الخطوات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١﴾ يبدأ معك بالوسوسة وهي أخطر وسائله وأولها وبداية الطريق، ثم يزيّن لك ويغمس مشاعرك من خلال زينة وهمية عارضة حتى إذا أشبع مشـــاعرك وتأكد من قلبك وعرف ما صنع في فكرك، ونال منك حظه ألقى بك في الظلام. وأول خطواتك الجادة لمواجهته ترك الطريق من أوله، وإقفال الباب من بدايته، واعتبار أول خطوة هي فتيل النار.

• **وعلَّمتني**: أنَّ العفـــو والصفح عن المخطئيـــن وأصحاب الزلل أدب الكبار ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ

﴿وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ كان أبو بكـر الصديق رضي الله عنه ينفق على مسـطح بن أثاثة لفقره، فلمّا بلغه بأنّه وقع في عرض عائشة رضي الله عنها منعه من النفقة، فنزلت هذه الآية، فقال: بلى أحبُّ أن يغفر لي، فأعـاد النفقة عليه من جديد! وعند الترمذي وأبي داود وابن ماجه ـ وصحّحه الألباني - من حديث معاذ بن أنس، أن رسـول الله ﷺ قال: «**من كتم غيظـاً وهو قادر على إنفاذه دعاه الله على رؤوس الخلائق وخيَّره من الحور العين يزوِّجه منها ما يشاء**».

• **وعلَّمتني**: أنَّ للبيوت آداباً، وليس من حقِّ إنسـان أن يتسوَّر بيتاً مـن البيـوت دون تلـك الآداب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ وقـد حـدد الشـارع جملة من آداب زيارة البيوت، وذكَر بأنَّ الاستئذان ثلاثاً، فمن أذن له وإلَّا رجع، وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: إنَّ رجلاً اطلع من جُحْـر في باب النبي ﷺ، ومع الرسـول ﷺ مِدرىً يرجِّل به رأسه فقال: «**لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك، إنَّما جُعل الاستئذان من أجل البصر**». وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

قال: قال ﷺ: «**لو أن امرأً اطَّلع عليك بغير إذن، فخذفته بحصاة، ففقأت عينه لم يكن عليك جُناح**». وهو نوع من جمال هـذا الدين، وحفظه للعورات، وعنايته بالإنسان ألّا تبتذل عورته لأدنى الأسباب.

• **وعلَّمتني**: أنَّ حفظ البصر عن المحرمات نوعٌ من الأدب مع الله تعالى، وتعظيمٌ لحرماته تعالى، وإجلالٌ لشعائره، وتقديسٌ لشريعته ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ وهـو أول الطريق إلى الزنـى وأكثره أثراً فيـه، وأخطر ما يكـون في هـذا الباب، ومـن ترخَّص فـي النظر إلى المحرمات أوشـك أن يقسـو قلبه ويعطب ويموت، نعوذ بالله تعالى من الحرمان! وسـرور نظرك العاجل محفوف بفسـاد كبير وضياع لخيرات عظيمة، وغضك له مفضٍ لنعيم قلبك وجوارحك فتنبّه! وإياك والخيانات.

• **وعلَّمتني**: أنَّ هذه الشريعة تحتفي بالمرأة، وتلبِّي حاجتها للجمال، ولا تمنعها مـن زينتها التـي فُطرت عليهـا، ولكنَّها تنظِّمهـا وترتِّبها، وتحفظها من الفوضـى التي تُذهب دينها، وتضيع حياءها في مسـتقبل الأيـام ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَـرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ

أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ إنَّ الإسلام يعتبر المرأة مخلوقاً جذّاباً ومؤثراً في الرجل، فيضع لها الأطر العامة التي تحميها من الفوضى، ويبيّن لها الحدود التي يجوز فيها كشف زينتها فحسب، ويمنعها من كل ما يثير الفتنة في واقعها، وفي البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال ﷺ: «**لا تسافر المرأة إلَّا مع ذي محرم، ولا يدخل عليها رجل إلَّا ومعها محرم**». ومن فقهت مراد الله تعالى وجهدت أن تكون ضمن تلك المعاني الكبرى وجدت الحياة وسلمت من كل سوء.

• **وعلّمتني**: جمال الإسلام وأناقته ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ تأتي هذه الآية بعد الحديث عن الزنى ورمي المحصنات واللعان وعورات النساء والبيوت لتقول لك: هذا الإسلام نور وحياة، تتجلّى في هذه المعاني التي شرعها لك الإسلام، وبيّن لك أحكامها، وقد تأتي في صور من الضرب والجلد والأيمان المغلظة والتشهير والتركيز على بعض العورات، ولكنّها في الحقيقة نور كاشف للظلام، وحضارة مدهشة في مقابل حضارة الماديات. فلا يغرّنّك متحدث عن

الجلد والرجم ورمي المحصنات بأنه قسوة لا يحتملها الإنسان بل هي في الحقيقة نور ورحمة، تصنع للفرد والجماعة والأمة كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ المساجد بيوت الله تعالى، وهي الأماكن التي تُقام فيها الصلاة ركن الإسلام الثاني، وأعظم فرائض الله تعالى على الإنسان ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ وأعظم صفات الرجال في مشاهدها وحضور جماعتها، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: «**لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيصلِّي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرِّق عليهم بيوتهم بالنار**»، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ يرخِّص له فيصلِّي في بيته فرخَّص له فلما ولَّى دعاه فقال: «**هل تسمع النداء؟**» قال: نعم، قال «**أجب**». وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ولقد رأيتنا ولا يتخلَّف عنها إلَّا منافق معلوم النفاق! ومن قرأ هذه المعاني عرف لها قدرها، وحرص على مشاهدها، وجهد ألَّا يكون ضمن زمر المتخلِّفين عنها يوماً ما.

• **وعلّمتني**: أنَّ مشـــاهد الكون كافية في التعـــرف على الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ املأ بصرك ومشاعرك وقلبك بمشاهد الكون كله، وهو يسبّح لله تعالى وينزّهه عن النقائص، ومتّع نظرك بالطير السابح في جو السماء، وتأمل هذا السحاب الذي يملأ أفق السماء، ثم يتنزّل بالغيث ويحيي الأرض بعد موتها، وخذ جولة بمشـــاعرك في هذا الليل المظلم، وذلك النهار الذي بان فيه كل شـــيء، وألقِ ببصرك إلى هذه الدواب على اختلاف أشكالها وألوانها وطرائق خلقها لتشاهد في النهاية كل شيء.

• **وعلّمتني**: أنَّ هناك فرقاً كبيراً بين النفاق والإيمان، فرقاً في النيّات والأقوال والأعمال والأحداث، النفاق يعلن إيمانه واســـتجابته لدين الله تعالى كذباً وزوراً، ويتولى عند أول شروط تكاليف ذلك الإعلان وتلك الاســـتجابة ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ ويتعاملـــون مـــع شـــريعة الله تعالى على

أهوائهم، فإن كان الحق عليهم رفضوا كل شيء ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٤٨﴾ وإذا كان الحق لهم أقبلوا إليك في صورة من الإجلال والإذعان ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ۝٤٩﴾ بخلاف أهل الإيمان والتقوى والصلاح، فلا يملكون أمام الوحي وشريعة الله تعالى وشعائره إلا الإذعان والإجلال والتقديس ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥١﴾ وحقُّ هذا المعنى عند أهل الإيمان ﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾ أن يقام له حفل احتفاء وإجلال في مثل زمانك! وفرق كبير جداً بين من يسمع قال الله تعالى، وقال ﷺ، فيقول: (في المسألة قولان، والحديث ضعيف، وأفتى فلان بكذا)، وآخر يخرُّ مذعناً مستسلماً ويقول: سمعنا وأطعنا! ولا يصنع هذا المعنى الكبير إلا الإيمان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الاستخلاف في الأرض والتمكين فيها لأهل الحق مشروط بعبادة الله تعالى وإقامة دينه وشرعه ومنهجه ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٥٥ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝٥٦﴾ وعبادة الله تعالى المشار إليها في النص هي كل ما من شأنه عمارة الأرض من الأقوال والأعمال والأفعال الظاهرة والباطنة، وعمران الأرض والنهضة

فيها، وتكوين الأجيال القادرة على إثارة أحداثها بدين الله تعالى في مستقبل الأيام.

• **وعلَّمتني**: رعاية الإسلام للأدب، وحرصه على حفظ العورات، وجماله في ضبط تصرفات الإنسان وفق منهج يقوم على تقديس حريات الناس، ويقف في وجه العبث بها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ (٥٨)﴾ ثمة أوقات يجد فيها الإنسان راحته في بيته، ويتخلى عن تحفظه في حدود المباح؛ فليس من حق الآخرين أن يتسوَّروا عليه في تلك الأوقات إلا بإذن. وهو نص يدعو كل أسرة أن تحرص على هذا المعنى، وأن تربِّي أجيالها من خلاله. إن الإسلام يسن نظاماً شاملاً، ويؤهل الإنسان من خلاله لفقه حقوق الآخرين، ومراعاة مشاعرهم، وحفظ عوراتهم، وليست المسألة مجرد توجيهات، وإنَّما منهج يرعى فيه الإنسان حق ربه، ويربي نفسه، ويتعامل مع غيره في صورة من الأدب والجمال.

• **وعلَّمتني**: أنَّ إجلال الله تعالى وتعظيم شرعه وتقديس أمره ونهيه أعظم دلائل التوفيق، والاستهانة بشيء من ذلك أوسع الطرق للضياع

والخذلان ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مخالفة دين الله تعالى والتهاون في شريعة الله تعالى ليست مسألة عارضة، يحكِّم فيها الإنسان هواه ومشاعره، وإنَّما شرع ضابط لتصرفات الإنسان، والمتخلِّف عنها متوعَّد بأشقّ العقوبات! ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ومن قرأ الآية بوعي عرف خطورة التهاون في ذلك. وكم ممَّن زاغ قلبه وضلَّ الطريق وفُتن في واقعه بسبب ذلك التهاون! وكم من متوعد بعذاب الله تعالى وهو لا يدري! ذكر الشاطبي في الاعتصام قال: حكى ابن العربي عن الزبير بن بكار قال: سمعت مالك بن أنس وأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله! من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله ﷺ، فقال: إنِّي أريد أن أحرم من المسجد، قال: لا تفعل، فإنِّي أخشى عليك الفتنة، فقال الرجل: وأي فتنة هذه؟ إنَّما هي أميال أزيدها! فقال مالك رحمه الله: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنَّك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ؟! إنِّي سمعت الله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

سورة الفرقان

• **علَّمتني سورة الفرقان**: أنَّ الطريق مليء بالعقبات؛ فكن على يقين من أمرك ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤﴾ لك أن تتصوَّر أنَّ قوماً تدعوهم إلى الله تعالى ثم يلقون إليك بأنك ظالم ومفترٍ وكاذب، ما تقوله مجرد إفك وكذب، وأعانك عليه مجموعة ممن حولك لتشوِّهوا حياة العالمين، ثم ما إن تنسَ تلك الفرية حتى يقابلونك ثانية ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧﴾ فتعيدك لأول الطريق، ثم يفاجؤونك ثالثة ﴿أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ۝٨﴾ وحين تتحمَّل كل تلك التهم وتوشك على الخلاص منها يأتونك ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ۝٢١﴾ فخذ عدتك، وتجهَّز لقطع مسافة الطريق، وتحمل أثقاله، وكن على يقين بأنك بالغ أمانيك وإن طال الزمن.

• **وعلّمتني**: أنَّ الصحبـة غير الصالحة أضـر ما تكون على صاحبها ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ لقد راعت شريعة الله تعالى حاجة الإنسان إلى صحبة، يأنس بها، ويسـتعين بها على دينه ودنياه، وبيَّنت له أهميتها في قول الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] وذكّرته بعوائد ذلـك عليه في الدارين، وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال ﷺ: «**مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإمـا أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً كريهة**»، وحين أراد النبي ﷺ الهجرة اختار أبا بكر صاحبـاً! وغالب الناجحين اليوم من أثر أصدقائهم، ومثل ذلك المخفقون الذين تراهم في السجون والمخدرات والإخفاق هم من أثر أصحابهم يوماً من الدهر. وكم مـن صاحب قضى على مقدرات النجاح لصاحبه، ومازال به حتى ألقاه في الضياع! ومثلك أوعى بالدرس.

• **وعلّمتني**: أنَّ من أكثر مشكلاتنا أننا نعرف الحقائق الكبرى، ثم لا تأخذ حظهـا من قلوبنا ومشـاعرنا وواقعنا ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ كم من فرد فضلاً عن الأمة كلها يدرك

أنَّ كتاب الله تعالى القرآن من أعظم موارد التوفيق، ثم تجده في النهاية لا يمنحه الوقت الكافي لبناء واقعه ومستقبله! ولو أنك طالعت فقط ما ورد في كتاب الله تعالى من آيات، وقرأت عن أثر القرآن على صاحبه في سنة رسوله ﷺ لوجدت شيئاً فوق تصورك، ومع ذلك ينتهي اليوم والأسبوع وربما الشهر، وفي مرات يصل للعام كاملاً ولا تجد من يمد يديه إلى كتاب الله تعالى. هـذا في التلاوة العادية فضلاً عن تدبره وحفظه والاستشفاء به والتحاكم إليه. وكم من وارد على هذه الشكوى من رسوله ﷺ بين يدي ربه يوم القيامة!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الانحراف يصل بالإنسان للدرجة التي يتحوَّل فيها هواه إلى إلٰه، يعبده ويقيم له ومن أجله كل شيء ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ حين يعتدُّ الإنسان بفكره وعقله، ويجري في فلك هواه وشهوته، ويتخلَّص في المقابل من كل ضوابط شريعة الله تعالى، ويرفض الانقياد لمنهجه تعالى، ويصر على الاستكبار يتحوَّل إلى عبد لهواه يصرِّفه كيف يشاء! إنك لن تتخيَّل هذه الصورة في واقعك إلا في اللحظة التي ترى فيها إنساناً يتخلَّص من ضوابط شريعة الله تعالى ومنهجه بالكلية، وتراه في المقابل يصنع ما يشاء كيف يشاء وفي الوقت الذي يشاء، دون ضابط من وحي أو منهج! ينام متى يشاء، ويستيقظ في المقابل متى يشاء، دون اعتبار لوقت صلاة أو تقدير موعد أو إجلال شرع، وتجده كذلك يسافر حيث

شــاء مكاناً وزماناً، دون اعتبار لقيم ضابطــة أو موازين حاكمة لذلك السفر، وفي الوقت ذاته يتحرك ويقعد، يقرر أو يترك، يبدأ في شيء أو يتخلَّف عنه، كل ذلك منوط بهواه وقراراته الشخصية، دون اعتبار لأي مصدر آخر يرتب وينظم تلــك التصرفات، هذه هي صور الهوى حين يكون إلٰهاً يُتعبَّد له من دون الله! ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾.

• **وعلَّمتني**: إذا لــم يدلك الله تعالى علــى الطريق ضاع منك كل شيء ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ مناسبة لطيفة جداً بين إنسان منَّ الله تعالى عليه بالعقل وبهيمة لا عقل لها، وكلاهما في النهاية سواء، البهيمة لا تعرف الهدى ولا تدل الطريق، والضال كذلــك لا يعرف هدى ولا يدل الطريق، تراه يؤثر الضلال على الحــق، والظلام على النور، والشــقاء على الهدى، يعرف في الوحي أنَّ هذا يضره ويهلكه ويقضي على مصالحه، ثم يأتي إليه ويفعله، وقد يكون هذا الإنسان أضل من تلك البهيمة؛ لأنَّ البهيمة يهديها سائقها فتهدى، والإنســان يدله الحق، ويبيّن له الرسول، ويضع له القرآن تصوُّراً واضحاً للطريق، ثم لا يستجيب. ما أكثر هذه الصور! وما أقل العبرة منها؟!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ في مشاهد الكون من الإبداع والإجلال ما يدلُّك على الله تعالى ويهديك إليه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ ولو أنك ألقيت بقلبك وفكرك ومشاعرك في هذا الظل الذي تراه في صباحك ومسائك، وكيف أن الله تعالى يمده ويقصره كيف يشاء، وتأملت في طلوع الشمس وغروبها، وهي تأتي بذلك الظل وتذهب به، وآية النهار التي يجد فيها الناس كل شيء، ثم يؤوبون في آية الليل إلى بيوتهم من جديد! وهذه الرياح التي هي دليل رحمته تعالى، ورسول غيث، وبشرى حياة، ثم يحين بعدها الغيث ويأتي الربيع، ويجد الإنسان لحظتها كل شيء.

فيا عجباً كيف يُعصى الإلٰه ... أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد
ولله في كل تحريكة ... وتسكينة أبداً شاهدُ

• **وعلَّمتني**: أنَّ من فقه المؤمن وكمال عقله ووعيه أنه إذا أثنى الوحي على مشاهد أو صفات في جيل أو جماعة أو شخص أن يعتني بها، ويجعلها أولوية لديه حتى يأتي منها على ما يريد

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ
قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ
مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ
ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى
حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ
ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا
صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن
تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ
وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟
عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا
قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ وهذا النصُّ ذكَر بعشر صفات
في عباد الله تعالى الصالحين: (المشي بتواضع ووقار، ولا يردُّون على جاهل، ويحيون سُنّة الليل قياماً وتعبُّداً، ويكثرون الدعاء والإلحاح على الله تعالى في تحقيق أمانيهم، ويملكون وعياً في الإنفاق، ولا يتخطون إلى كبائر الله تعالى من الإشراك والقتل والزنى، وإذا ما وقعوا في شيء من ذلك بادروا إلى التوبة، ولا يشهدون أماكن المنكرات واللهو العابث، والفوضى المخالفة لدين الله تعالى، وأوّل من يسمع آيات الله تعالى ومواعظ الوحي)، وعلى قدر ما يأخذ العبد من هذه الصفات يبلغ منازل الكبار، فمستقلٌّ ومستكثر!.

سورة الشعراء

• **علَّمتني سورة الشعراء**: أنَّ كل مشـــروع لا يأخـــذ حظه من النجاح والإبداع حتى يأخذ حقَّه الكافي من قلب ومشـــاعر وروح صاحبه ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣﴾ كاد ﷺ أن يهلك نفسه ويقتلها ألماً وحسرةً حرصاً على هداية من حولـــه من العالمين! وكل مشـــروع في حياتك أو قضية لا تأخذ هذا الحظ الكبير من قلبك ومشاعرك لا تستطيع أن تكتب حظها في واقعك ولو طالت بك الأيام. فرق كبير جداً بين من يقدِّم لفكرته وقضيته ومشروعه الكبير فضل وقته وفتاته، ويهب له ما زاد من مشاعره، وآخر يقتات مشـــروعه من روحه ألف مرة! قد يكون مشروعك وقضيتك وفكرتك تربية ولدك في البيت، وقد يكون مشروعك التعليم، وقد يكون مشروعك حلقات تحفيظ كتاب الله تعالى، وقد يكون مشروعك علميّاً أو تربويّاً أو فكريّـــاً أو إغاثيّاً واجتماعيّاً لا فرق، مـــا لم تصرف له من قلبك ومشـــاعرك أولاً وتســـترخص فيه مالك، وتبذل له أوقاتـــك، وتعيش فيه ما بقي من عمرك فقد لا يزيد على أن يكون مجرد أماني فحسب.

• **وعلَّمتني**: أنَّ العقائد الكبيرة تصنع الحياة في قلوب أصحابها إلى أقصى مدى ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ

﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٦٢﴾ حين خرج موسى عليه السلام بعصبته المؤمنة من مصر تبعه فرعون وما زال يطارده حتى التقيا على شاطئ النهر، وأصبح موسى بين بحرٍ وعدوٍّ للدرجة التي قلقت الفئة المؤمنة وجزمت أنه لم يعد هناك سبيل للنجاة ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۝٦١﴾ وتأتي العقائد الضخمة فتسجل موقفاً للحياة ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ۝٦٢﴾ ما دمت مؤمناً وعلى الطريق، وحاجتنا للعقائد أعظم من كل حاجة، ومن عرف الله تعالى عرف كل شيء، ومن فاته هذا المعنى فاته كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ نجاحنا مرهون على الخطوة الأولى التي نبذلها في طريق أحلامنا الطويل ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٦٣﴾ لم يكن يملك موسى عليه السلام تلك اللحظة سوى عصاه التي يهشُّ بها على غنمه، ويدفع بها الدواب عن طريقه، وكان ربه تعالى أقدر على صناعة كل شيء، ولكنه آمن بالخطوة الأولى، وشارك بعصاه في صناعة مستقبله، وبدأ رحلته الأولى من خلال أول ضربة يُلقي به في عمق البحر، ثم أجرى الله تعالى ما يشاء. وهذه سُنَّة في كل مريد للتغيير؛ إذا أصلح ما بينه وبين الله تعالى، وبذل ما في وسعه، وشق طريق البدايات صادقاً أتم له تلك البدايات ولو بعد حين.

• **وعلّمتني**: أدب الأنبياء مع ربهم تعالى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ نسب كل شيء لربه تعالى (الخلق، والإطعام والسقاء، والموت والحياة) وحين جاء لذكر المرض قال ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ نسب المرض إليه، ولم ينسبه إلى ربه تبارك وتعالى تأدباً، ومثل ذلك في دعاء نبي الله تعالى أيوب عليه السلام ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] وأدب الجن مع ربهم تبارك وتعالى كذلك ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] وإجلال الإنسان لشعائر دينه ومنهجه أعظم الأدب، ومن ذلك ألّا يسمّي الله تعالى باسم أو يصفه بوصف إلّا ما جاء في كتابه وسنة رسوله ﷺ، ومن الأدب ألّا يسأل في صفات الله تعالى أو أمور الغيب بكيف! فإن ذلك شأن الله تعالى. ومن الأدب أن يدعو وهو موقن بالإجابة، ويعلم جازماً أن الله تعالى ينصر أولياءه ويخذل أعداءه، وينصر دينه في النهايات.

• **وعلّمتني**: حرص الكبار على بقاء ذكر صالح لهم في الأرض بعد الرحيل ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ يدعو إبراهيم عليه السلام ربه تبارك وتعالى أن يمد في ذكره وأثره، ويبقى ذكراً حسناً في الآخرين بعد موته، وهذا في العادة لا يأتي إلا من خلال مشروع عمر أو قضية كبرى، يعيش لها الإنسان وينصب لها نفسه، ويبذل عمره في سبيلها، ويبقى مناضلاً من أجلها حتى يأذن الله تعالى برحيله، وتكون أقدر على

البقاء وأعظم في الأثر وأبقى للذكر الحسن. وقلَّ أن تجد مذكوراً في العالمين إلا وله ذكريات من هذا المعنى الكبير! وجرت السنن أنَّ من حدَّد لنفسه مشروعاً أو قضية تناسب قدراته وطاقاته وإمكاناته، ويمَّم وجهه إليها، وركَّز عليها، وبذل في سبيلها كل ممكن أن تبقى حية ماثلة في العالمين. والتجارب ماثلة والتاريخ شاهد عيان.

• **وعلَّمتني**: أنَّ سلامة قلب المؤمن وصفاءه وطهارته أعظم الطرق السالكة به إلى الجنان ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩] وحدَّث أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا يَوْماً جُلُوساً عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ مِنْ هَذَا الْفَجِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» قَالَ: فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ عَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ فَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضاً، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأَوَّلِ فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَلَّا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثاً فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ الثَّلَاثُ فَعَلْتَ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَنَسٌ: كَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئاً غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ انْقَلَبَ عَلَى فِرَاشِهِ وَذَكَرَ اللهَ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ قَالَ عَبْدُ اللهِ: غير أنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْراً فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ وَكِدْتُ أَحْتَقِرُ عَمَلَهُ قُلْتُ:

يَا عَبْدَ اللهِ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ وَالِدِي هِجْرَةٌ وَلَا غَضَبٌ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: «**يَطْلُعُ الْآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»، فَطَلَعْتَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِكَ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَبِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ قَالَ: فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلَا أَحْسُدُهُ عَلَى مَا أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ إِلَيْهِ. ومن حرص على سلامة قلبه من النفاق والرياء والحسد والبغضاء عاش معافى من أمراض الدنيا، ولقي الله تعالى يوم القيامة على خير.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل متعة ونعيم لا علاقة لها بالدار الآخرة فهي آيلة إلى الزوال والانقطاع ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ وهي درس ألَّا تغرَّك مشاهد النعيم في حياة المعرضين، وكم ممَّن طال زمانه وأجرى الله تعالى له متع الحياة، ثم غربت شمس ذلك النعيم في لحظة وانتهى كل شيء. غُضَّ بصرك عن كل مشهد لا علاقة له بالله تعالى، ولا يستفزَّ مشاعرك ويدعوك للإجلال إلا تلك المشاهد التي تجري في فلك طاعة الله تعالى ورضوانه، وما عداها فسراب!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ إدارة الأولويات أكبر القضايا تأثيراً في نجاح صاحبها في الدارين ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ وعند الترمذي ـ وصحَّحه أحمد شاكر ـ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**». وقد قال قوم شعيب له: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١]، وقال لوط عليه السلام متأسفاً على فوات حظوظه من أهله: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]. ودخل بنو عبد المطلب الحصار مع نبيهم ﷺ وبقوا في الحصار ثلاث سنوات مناصرةً لابنهم وصاحب الراية فيهم. ومن فقه الداعية والمصلح وصاحب الرسالة أن يعي أن أولى الناس بخيره وعطائه هم أهله، والقاعدة الصلبة التي تنفع الإسلام في مرات كثيرة هي أقرب ما يكون إليك.

سورة النمل

• **علّمتني سورة النمل**: أنَّ النعم التي تجـري في واقعك، وتأخذ حظها من قلبك ومشاعرك، وتسـقي حياتك بالنعيم ليست من جهدك وتعبك وعرق جبينك بقدر ما هي نعم الله تعالى عليك، ومن أدبك أن تنسـبها لربك خالقاً وموجداً، وإن كنت أنت سبباً وبداية ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ آتاهما الله تعالى علماً وأفاض عليهما مـن نعمه، فكانا مقرَّين معترفين رادّيـن الفضل إليه أولاً وأخيـراً! ومن فقهك وكمـال علمك ووعيك وتوفيقك أن تردَّ علمك ومهاراتك وقدراتـك ونجاحاتك لربك تبارك وتعالى، وتحمد الله تعالى على كل شيء ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾.

• **وعلّمتني**: أنَّ حمل الأفكار الناهضة والعيش لتلك الأفكار حياة ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ نملة رأت سليمان عليه السلام وجيشه

الكبير، وأدركت الخطر الذي يحيط بها وبمن معها، وكان يمكن أن تنجو بنفسها وتضمن حياتها وتبلغ آمالها، ويموت العالم كله بعد ذلك لا فرق، عادت إلى من معها، وصاحت فيهم: قوموا قبل أن يدرككم الخطر، وقد أوشك بكم، وتحملت أعباء التأخير لتنجد قومها، ومن أدبها وجمالها ولطفها أنها التمست عذراً لسليمان وجنوده بأنَّ الأصل أنَّهم لا يحطِّمون الأشياء، ولا يكسِّرون ما يلقونه في الطريق، ولا يقتلون الأبرياء، فإن وقع منهم ذلك فإنَّما يقع بغير قصد! وإذا كانت نملة تحمل هذه الأفكار وتعيش للآخرين، وتبذل ما في وسعها للحياة، فما الظن بإنسان جاء لعمارة الأرض وبعثها للحياة من جديد.

• **وعلَّمتني:** أنَّ التأنِّي من أخلاق الكبار ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ تفقَّد سليمان عليه السلام الطير فلم يجد الهدهد وتوعده بأشد العقوبات، وحين جاءه وعرض له عذره وذكر له ظرفه تحلَّى معه بأجمل الأدب وأرقاه وأعظمه وأوفاه ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ وما حاجتنا لشيء في مشروع التربية مع أبنائنا وطلابنا ومشاريعنا حاجتنا لهذا الخلق المتين، وهذا الأدب الكبير! كم مرة خسرنا ابناً أو طالباً أو موظفاً من خلال العجلة والحكم مباشرة دون أدنى فرصة تأنٍّ!. وهذا الأدب والمعلم الكبير من سليمان عليه السلام يصلح درساً للآباء والمربين والعاملين في المحاضن التربوية والتعليمية مدى الحياة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من فقه المربي والوالد والمسؤول في أي دائرة من دوائر المسؤولية أن يعتني بفريقه، ويشاوره في كل قضية يريد أن يتخذ فيها قراراً مؤثراً في مستقبل الأيام ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾ لقد ألقت هذه المرأة العاقلة بما وصلها من سليمان بين يدي جندها ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ ثم طلبتهم الشورى قبل اتخاذ أي رأي. والأصل أنَّ هذه الانفتاحية بين الوالد وأبنائه، والمعلم وطلابه، والمربِّي ومن يربِّيهم، والمسؤول مع مسؤوليه مفضية في النهايات إلى النجاح والتوفيق، فإذا ما أخذت الشورى حقها من كل قرار يجري في تلك المساحات كانوا إلى خير.

• **وعلَّمتني**: أنَّ ثمَّة عُصبة للباطل في كل زمان ومكان، تحمل لواءه وتناضل من أجله، وتتعاون على نجاحه، وتصنع كل شيء لبلوغ آماله ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ هذه سنة الله تعالى في الأرض ولن يخلو زمان منها، ومن كمال علمك وفقهك أن تدرك أنها لا شيء في مقابل أمر الله تعالى

مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ بشرط أن تقوم بدورك في مساحتك ودائرة تأثيرك، ولا تترك هذا الدور مهما كان الواقع الذي تعيشــه، ولن تعدم مساحةً تقيم فيها دين الله تعالى، وتكتب من خلالها حظك الكبير.

سورة القصص

• **علَّمتني سورة القصص**: أنَّ الله تعالى إذا أراد أمراً أجراه كما يريد، يولد موســى عليه السلام في أجواء مليئة بالخطر والحذر والخوف والقلق، وقد أصدر فرعون أمراً بقتل كل مولود، وأمُّه امرأة لا تملك شيئاً في مقابل ردِّ عدوان ذلك الطاغية، فيأتي وعد الله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ ليست المســألة أن تلقيه أمه في اليمّ، وإنَّما ذلك الوعد الكبيــر ﴿وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فرعون يصدر أمراً ويبعث جنــوداً في الأرض، ويتوعد كل مولــود بالقتل، والله تعالى يطمئن قلبها، ويســكِّن روعها، ويهدئ قلقها ﴿وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾ بل يعدها بأكبر من تصوراتها كلها ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ حتى تعلم أنَّ الله يدير هذا الكون ويجري أحداثه وفق إرادته ومشــيئته! وهذا المعنى كفيل ببناء عقيدة الإنسان وتأهيله من جديد.

• **وعلَّمتني**: أنَّ المســألة فوق اعتبارات البشر بكثير، حين تُكَلَّف أم موســى عليه السلام بأن تضعه في تابوت ويعيــده الله إليها، فذلك شــأن

يستطيعه كل إنسان! أما أن يُفك ذلك القيد ويُبعث ذلك التابوت بالطفل إلى بيت غريمه، إلى الذي بعث جنوده في الأرض ليبحثوا عنه؛ فذلك شأن الله، كأنه يقول له: لا تجهد نفسك ولا تتعب ذاتك، ولا ترهق فكرك بالبحث عن غريمك الصغير سنأتي به إلى بيتك، إلى قصرك، وسنضعه بين يديك، ولكن رغم أنفك ستتولى تربيته في قصرك، وسترعاه حتى يكون صالحاً لمواجهتك وقادراً على دحض أوهامك ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الحياة وقف على الأسباب، ومن فرّط فيها ضاع منه كل شيء. وصل الطفل في تابوته إلى قصر الطالب له، وخفّف عليه عناء البحث، ويمكنه الآن أن يسل سِكّينه ويسفك دمه، ولذلك ما حكاه الله تعالى عن أمّ موسى طبيعيٌ جدّاً ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ غير أنَّ الله تعالى أجرى سبباً لبقائه في قصر غريمه وعدوه، فقد ألقى حبّه في قلب زوجه ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ وفي مرات كثيرة إذا قالت الزوجة شيئاً وجبت طاعتها، سواء كان الزوج صعلوكاً أو وزيراً أو أميراً أو حتى ملكاً! وكم من قرار كسرته! وبطل أضعفته! ولله تعالى في خلقه شؤون، أضف إلى أنّ أم موسى مارست بذل الأسباب من جهتها، ولم تكتف بالفرجة

على وعد الله تعالى وبقيت تنتظر ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١١﴾ وأجرى الله تعالى سبباً آخر لتحقيق وعده بعودته إلى أمه ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ١٢﴾ ولأنَّ للحياة قوانين وسنناً لا تتخلّف عنها عاد الصبي إلى أمه من جديد، والله تعالى أحكم الحاكمين.

• **وعلّمتني**: أنَّ وعد الله تعالى حق، وأنه واقع لا محالة، وأن يوماً سيأتي بتلك الحقائق رأي عين ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٣﴾ وكم هي الحقائق التي حدثت من خلال هذا المعنى الكبير! كم من إنسان عثر على حلمه، ولقي أمنيته، ورزقه الله تعالى ولداً بعد زمان من عدم الإنجاب، وتوظف بعد زمن من الانتظار، وأصبح قريباً من أهله بعد طول انتظار!.

• **وعلّمتني**: أنَّ المؤمن ما رزق شيئاً أعود عليه بالخير من اعترافه بذنبه وإقراره بخطيئته ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦﴾ قتل القبطي وألقى بهمومه بين يدي الله تعالى وأقبل إليه متملّقاً خائفاً نادماً

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ فألقى الله تعالى عليه الحياة ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾! ولو أنَّ العبد كلما أخطأ شعر بسوء ما فعل وأقبل نادماً، وصنع لله تعالى صنائع معروف، وأبان عن صدق عزيمته بالعمل للقي كل شيء.

• **وعلَّمتني**: حاجة المجتمعات والأوطان والأمم إلى صاحب همٍّ واستشعارٍ للمسؤولية وحمل هموم الإصلاح، وخَلْق المبادرة الفاعلة في واقعه، وصناعة التغيير في مساحته واسترخاص الأوقات في سبيل هذه الغايات الكبرى ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ لقد جاء من أقصى المدينة، وما وسعه إلَّا أن يشارك في خلاص المصلحين! فما دورك في مجتمعك ومساحة تأثيرك؟ وما شأنك في إغاثة الملهوفين من حولك؟ فرق كبير بين أن تقوِّم خطأً عارضاً وبين أن تأتي مواسياً، وجابراً للخاطر، ومغيثاً لمشاعر المحتاجين!.

• **وعلَّمتني**: حاجة الإنسان إلى ربه وفقره إليه، حين خرج موسى عليه السلام خرج وفي قلبه ألف أسى، فتوجه إلى ربه وألقى بمشاعره إليه، وسأله أن يفتح عليه، ويهديه سواء السبيل ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ وحين سقى لفتاتَيْ مدين ألقى

بجسده إلى ذلك الظل على قارعة الطريق، وألقى بهمومه إلى الله تعالى ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ ومن رُزِق هذا الإخبات وصَدَق مع ربه تعالى، لقي كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الأنبياء والمرسلين والكبار يحملون هموم الآخرين، ويجودون لهم بكل شيء ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ وقد قالت خديجة ﵂ حين أقبل عليها رسول الله ﷺ خائفاً من الغار: (كلا، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق)، وهذا في باكر الدعوة وأول أيامها وبداية الرسالة، وحدَّثت عائشة ﵂ قائلة: صلَّى رسول الله ﷺ آخر حياته جالساً بعدما حطمه الناس! وهذه معالم الكبار في كل زمان ومكان، يغيثون الناس ويهبون لهم من أوقاتهم وأموالهم ومشاعرهم حتى يجدون كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ حياء المرأة وعفتها أمتع وأدهش ما فيها، لم تخالط هاتان الفتاتان أصحاب البئر أول وهلة، ومنعهما الحياء من مخالطة

الرعاع ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾، وحين جاءت إحداهن بعد ما سقى لهن جاءت كذلك في جلباب العفاف والحياء والستر ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ جاءت إليه يكسوها الحياء والعفاف، والذي نعتها بذلك الخُلُق وألقى إليها بهذا الوصف هو الله تعالى! وفي سنن أبي داود عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما نزلت ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٩] خرج نساء الأنصار كأنَّ على رؤوسهن الغربان من الأكسية. والقاعدة الكبرى في حياة المرأة ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ ما لم تكن هناك حاجة أو ضرورة للخروج.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كِبر المسؤوليات أضرُّ ما يكون على أصحابه ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ لقد تمطَّى فرعون في كبره وطغيانه، وتألَّى على الله تعالى، وبلغ به الأمر إلى حدِّ الاستكبار حتى أورده كبره إلى أسوأ النهايات. وهذا المرض غالباً ما يولد مع المسؤولية، ويموت في مرات معها، يكون إنساناً عادياً يضحك ويهش ويبش، ويملأ وقتك بالمرح والفرح، ثم يولِّيه الله تعالى مسؤولية فإذا بك أمام شخص كأنه ولد في

الكبر، واغتسـل في الطغيان، ولبس من أثواب الغطرسـة حتى كأنك لا تعرفه من قبل، نعوذ بالله من الخذلان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ أسوأ دلائل الحرمان أن يكون الإنسان إماماً في الضلال، وقدوة فـي الطغيان ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ ولأنْ يكون الإنسـان ذيلاً في فضيلة خير له ألف مرة من أن يكون رأسـاً في منكـر أو طغيان أو رذيلة! مهما بلغ الإنسـان في السـوء والضلالـة إلَّا أنَّه يأتي يـوم القيامة مسـؤولاً عن نفسـه وما اقترفت، بخلاف من كان إماماً في شـيء وداعيـة إليه وأول لبنـة فيه؛ فإنَّه يأتـي بمنكره وخذلانـه، ومنكر وخذلان كلِّ مـن اتبعوه على الطريـق، نعوذ بالله تعالى من سـوء التوفيق. في مرات كثيرة تجد من يرتب للضلال، ويكون هو الداعي إليه، والمتبنِّي له، وصاحب فكرته الأولى، وينفضُّ الناس في النهاية كلٌّ يجرُّ ظلمه على نفسـه إلَّا هذا المشـؤوم؛ فإنَّه يبوء بذنوب كل هؤلاء الذيـن انفضوا، ويحمـل أوزارهم كاملة يـوم القيامة، ويبوء بالفشل والحرمان في الدنيا قبل الآخرة. والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ دور الأب والمربي وصاحب المشـروع والداعية والمصلح منوط ببذل الأسباب الكفيلة بهداية من حوله، وليس له من

أمر هدايتهم شـيء ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ وهـو درس يعلِّمك أن تجهد فـي القيام بدورك، وبذل كافة الأسـباب الممكنة لصلاح من حولك فحسـب، وليس من شـأنك هدايتهم للطريق، فإن ذلك شـأن العلي الكبير! وهذا المعنى يخفِّف عنـك أعباء النظر للثمـرة ومطالعة النتائج وحسـاب العوائد، ويعفيك من كل الآثار التي تزاحم فيها نفسك ومشاعرك. كم مرة جهد إنسـان ثم توقف لأنه لم يَرَ الثمرة التي يبذل مـن أجلها، وكان يتطلع إليها بشـوق ويتوق إليها بجد! إن أمر القلوب وشـأنها لله تعالى علام الغيوب! وحسـبك قيامك بدورك وتبليغ رسـالة ربـك، وبذل كافة الأسباب، ثم ليس لك بعد ذلك شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ مشكلة القدرات والمهارات والطاقات والإمكانات التي يملِّكنا الله تعالى أنها فـي مرات تنفخ فينـا روح الكبر والتفوُّق الزائف، وتخلق فينا الاستعلاء على غير هدى ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ هـذا قارون يعطيـه الله تعالى أموالاً، ويفتح له أبواباً من الرزق، ويهبه ما يشاء من الحياة، ثم يجعلها سبيلاً للبغي والكبر، والاستعلاء على من حوله، ويرى بأنها كل شيء. وما حاجة هذه النعم إلى شـيء حاجتها إلى شكر الله تعالى وإجلاله، واستثمارها في طاعته وحسن الصلة به. وكل من فتح الله تعالى له باب

خير فعليه أن يحسن استثماره في الطريق الصحيح، ويدمن شكر الله تعالى والثناء عليه، ويتجنَّب طريق الضالين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الآخرة هي الأصل في عمل الإنسان، والدنيا وسيلة إليها فحسب ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ وهذه قاعدة كبرى في بناء مستقبل الإنسان. وأكبر مشكلة تواجه الإنسان اليوم هي قلب الموازين، فأصبحت الدنيا كل شيء. وما أكثر صور هذا المعنى! تجد من يبيع ويشتري، ولا يتحرَّج من ممارسة الغش والخداع والكذب والدجل من أجل بلوغ دنياه، ويتعامل في المال بصور كثيرة من بيوعات الربا، ولا يجد أدنى حرج في ذلك، وفي بعض صور هذا البيع ما يوجب لعنة الله تعالى وسخطه وعقابه وعذابه. وتجده يجهد في بناء كل شيء ويحرص عليه، ويبذل في سبيله كل ممكن، ويأتي لصلاته متأخراً، ولا يجد حرجاً في نفسه من تلك الصور التي يمارسها في حياته كل يوم.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من أعطاه الله تعالى مالاً أو مكانة ومسؤولية وجاهاً، أو علَّمه مهارة، أو منَّ عليه بقدرات وإمكانات وطاقات، فليحسن توظيفها في الطريق الصحيح ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾، وهل جزاء الإحسان إلَّا الإحسان! ولو أنَّ مخلوقاً ضعيفاً منَّ عليك

بعطاء أو جميل، وخدمك في شـيء لأصبحت مديونـاً له في مواقف كثيرة، وتعامله بأعظم مما عاملك بـه، وتجهد ألّا يراك إلا في مواقف الإحسـان، فالله تعالى أولى بك وأعظم مَنْ أحسن إليك ومدك بالنعم، وأجرى عليك عافيته وتوفيقه، فلا أقل من أن تسـتثمر تلك العطايا في طاعته وحسن الإقبال عليه.

• **وعلّمتني**: أنَّ من كمال وعي الإنسان وتوفيقه ألّا يستثمر نعم الله تعالى وعطاياه في الفسـاد، ويخلق بها أجـواءً من الفوضى ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾! والفسـاد فـي الأرض أن تعارض شرع الله تعالى بأهواء العالمين وأمزجة المخلوقين، وتعارض منهجه بمنهج أهل البدع والضلال، وتسن فيه المنكرات، وتجري فيه الفوضى، ولا تحاكم الأشياء إلى منهجه ودينه وشرعه. وأسوأ ما في ذلك أن توسّع دوائر المنكرات باسـم الإصلاح والتحضُّر والتمدن، وهي من أعظم صفات المنافقين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]. كم من إنسـان يقيـم منكراً في أرض خالية منه فـي الأصل، ولا يرى في ذلك حرجـاً، ويبدأ في خطوات الفساد، ويكون هو صاحب البداية فيها! وكلّما بنى الناس فضيلة أغار عليها بمنكر وقبيح!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الغفلة أسوأ الأمراض وأخطرها في حياة صاحبها، حين يُعطِي الله تعالى إنســاناً نعماً كثيرة ومتعددة، ثم يرى أنه أحق ما يكون بها دون غيــره ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾! وقد أشــار ابــن القيم ﷺ إلى الثلاث المهلكات وهي: (أنا، ولي، وعندي) الأولى قالها إبليس ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [صٓ: ٧٦]، والثانيــة قالهــا الآخــر متكبــراً ﴿إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، والثالثة قالها قارون ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨]. اهـ. وخير ما رزق الإنسان خشية وتقوى وصلاح قلب تجعله شاكراً لله تعالى، معترفاً بفضله موظفاً كل ما آتاه في طريق الحق والخير والمعروف.

• **وعلَّمتني**: ألَّا تغبط أحداً على نعمة آتاه الله تعالى إيَّاها حتى ترى توظيفه لها وحسن استثماره وعوائدها عليه، فكم من مُنْعَم عليه، وهو يخبط بها في غير هدى، ثم ما تبرح أن تكون شــاهدة عليه بالخذلان والحرمان ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩﴾ والنعم لا تقاس بوجودها في حياة الإنســان، وإنَّما تقاس بمدى عوائد الخير منها على صاحبها! وكم من نعمة كانت الطريق إلى سوء التوفيق والحرمان! وهذه مشكلة تــلازم كثيرين في عالــم اليوم، يــرون النعمة على آخريــن وتكفيهم مشــاهدها الأولى في حياة أصحابها، ويفوتهم أنَّ كثيــراً من الابتلاء يجريه الله تعالى عن طريق النعم، وكم من مفتون وهو لا يدري!.

• **وعلَّمتني**: سنة إلٰهية وقاعدة ربانية، وهي أنَّ العبرة بعواقب الأشياء، وما تؤول إليه في النهايات ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. إن قيمة الأشياء الحقيقة وآثار النعم لا تقاس بمجرد وجودها في حياتك، وإنَّما بأثرها وما تصنعه في واقعك ومستقبلك، وهذا ضابط نافع في كل ما تراه من نعم تجري في حياة الآخرين. لقد كان مال قارون في نظر أهل الدنيا كل شيء للدرجة التي قالوا فيها: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ وحين جرت عليه سنن الله تعالى عادوا يقولون: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ فليكن بصرك وقلبك معقود على هذا المعنى الكبير، وأن العاقبة للمتقين وإن طال زمان ذلك الانتظار! قد يكون المال القليل والمهارة اليسيرة والفكرة العادية بحسن نية صاحبها وإرادته وجه الله تعالى أعظم ألف مرة من صور مدهشة في غيرها، ولكنها في غير الطريق. ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بما يجدونه في قلوبهم ومشاعرهم لا بما يأخذونه من الدنيا. ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بما ينتظرونه من نصر وتمكين لدين الله تعالى في مستقبل الأيام.

سورة العنكبوت

• **علَّمتني سورة العنكبوت**: أنَّ الابتلاء سنة ربانية، تأخذ حقها من عباد الله المؤمنين ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ لا بدَّ لعباد الله تعالى أن يمتحنوا في الطريق، ويذوقوا مسَّ العذاب، ويجدوا بعض آلامه؛ لأنَّ الوعد في النهاية كبير! لا بدَّ أن يدركوا أن هناك ثمناً يجب أن يُدفع قبل الوصول إلى تلك الغايات، والمسألة ليست فكرة عارضة أو مقترح يصاغ للحياة، وإنَّما سنة ربانية ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ لا بدَّ أن تجري؛ ليُعرف صادق العزيمة والنية الصالحة، والجاد في الطريق، وحامل لواء النهضة بصدق ويقين، ويعرف في المقابل ذلك الذي جاء لعاجل من الدنيا وفتات من الأرض فحسب!.

لقد حمل هذا الدين رجال تحملوا أثقاله بصدق، وبذلوا فيه كل ممكن، ولقوا في طريقه كل شيء حتى لقوا الله تعالى وهم على الطريق والجادة! من فجر التاريخ إلى يومك هذا وسنة الابتلاء تأخذ حظَّها من عباد الله تعالى المؤمنين وستظل. قد يكون هذا الابتلاء من أهل الباطل

وأصحاب الشهوات حين يرون بأنَّ حامل لواء الدين هو الذي يقف في طريق شهواتهم فيقفون له في الطريق، ويجهدون في إعاقته، ومايزالون به حتى يُلقى في السجون! وقد يكون في شهوات تزدلف على الطريق من مال ونساء، وكم من صابر متجلِّد على كثير من الفتن واقع في هذا الطريق وهو لا يدري! وقد يكون الابتلاء والفتنة في العلم الذي أعطاه الله تعالى أو المهارة التي ملَّكه إياهــا، وقد يكون في الوظيفة التي هو فيها والمســؤولية التي يتولاها، وقد يكون في أهل بيته وولده وأسرته ومن حوله، وقد يكون فــي أمراض وأدواء وظـروف يتعرَّض لها ولا تنفك من حياته.

وعنــد الترمــذي ـ وصحَّحه الألبانــي ـ من حديث ســعد بن أبي وقــاص ﵁ قال ﷺ: «**أشــد الناس بـلاءً الأنبياء، ثــم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صُلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قــدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشــي على الأرض وما عليه خطيئة**»، وما أكثر الذين يقرؤون هذه الســنة الربانية وأول ما تلقي بظلالها على بعض أهل الحق أغاروا عليه لائميــن عاتبين: لو أنك فعلت كذا لكان كذا وكذا، والحقيقة أبين لكل ذي عينين من الشــمس التي تشــرق كل صباح، ولكن الجهل وضعف الإيمــان يلقيان بها على كثيرين! والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ تعب الإنسان وجهده وعناءه في الطريق إلى الله تعالى إنَّما هو لنفسه، وليس منه لله تعالى شيء ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ إن تعبك وجهدك وعناءك في الطريق إنَّما هو لنفسك، وأنت الرابح فيه وأول المستفيدين منه، وفي صحيح مسلم قال ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «**يا عبادي لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً.. يا عبادي إنَّما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلَّا نفسه**». سواء كان ذلك في صلاتك ونافلة قيامك أو في صومك وصدقتك وعمرتك وتلاوتك لكتاب ربك، أو كان ذلك في جهادك بمالك أو فكرتك ومشروعك، تأكد أنك إنَّما تبني لنفسك، وتكتب حظك من أيامك القادمة، وليس لله تعالى من ذلك شيء.

• **وعلَّمتني**: ألَّا تكون رأساً في فكرة باطلة، أو مشروع فساد، أو مشهدٍ من مشاهد المنكرات، فتكون حاملاً لوزرك وأوزار الآخرين ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ١٣﴾ وفي صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي قال ﷺ: «**من سنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنةً، فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سُنَّةً سيئةً، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من**

غير أن ينقص من أوزارهم شيء». ثمة أناس يصنعون منكراً يكونون هم بذرة الفساد وأصحاب نشأته، وأول من قام به في مساحة من الأرض، فيبقون مكبّلين به طول أعمارهم، تجري عليهم سيئات هذا المنكر، وكل من أقامه بعد ذلك كان على صاحبه الأول كفل منه إلى يوم القيامة. وكم من إنسان يقدم بين يدي الله تعالى بأحمال سيئات وذنوب وأثقال وأحمال، وهو لم يعمل منها شيئاً، فيدرك بعد حين أنها أثقال مبادرات السوء يوماً من أيام الدهر.

• **وعلَّمتني**: أنَّ المخلوقين لا شيء، وأن من أقبل على العالمين يريد نفعاً أو ضراً أو شيئاً، فإنَّما معه من هؤلاء كبيت العنكبوت، لا يستر من رؤية، ولا يدفع من غائلة، ولا ينفع في شيء ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٤١﴾ هل يعرف المشركون والمتخذون من دون الله تعالى أنداداً والمعظَّمون للأولياء هذه الحقيقة الضخمة؟! هل يعرف أولئك الذي احتموا بالمخلوقين من دون الله تعالى كم هو العائد إليهم في النهاية؟! هل يدرك الإنسان أنَّ الجاه والمال والمسؤولية أشبه ما تكون ببيت العنكبوت؟! حتى الذين تحتمي بهم وترى بأنهم يملكون كل شيء هم في الحقيقة أمام أقدار الله تعالى كبيت العنكبوت لا فرق.

• **وعلّمتني**: أنَّ عبادة الله تعالى هي الغاية الكبرى من وجود الإنسان، وعلى هذا فينبغي أن تكون كل قراراته في شؤونه العامّة والخاصة وفقاً لهذا المعنى الكبير ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ لا تحدكم أرض ولا مساحة لا تجدون فيها أرواحكم، وتغيب عنكم فيها مباهج دينكم. يجب أن تكون قراراتنا في البقاء في أرض أو عدمه وقف على صلاحية ذلك المكان لإقامة دين الله تعالى فيها أو لا! وهل القبول بتلك الوظيفة أو المسؤولية يحقق لي الطريق ذاتها إلى الله تعالى أو لا! وهل ذلك الزواج سيجري في فلك طاعة الله تعالى أو لا! ليس ثمة أرض صالحة لبقاء الإنسان فيها إلا الأرض التي يلقى الإنسان فيها قلبه ومشاعره، ويقيم فيها دينه ومنهجه، وما عدا ذلك فتراب لا قيمة له في شيء.

• **وعلّمتني**: أنَّ بناء التصوُّرات من أضخم القضايا التي ينبغي أن يعتني بها الإنسان في حياته كلها، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ دليل ذلك المعنى الكبير! كل هذه الحياة بكل ما فيها، كلها وليس بعضها مجرد لعبة في عارضة الطريق ليس إلا! مجرد متاع عارض للهو واللعب والعبث ثم لا شيء! وفي المقابل الحياة الكبرى هي في تلك الدار ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ وإذا كانت هذه هي الحقائق، فمثلك أوعى بالفرص.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الطريــق إلى الله تعالى موقوف علــى عملك وتعبك وجهدك فحسب ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ هداية الله تعالــى لك، والنعيم الــذي تنتظره من ربــك، والحياة التي تنشدها في قلبك ومشاعرك، والروح التي تودها في فكرتك ومشروعك كل ذلك وقفٌ على الجهد الــذي تبذله في الطريق إلى الله تعالى. هذه سنة الله تعالى في الكون أن فألك وعملك ونجاحك على قدر عنائك! وهي سُــنَّة تقوم على العــدل، وأن نجاحك وكمــال نعيمك على قدر حرثك وعملك! كل طريق في الحياة له نهاية، والباب الذي يُقرع مراراً يُفتح لك، ومدمن القرع لا بدَّ أن يلجا، ومن وقف على باب الله تعالى طويلاً أذن له في الدخول. إذا أردت النجاح في مشــروعك الشخصي، أو أردت اللذة والراحة والطمأنينة في قلبك ومشاعرك، أو أردت جمع شمل أسرتك وصلاح ولدك وأهلك، كل ذلك موقوفٌ على قدر طرقك للباب وإدمانك الوقوف عليه.

سورة الروم

• **علَّمتني سورة الروم**: خطـورة الأفـكار والمفاهيم والتصوُّرات، ودورها في صناعة الوعي ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ ما علاقتـك كمسـلم بحرب بيـن دولتيـن لا علاقة لها بالإسلام في شـيء! ما دورك في القضية! وما شأنك بها من الأصل! يعلِّمك الإسـلام ويؤهِّلك من خلال الوعـي أن تكون فـرداً صالحاً للتفكير والمشـاركة في نصر الروم حتى لو بالفرح؛ لأنَّهم أهل كتاب وأقرب إلى ديننا من دولة الفرس؛ لأنَّهم عبدة أوثان. وفي مرات كثيرة يصنع الوعي كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ خلـل الرؤية مفضٍ بأهله إلـى الضياع والحرمان، ترى هؤلاء الكفار يعرفون كل شيء عن الدنيا، ولا يعلمون عن الآخرة شيئاً ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ صُنَّاع الحضارة اليوم يحدِّثونك عن كل شـيء فـي هذه الدنيـا، ويطلعونك على أدق

التفاصيل فيها وهم كالأنعام أو أضل! إنَّ العلم الحقيقي ما اتصل بالدار الآخرة وأقبل بك عليها، وأخذ من الدنيا ما يبني مستقبله في تلك الدار فحسب. وهذا المعنى مبسوط في حياة كثير من المسلمين فضلاً عن غيرهم، تجد من يخبرك بدقائق تفاصيل دنياه، ولم يتمكن بعد من معرفة صلاته على الوجه الحقيقي، وقد يقصُّ عليك تفاصيل كثيرة ودقيقة عن دنياه، وقد لا يعرف في مرات كثيرة أركان الإيمان والإسلام! وقد قال الحسن البصري رحمه الله: بلغ أحدهم في دنياه أنه يقلِّب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه، وما يحسن أن يصلِّي. والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ وعي الإنسان يأتي من خلال السير في الأرض ورؤية تاريخ الراحلين، وأخذ العبرة الكافية من درس التاريخ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾﴾ وثمة درس كبير وضخم في حياة المعارضين لمنهج الله تعالى والحاملين للواء الباطل، وقد أضحوا صرعى، وصاروا إلى لقاء الله تعالى. وكم في المقابر من حكايات كثيرة من هذا المعنى! وما لم تره عين الإنسان اليوم في الأرض تقرأه في التاريخ كأنه رأي عين، ومن أدرك هذه الحقائق أخذ منها ما يكفيه للنجاة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الزواج أنس وراحة وسكن ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ لا تقوم الحياة كما يراد لها إلا من خلال زوج! فسبحان من أودع في المرأة هذا الجمال! زوجان يلتقيان لأول مرة في العمر ثم ما هي إلا أيام وليالٍ، وتنشأ تلك العلاقة وتعود تلك الغريبة سكناً للروح والمشاعر، وينشئ الله تعالى مودة ورحمة بين غريبين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ ما يلقاه الناس في واقعهم من جدب وكثرة أمراض ومشكلات وأزمات إنَّما هو من صنع أيديهم ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ وأنَّ الله تعالى لا يصنع هذا بالخلق لتعذيبهم، وإنَّما لرحمتهم وإعادتهم إليه تعالى من جديد. مشكلتنا الكبرى أنَّنا لا نعترف بالحقائق، وغير مستعدِّين في الوقت ذاته لإجابة أمر الله تعالى والإنابة إليه والعودة له تعالى، حتى مع وجود هذه الحوادث والأزمات.

إنني أتدبَّر هذا المعنى في يوم الاثنين الثامن عشر من شهر رمضان لعام ١٤٤١هـ، وأنا في الحجر المنزلي من أثر أزمة عالمية حلَّت بالعالم كله من أجل فيروس لا يُرى بالعين المجردة، ينتشر انتشار النار في الهشيم، يمرض في اليوم الواحد منه الآلاف، ويموت منه بالمئات، وجاوزت الأزمة الأشهر والعالم الحضاري التقني يضرب بكف على كف، عجز أن يجد علاجاً لذلك، وقد أقفلت المساجد جمعة وجماعة،

وأقفلت الأسواق، والأماكن التجارية، ورحلات الطيران بين دول العالم، ومُنع الناس من التنقل، وحُجر عليهم في بيوتهم، ولو أنَّك ألقيت على الناس موعظة بأنَّ هذه الذنوب بما كسبت أيديهم كما يقول الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ لرمقتك الأعين ألف مرة تعجباً واستنكاراً!.

ومازال الناس يسألون عن الأسباب ويتهافتون على الأخبار، ويتناقلون الأقوال، ويدفعون في سبيل ذلك كل شيء، ولم يوقنوا كلُّهم أو جلُّهم أنَّ سبب ذلك من الله تعالى، ورفعه مقرون بالعودة إليه من جديد، ومن كان هذا حاله سيظل يرزح في الغفلة عمره كله حتى يلقى الله تعالى وهو على غير هدى! علينا أن نعترف بأخطائنا، وأن نقابل ذلك الاعتراف بالتوبة والعودة إلى الله تعالى والإنابة إليه، ثم ستحين بعد ذلك مواعيد الفرح، وسيجري الله تعالى خيراته كما نشاء. والله المسؤول أن يعجّل بفرجه، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه.

• **وعلَّمتني**: ضعف الإنسان في البدايات والنهايات، وأنَّه مهما كان لا ينفك عن هذه الحقيقة ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ يبدأ ضعيفاً مولوداً صغيراً لا يستطيع الحراك، ثم ما يلبث أن يكبر ويكبر حتى يصبح قويّاً جبّاراً عنيداً، ثم يعود من جديد إلى ضعفه الأول، ويخرج من الدنيا كما جاء إليها أولاً! كم في تقلُّب هذه

الأحوال من دروس وعبر وعظات! ماذا لو أن الإنسان علم هذه الحال وتيقَّنها وأبصرها على حقيقتها، ثم جهد ألَّا يعود إلى ضعفه الأول إلا بعد أن يكتب حظه منها، ويصنع فيها ما يلقى به الأفراح بين يدي ربه تعالى يوم القيامة. ما أحوجنا للذكرى!.

سورة لقمان

• **علَّمتني سورة لقمان**: مشكلة الإنسان حين ينسى قضيته الكبرى فيدفع ماله، وجهده ووقتـه في محرَّم مـن المحرمات ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٦﴾﴾ وإذا لم يكرم الله تعالى عبده بتوفيق صنع لنفسـه كل أسـباب الحرمان، وجهـد في ضياع حياتـه بكل ما يملـك. قال ابن مسعود ﷺ: هو الغناء والاسـتماع إليه، وقال ﷺ محذِّراً: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل. اهـ.

وصحابة رسول الله ﷺ أعلم الناس بكتاب الله تعالى، وهو من أشد ما يلهي عن ذكر الله تعالى، ويصرف القلوب إلى مراتع الحياة العاجلة، ويُذهب منها بريق الآخرة وتطلعات ذلك المجد الكبير، والله المستعان! وما أكثر اللهو في زمانك! وما أكثر أدواته ومسـاحاته! والإنسان جاء لغايات كبرى ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة: ٣٠] وهو أكبر من أن تجري مساحات همومه وأوقاته في الفوضى والضياع.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الله تعالى منحاً يتفضل بهـا على عباده ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴿١٢﴾﴾

وما كل عبد صالح لهذا المعنى الكبير، والموفق من وفّقه الله تعالى، فهذا ربك يكرم عبده الصالح لقمـان ويؤتيه الحكمة، ومن صلح مع ربه تعالى وأحسن الطريق إليه وصدق في ذلك ألقى الله تعالى عليه بمثل هذه المنح وأمثالها، وكم من عطايا لدى الإنسان لم ينتبه لها مع الغفلة، وأكثر ما يقال بأن ذلك من مهارات الإنسـان وقدراته ومميزاته، ويفوتنا أنَّ الله تعالى هو المتفضل على عبـده، ولو عرف هذه الحقيقة ما وسـعه ما بقي من عمره لشكر الله تعالى والثناء عليه.

• **وعلّمتني**: أنَّ إرث التربيـة أعظم الموروثـات! ماذا ترك لقمان لابنه غير هذه الوصايـا التي أصبحت مثالاً صالحـاً للمربّين على مرّ الأزمـان! ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ ماتزال هذه الوصية تعلّمنا دور

التربية في إدارة الأولويات، وصياغة الخطاب الدعوي، وطريقة التعامل مع المخالف، وتعميق الرقابة الذاتية، وهي أثمن ما يمكن أن يعين الإنسان على إدارة فكرته ومشروعه في الحياة. كم من كلمة جميلة صنعت بريقاً في ولدك! وكم من رسالة مليئة بمشاعر الحب أعادته للحياة من جديد. انتبهوا لكلماتكم التي تلقونها إلى أبنائكم، اعتنوا بها، اشحنوها حبّاً، ضعوها على قاعدة القيم الكبرى، وستبقى للتاريخ كما أنَّ كلمات لقمان بقيت كذلك للتاريخ.

• **وعلّمتني**: أنَّ من فقه الأب والمربي والداعية والمصلح أن يعتني بإدارة الأولويات في مشروعه، وأن يدرك أنَّ النجاح وقفٌ على هذا المعنى الكبير ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ لقد بدأ لقمان أول درسه وموعظته بأهم الأولويات على الإطلاق، بدأ بالتوحيد وبناء العقائد في النفوس، وأدرك أنَّ البناء لا يقوم إلَّا على أصل كبير متين حتى يصمد مع طول الأزمان. وإذا بنيت العقائد استوى البناء، ومن لم يصرف جهده على هذا المعنى سقط بناؤه من أول وهلة، ولم يلق شيئاً صالحاً للحياة في مستقبل الأيام.

• **وعلّمتني**: أنَّ البر بالوالدين من أعظم الأعمال وأكثرها أثراً على حياة صاحبها، وأعودها عليه في الدارين، ومن فتح الله تعالى له في هذا

الباب، فقد فتح له أعظم الأبواب ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ وإذا قرأت هذا النص بإمعان وجدت أنَّ الله تعالى يأمرك ببرِّهما حتى لو كانا كافرين، وهما في صراع معك على أن تترك دينك وتكفر بربك، فلا تطعهما في الكفر، ولكن لا تكف عن صحبتهما بالمعروف، فما بالك بأبوين مؤمنين طائعين لله تعالى!.

• **وعلَّمتني**: عظم مراقبة الله تعالى لما يجري في الكون ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ حتى لو كانت مثقال ذرة في الصخر أو في السماوات أو في الأرض يعلم شأنها تعالى، ويتولَّى رزقها، ويجري لها الحياة! فما الشأن بما يجري في صدرك من أمر نيتك! وخيانة عينك! والتفات قلبك إلى غيره تعالى! وخيانة الجوارح في آناء الليل وأطراف النهار! ومن عرف أنَّ ربَّه يعلم شأن حبة من خردل في الصخر، عرف ما له من حق، وأقبل عليه تعالى معظماً مجلاً لكل شيء.

• **وعلّمتني**: أنَّ شــأن الصلاة عظيم، وهي ركن الإســلام وقاعدته الكبــرى ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ فإقامــة الصــلاة أصل في ديــن الله تعالى، وأعظم أركانه، ومن صلحت له صلاته صلح له كل شيء، ومن ضاعت منه ضاع منه كل شــيء، واســتقبل الحرمان علــى مصراعيه. وحركة الإنســان في واقعه آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر أثر من آثار تلك العبادة العظيمة، وقلَّ أن تجد مقبلاً على صلاته مدركاً لآثارها إلا وهو يقوم بهذه الشعيرة، ويقوم على حظوظها في نفسه وبيته وولده أولاً، ثم في العالمين من حوله. وذكَّر هذا الصالح ابنه بعد قيامه بدور الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكــر بالصبر ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ لأنَّ قيام الإنســان بدوره مؤذن بتعرضه للأذى، فلا بدَّ من الصبر على ذلك حتى يبلغ أمانيه التي يريد.

• **وعلّمتني**: أنَّ التعامل مع الناس دين يتعبد به الإنسان لربه تعالى ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ وأنَّ من أدب المؤمــن أن يتواضع للآخريــن، ويترك الكبر والاســتعلاء، ويقضي مصالحه معهم وفق شريعة الله تعالى. وعند الترمذي ـ وحسّنه

الألباني - من حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال ﷺ: «**إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم منِّي مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**»، وفي سنن أبي داود من حديث عائشة ﷺ - وصححه الألباني - قال ﷺ: «**إنَّ المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»، وقال ابن القيم ﷺ: من سبقك في الأخلاق، فقد سبقك في الإيمان.

• **وعلَّمتني**: ضعف الإنسان وقلة صبره وضحالة إيمانه بربّه تعالى ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)﴾ حين يغشاه الموج وتتكالب عليه الأخطار، ويعاين الموت يعود إلى ربه مخلصاً داعياً وجلاً خائفاً مجلّاً معظماً، فإذا نجّاه الله تعالى وعاد عليه الأمن واكتسى بالعافية ورأى النور عاد جاحداً معرضاً، وأحسن أحواله أن يعود مقتصداً في عبادته غير متكثّر من شكره! وتتكرر هذه الصور ليس في البحر فحسب، وإنّما في كل ما من شأنه أن يهزَّ كيان الإنسان ويعيده لضعفه، ويكسر جبروته ويعرفه بنفسه؛ كالأمراض والأدواء التي تعصف به، وتريه واقعه مع الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ هناك يوماً للجزاء والحساب والسؤال والعقاب، ويتغيَّر فيه كل شيء، وما كان نافعاً لم يعد ينفع في شيء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ

اتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ وإذا تخيّلت صورة والد وولد لا ينفعان أنفسهما في شيء، وقد كانا في الدنيا كل شيء أدركت ما ينتظرك في تلك اللحظات. إن وعد الله تعالى حق، فلا تغرَّنكم الحياة الدنيا، فقد غرّت أمماً في الأرض ولقوا الله تعالى على غير هدى!.

• **وعلّمتني**: أنَّ علم الغيب مردُّه لله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ وهذا كله بخلاف ما تراه وتسمعه من أصحاب الطقس، وعلماء هذا الباب كنزول الأمطار وهبوب الرياح وتوقع الكسوف، ونحو ذلك مما هو متاح ويمكن من معرفته من خلال سبر تلك الوقائع في علوم الدنيا بخلاف القدرة على إنزال الغيث وأسباب نزوله والقدر الذي ينزله الله تعالى وموعد الساعة، وما في الأرحام قبل وصوله لمرحلة علم البشر، وما يكسب في الغد من رزق، وبأي أرض يموت، فهذه لله تعالى لا سبيل فيها لمخلوق في الدنيا كلّها.

سورة السجدة

• **علَّمتني سورة السجدة**: أنَّ قضية الإيمان بالغيب أعظم ما يتجلَّى في واقع المؤمنين المتقين ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣﴾ من السهولة بمكان أن تؤمن بالأشياء الحسّيَّة، ولكن أن تؤمن بالغيب لأنَّه من الله هكذا دون أن تسأل وتناقش وتبحث، فإنَّ هذا هو الإجلال والتقديس والجلال الكبير في حياتك. المؤمن يؤمن إيماناً يقينيّاً بأن كل ما في القرآن صدق وحق، ويرى حقائقه كأنَّها رأي عين، ومثل ذلك كل ما صح به الوحي في مسألة القبور والبعث والجزاء يراها كذلك، ولذلك ذكر الله تعالى هذا المشهد المدهش في حياتهم فقال: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝١٥﴾ استسلام كلي دون بحث أو سؤال! ومتى ما وجدت قلبك ومشاعرك تفعل هذا في كل ما يأتيك من الوحي، فاعلم أنَّك على الطريق.

• **وعلَّمتني**: أنَّ المتأمل في خلق هذا الكون سيرى إبداعاً مدهشاً لأقصى مدى ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ مُدَّ بصرك إلى هذه السماء دون عمد، وهذه الأرض مذلَّلة لا تكاد تختلُّ، وهذه الجبال الأوتاد للأرض، انظر متأملاً في خلق هذا الإنسان بمشاعره وعواطفه وتكوينه الجسماني والفكري والمشاعري، خذ جولةً طويلةَ الأمدِ في هذه الطيور والحيوانات بمختلف أشكالها وألوانها وأحجامها ووظائفها في الحياة لتقف واجماً عن الحديث مندهشاً مما ترى. وقد قال الأعرابي: إنَّ البعرة تدلُّ على البعير، والأثر يدلُّ على المسير، وسماءٌ ذات أبراج، وأرضٌ ذات فجاج إنَّها لتدلُّ على العليِّ الكبير.

• **وعلَّمتني**: أنَّ هناك يوماً يدار فيه الجزاء والحساب ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ١٢﴾ يوم يأتي فيه المجرم وقد صنع كل أشكال الفوضى والاعتداء والظلام، جاء في النهاية منكَّس الرأس ذليل القلب مهين ذليل، يعترف اليوم أنه أبصر الحق وسمعه، وقد كان عمره كله ضائعاً تائهاً! اليوم بعد أن عاشوا سنين طويلة يسألون الله تعالى العودة، يريدون أن يبدؤوا من جديد، معتذرين عن كل شيء، ولكن بعد أن فات الأوان! وكم من قارئ لهذا الموقف اليوم وهو غارق في اللهو والعبث والفوضى، وغداً يتضح كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من أبهج صور الإيمان وأجملها وألطفها تلك اللحظات التي يظلم فيها الليل، ويغيب عنها الخلق، ويترك المؤمن فراشه الوثير رغم ضرورته إليه، ويمدُّ سجادته لربه تعالى، ثم يقف بين يديه ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (١٦)﴾ والذين يتحدثون عن الإخلاص يدركون أنَّ هذا المشهد هو واحد من أمتع صوره وأجمل لحظاته على الإطلاق، وقد أثنى الله تعالى بهذا المعنى على عباد الرحمٰن، ونعتهم به وهو دليل على مكانته وأثره. ومن تيسَّر له وواظب عليه استلذه للدرجة التي يرى بأنَّه من أعظم أفراحه في يومه وليلته، ومن جرَّب عرف ومن ذاق استلذ.

• **وعلَّمتني**: أنَّه لا يستوي أهل الإيمان وأهل الفسق ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ (١٨)﴾ لا يستوي مؤمنٌ مستقيم الفطرة على منهج الله تعالى وهدي رسوله ﷺ، وفاسقٌ على منهج الشياطين! لا يستوي مؤمن يعيش وحدة الفكر والتصوُّر، وفاسق تعبث في فكره الأوهام إلى أقصى مدى، لا يستوي من هو آمنٌ في قلبه مطمئنٌ في مشاعره، وشعثٌ يطارده الحرج والضيق في كل لحظة من عمره. لا يستويان في الدنيا فكراً ومنهجاً وسلوكاً، فكيف يستويان في الآخرة نهايةً وخاتمة.

سورة الأحزاب

• **علَّمتني سورة الأحزاب**: خطر طاعة المنافقين والكافرين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ إن كنت لا تعلم بمآل الأمور فالله تعالى يعلم! وإن كنت لا تدري أين ستكون النهايات التي تتبع فيها عدوك من المنافقين والكفار، فالله تعالى يعلم، وقد نهاك وذكَّرك وخوَّفك، فالقضية كبرى، فلتكن منك على بال. وإذا كان هذا التوجيه لرسول الله ﷺ، فلغيره من باب أولى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ لا تطع أعداءك، ولا تخف منهم حال عصيانك لهم، فالله تعالى يكفيك عن كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الوحي هو الأصلح لبناء الإنسان ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾! هو قلب واحد، فلا يصلح له إلا منهج واحد، وتصوُّر واحد، وعقيدة واحدة، وفكرة واحدة فحسب! هذه الوحدة الشعورية التي يخلقها الإسلام في فكر وقلب وروح صاحبها هي

الكفيلة بسلامة طريقه إلى النهاية. ماذا يصنع قلب وهو يعيش ألف فكرة وألف رأي وألف وهم! ما يصنع قلب لم يهتد إلى هذا الدين، وتُعرض عليه كل يوم أفكار وشبهات وأوهام الدجل، ولا يدري أين يضع قلبه، وكيف يصرفه في ظل هذا الشتات! سيظل كل إنسان متعطِّش للحياة الجميلة المدهشة التي تخفِّف عنه أعباء الشتات والفوضى، ولن يجدها إلَّا في دين الله تعالى فحسب.

• **وعلَّمتني**: أنَّ أجواء الفتن والأزمات والمشكلات هي أنسب أجواء النفاق والمنافقين ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ هذه مقالة النفاق والمنافقين في وقت الأزمة، في غزوة الأحزاب ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ وإذا قرأت فصول الغزوة بإمعان أدركت ما يصنع النفاق ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾ لا تعجل على النفاق والمنافقين حولك، انتظرهم أيام الأزمات والمشكلات، ثم ستسمع سمّاً زعافاً يخرج من قلوبهم الحاقدة، لا كثَّرهم الله في جمع، ولا أبقى لهم ذكراً في مكان! هم العدو فاحذرهم، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ إعاقة الحركة الناهضة في أوقات الأزمات أعظم أدوار النفاق والمنافقين ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ في الظروف الصعبة والأوقات المتأزمة سيخرجون إليك يدعونك للتوقف عن المشاركة والسلامة من لقاءات الرايات فيها غير بيِّنة، وانتظر حتى يتبيَّن لك الواقع وتسلم الوقوع في الشبه، وهذا يجري في جهاد المعركة على الأرض كما هو النصُّ في غزوة الأحزاب، ويجري كذلك في أرض الفكر ومعركة الأفكار والمفاهيم والتصوُّرات لا فرق. كم من قاعد دوره دور المنافقين، وهو أكثر من يمثِّل حركة المعوِّقين عن العمل والحركة والبناء، ويرى بأن ذلك مصلحة من المصالح، وفاته أنَّه خلقٌ من أخلاق المنافقين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الأنبياء والمرسلين أعظم القدوات على الإطلاق ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ وليس هناك قدوة في كل شيء سوى الرسل! والاقتداء بغيرهم منوط بما وافقوا فيه الوحي فحسب. وحاجة الناس اليوم كبيرة وملحَّة إلى قدوات يأخذون منهم دين الله تعالى. ومن فقه المؤمن أن يقبل على دراسة سيرة رسوله ﷺ دراسة متأنِّية يتعرَّف من خلالها على موارد الهداية، ويقتدي به في كل شيء. كم هي حاجة الآباء والأزواج لسيرته ﷺ فضلاً عن القادة والمربِّين! ومن يمِّم وجهه لهذا المعنى لقي كل شيء.

• **وعلّمتني**: أنَّ الثبات صفة المؤمن المتيقن بوعد الله تعالى في كل زمن، وفي أوقات الأزمات على وجه الخصوص ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ وهذه الكلمة المتينة والموقف الكبير للمؤمنين في غزوة الأحزاب ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ وما حاجة أهل الإيمان في الأزمات إلى شيء حاجتهم للثبات! وكم من متخلف عن هذه المعاني في تلك الأوقات! وكم من مرتدٍّ على عقبيه! وكم من متنازل عن قيمه ومبادئه بعد أن كان يقررها وينافح من أجلها! وإذا عرف المؤمن أثر الفتن في مواقف الإنسان أقبل على ربه تبارك وتعالى داعياً متضرعاً متصلاً به معتنياً بأوراده مقبلاً على كتابه تلاوةً وتدبراً، والله المسؤول أن يثبّتنا على دينه ومنهجه.

• **وعلّمتني**: أنَّ الصدق والثبات من أعظم معالم الإيمان ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ كم من أقوال كانت بحاجة إلى أدلة تحملها على الصدق، وتصنع فيها الحياة! وأعظم مقامات الدين الثبات في الفتن والأزمات، وأصل هذا المعنى الكبير الصدق مع الله تعالى، حين يبيع المؤمن نفسه من ربه تبارك وتعالى يصنع كل شيء، ورحم الله تعالى أنس بن النضر رضي الله عنه لم يشهد بدراً فقال مقولته المشهورة: لئن أراني الله تعالى مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرينَّ الله ما أصنع! فشهد

أحداً فأقبل ثائراً وهو يــردِّد: واهٍ لريح الجنة، إنّــي أجدها دون أحد! فقاتل حتى قتل فما عرفته إلَّا أخته ببنانه، وفيه وفي أمثاله نزلت هذه الآيــة: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ وليــس من زمــان أحوج من زمانك لهذا المعنى، وقد كثرت الشــهوات والشــبهات، وتساهل كثيرون في ثوابت ضخمــة وكبيرة، وتنازل آخــرون عن قضايا لــم تكن موضع نقاش، فدونك موارد الصدق والصادقين.

• **وعلَّمتني**: أنّــه كلما عظم دور الإنســان وكبر مقامــه كان الخطأ الحاصــل منه كبيــراً وعظيماً فــي المقابــل ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ لأنهن نســاء النبي ﷺ ومقامهن عظيــم، فصار الجزاء علــى قدر ذلك ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ ومن فقه الإنسان أن يعرف قدره، ويضع نفسه في المكان اللائق به، ويدرك تماماً أنَّه كلما كبر مقامه عظمت في المقابل أخطاؤه، والتوســع يبعث على الحذر. ولعلك تسمع في مرات كثيرة وفي مجالس متعددة: مثله لا يفعله، ولو كان من غيره كان مقبولاً. وإن كان الإنسان بشر وعرضة للأخطاء أيّاً كان إلَّا أنَّ لهذا المعنى موقعاً، ويحتاج الإنسان أن يرعاه حتى لا يقع فيما يؤثِّر عليه في مستقبل الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ المرأة فتنة، وهي أخطر ما على الرجل ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾ وإذا كنَّ أزواج النبي ﷺ وأمهات المؤمنين وفي زمن صحابة رسول الله ﷺ ويُذكَّرن بهذا التوجيه، فغيرهن أشد وأعظم! وفي زمانك اليوم تُختار المرأة لأن تكون في صالة الاستقبال، أو تتولى الردَّ على الاتصالات لأجل المال، ويتسلقون في مرات كثيرة لشهواتهم من خلال صورتها الجميلة وصوتها الناعم، والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ بقاء المرأة في بيتها هو الأصل الشرعي ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ وليس من حقنا أن نشرّع للمرأة منهجاً يتخاصم مع أصل الوحي أو يتصادم معه، فإنَّ الله تعالى الذي خلق المرأة هو الذي قرر لها هذا الأصل، والتجارب الضخمة للأمم في مختلف بقاع العالم دون استثناء تثبت سلامة هذا المنهج، ويمكنها أن تمارس وظائف تتناسب معها كونها معلمة، أو طبيبة خاصة بالنساء، وتأمن في تعليمها أو وظيفتها من الاختلاط حتى تستطيع أن تقوم بدورها الكفائي، وتسدَّ حاجةً إليها لا تكون إلَّا بها ومن خلالها بالضوابط الشرعية المقررة في شريعة الله تعالى، وما يأتي من أهل الذكر في فهم النصوص وتنزيلها على الواقع الذي هي فيه فحسب.

• أنَّ التسليم للنص الشرعي والإذعان له هو موقف المؤمن بالله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ وهو الأدب الواجب مع الوحي، وأعظم الأدلة على الإيمان، وأكثر الشواهد على إجلال العبد لربه تعالى.

• وعلَّمتني: أنَّ الله تعالى خلق هذه المرأة وفطر الرجل على حبها والتعلُّق بها، وجعل ذلك نوعاً من الابتلاء في الدنيا، وفي شريعته تعالى ومنهجه كل الوسائل الكفيلة بالتعامل مع هذه المرأة في وضع آمن سالم من العوارض، كقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ وهو منهج يحفظ المرأة والرجل من الفتنة، ويقيهم من غوائل السوء في مستقبل الأيام. وإذا كان هذا التوجيه لصحابة رسول الله ﷺ، ومع أطهر نساء الأرض فما الشأن مع غيرهن! وهو درس كبير وضخم يجب ألَّا يتهاون في التعامل مع المرأة مهما كانت الظروف، فإنَّ عواقب ذلك أكبر من أن تُذكر، وفي صحيح مسلم من حديث عقبة بن عامر قال ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**» والحمو: أخ الزوج أو قريبه! وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال ﷺ: «**لا يخلونَّ رجلٌ بامرأة إلَّا مع ذي محرم، ولا تسافر المرأة إلَّا مع ذي**

محرم». وإن عاقلاً يقرأ هذه التوجيهـات ويتهاون في ذلك لهو أقرب ما يكون للخسران.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الحجاب منهج الله تعالى وشرعه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ وعلى المرأة أن تدرك أنَّ فلاحها وسؤددها في شرع الله تعالى، وأنَّ هذا الحجاب هو عفافها وطهرها وجمالها، ويكفي أنَّها تمتثل شريعة الله تعالى وتطبِّق شرعه وتجلُّ وحيه، ووليها في المقابل، سـواء كان أبـاً أو زوجاً أو ابناً وأخاً، يجب أن يدرك هذا المعنى الكبير، وأن يسـعى في تجذيره وبناء قيمه في نفوس من يقوم على شـؤونهن، فهذا واجب شرعي وأمانة تحتاج إلى رعاية وعناية حتى تكون أصلاً ثابتاً وحكماً بيِّناً في حياة النساء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ تأجير العقول مشكلة تواجه كثيرين ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ كم من إنسان سـلَّم عقله وفكره وألقى به لكاتب في صحيفة، أو حسـاب في تواصل اجتماعي، أو مقاطع على الشبكة لنكرات وأخذ عنهم كل شيء، وألقى بنفسـه في الظلام باسم العلم!

وكم من إنسان جعل نفسه كالعبد بين يدي مسؤول من المسؤولين، فأجراه في فلك الخذلان!.

• **وعلمتني**: أنَّ صلاح حالك وبيتك وعملك موقوف على تقوى الله تعالى وعفة لسانك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ نفوس كثيرة تشتكي صعوبة الحياة وآلامها، وبيوت كثيرة تشتكي نزاعاً وشقاقاً، وأحوال مثيرة تبحث عن الحل، وتريد الخلاص مما هي فيه، وخلاصها وأقرب الحلول إليها تقوى الله تعالى، وعفاف ألسنتها عن أعراض الآخرين، وهذا وعد الله تعالى لمن اتقاه وعفَّ لسانه عن كثير من القيل الذي لا فائدة فيه أن يصلح أعماله ويغفر ذنوبه، ويأتي على آماله كما يشاء.

• **وعلمتني**: جهل الإنسان بحاله ومقامه بين يدي الله تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ والأمانة التي حملها أمانة التكليف والقيام بعبادة الله تعالى، وأمانة القيام بحمل الرسالة والمنهج، وكل ما يجري بين العالمين من أمانات، وهي مهمة ضخمة وكبيرة وعظيمة، وعليها سيدار سؤال الحساب والجزاء

والثواب والعقاب، والموفق من رعى هذه الأمانات وقام بتكاليفها، وسأل الله تعالى العون على الوفاء بها، والقيام بحقوقها في مستقبل الأيام.

سورة سبأ

• **علَّمتني سورة سبأ**: أنَّ نعم الله تعالى أحوج ما تكون إلى الشكر والعرفان، وأنَّ التخلُّف عن شكرها وعدم القيام بواجبها مؤذن بزوالها وفواتها ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ ولله تعالى سنن في الكون من فرَّط فيها ولم يأخذ بها، لقي الحرمان! كان هؤلاء في نعمة، فأعرضوا عن شكرها وكفروا بها، فأجرى الله تعالى عليها سنة التغيير والتبديل ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ وهذه سنة الله تعالى على مستوى الأفراد والجماعات والدول لا فرق!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ مسؤولية الإنسان يوم القيامة عن نفسه، ولا علاقة له بالآخرين في شيء ﴿قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

ومن فقهك أن تنجو بنفسك، وتلقى الله تعالى خالياً من التبعات. وحاجة الإنسان إلى هذا الفقه من أعظم الحاجات. ما أكثر المشغولين بمن حولهم، وأنفُسُهم تعيش الضياع والضلال والفوضى، يُضيع زمانه وعمره وهو يصنّف ويبدّع ويضلّل، ويتهم عباد الله تعالى ظلماً وزوراً، وكأنه قاضي زمانه وفقيه عصره، وأنّ الله تعالى ولّاه على خلقه، ولم يبق منه إلّا أنْ يوزعهم على الجنة والنار، ولكن لا غرابة إذا ماتت القلوب لم يبق شيء صالح للحياة.

• **وعلّمتني**: أنّ خطر التصوُّرات من أخطر المشكلات التي نواجهها ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ تصوَّر هؤلاء أنّ الأموال التي أعطاهم الله تعالى، والأولاد الذين أنعم عليهم دليل حبّه لهم وعلامة نجاتهم من العذاب يوم القيامة، وفاتهم أنّ ذلك من أكثر الأخطاء التي يمارسها الإنسان في حياته ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ المسألة أكبر من هذه التصوُّرات وأعظم من هذا التفكير، كل إنسان سيلقى جهده وأثره يوم القيامة، وتبعات الأموال هي بذاتها تحتاج إلى سؤال ونقاش، وكم من ضائع من خلالها فضلاً أن تكتب لصاحبها براءة من النار!.

سورة فاطر

• **علَّمتني سورة فاطر**: أنَّ الله تعالى إذا رضـي عن فرد أو جماعة فتح لهم من أبـواب فضله ونعمه ورحمته ما يجـري عليهم الحياة في الداريـن ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ مظاهر رحمة الله تعالى كثيرة ومتنوعة وضخمة، وإذا فتح الله تعالى منها على إنسان شيئاً جرى له كل شيء. في مرات تكون رحمته تعالى في شرح صدرك، ولذة الإيمان في قلبك، ومباهج النعيم في حياتك، وفي أخرى تكون رحمتـه تعالى في بيتك وصلاح زوجك وولدك، وفي ثالثة تكون في بركة مالك ووقتك وفكرك ورأيك، وفي رابعة تكون في عافية جسـدك وعذب أخلاقك، وسـمو روحك، وصبرك الطويل على كدِّ الحياة، وعوارض الطريق.

يفتح الله تعالى لك رحمته، فتجد لذة في عمل الخير، وأفراح قلب في مشـروع الحياة، وهتاف مشـاعر وأنـس رغم قلـة مالك، وضيق ظروفك، وأحـداث واقعك، ويمسـك الله تعالى رحمته عن إنسـان، فلا يجد أدنى لذة بماله الوفير وبيته الكبيـر ووظيفته العظيمة، ويتنهَّد ألف مرة. يمسك الله تعالى رحمته عن بيته، فتجده يعيش خصاماً نكداً، وفوضى عارمة، وكثـرة نزاع، فلا يكاد يجد الحياة. يمسـك الله تعالى

رحمته عنه، فلا يجد راحة بأحد من العالمين، وأكثر ما يعيش نزاعاً مع الخلق، وهو مع كل إنســان أقرب إلى الخلاف منــه إلى الوفاق. والله المستعان.

• **وعلّمتني**: أنَّ وعد الله تعالى حق، وأنَّ كلَّ إنســان قادم على ربه ومجزيٌّ بعمله، وواقفٌ بين يديه، وســيجري عليه ســؤال الحســاب والعقاب، وإما جنة أو نار في النهايــات ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥﴾ وعد الله تعالى حق، ولقاؤه حق، والجنة حق، والنار حق، وســتحين كل هــذه المواعيد يوماً ما! فلا تغرَّنَّكم الحياة بمباهجها الآسرة، ولا تصرفنَّكم عن أيامكم القادمة، ولا تلهينَّكم عن الرؤية الكبرى التي تعيشون لها ما بقي من الأعمار!.

• **وعلّمتني**: أنَّ المعركــة الكبرى مع الشــيطان ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ الشيطان عدونا الأول والأخير، وهو الواقف فــي طريق أحلامنا وصانع العقبــات دون أمانينا، وبيننا وبينه مواقف كبرى لا يجوز أن تُغفل بحال من الأحوال، فهو الذي أخرج أبانــا من الجنة، وتوعدنا بأنه ســيُلقي بنا في الضيــاع. إنَّ من فقه الإنسان إذا عرف عدوه وكُشف له طريقه إذا يأخذ عدته ويبدأ رحلته معه، وهو متيقِّظ لذلك العدو، ومستعد للسلامة منه، وقادر على النجاة من كل

خططه. وأسوأ ما يمكن أن تراه أن نحتفي بعدونا ونطيعه فيما يريد، ونمضي في فلك أمانيه، ونأتي على طريق أحلامه، ثم في النهاية يضيع منا كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ أقسى أنواع الحرمان أن يخذلك الله تعالى حتى ترى السيئ صالحاً والباطل حقاً والخطأ هو الصواب ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٨﴾ فرق كبير جدّاً بين شخص يخطئ، ويعرف بأنه على خطأ، وإذا جاءه ناصح أدرك ما هو فيه، وجهد ألّا يكرّر ذلك الفعل، وآخر يخطئ ويتصرف بأسوأ أنواع التصرفات، ويقف حليفاً لكل المنكرات والفوضى، وهو في الوقت ذاته يرى بأنه صانع الحياة وكاتب قصة التاريخ ورافع راية المجد، وكل الذين حوله على الفوضى والضياع.

• **وعلَّمتني**: أنَّ العزة في منهج الله تعالى وشرعه فحسب ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠﴾. وكل المشاهد الأخرى مهما كان مستواها ليست بشيء أمام هذا المعنى الكبير! من أراد الحياة بمفهومها الشامل وأحداثها المدهشة ولحظاتها

الممتعة، فليقبل على منهج الله تعالى، وليمض بعد ذلك ورأسه يطاول السماء عزّاً وشرفاً ورسالةً ومنهجاً، وليس سوى ذلك إلا الضياع والفوضى والحرمان، كان الحسن رحمه الله يقول: وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين، فإن ذلك من أثر المعصية التي لا تفارق قلوبهم، أبى الله إلا أن يذلّ من عصاه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

• **وعلّمتني**: حاجتنا الكبرى إلى الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥﴾ فالفقير لا يملك لنفسه شيئاً، يظل محتاجاً إلى مولاه، مادّاً يده إليه راغباً فيما عنده سائلاً إياه، واقفاً على بابه ينتظر فرجه وفتحه وتوفيقه. هذه هي الحقيقة التي تحتاج إلى إعادة قراءتها على مشاعرنا وعقولنا حتى نأتي منها على ما نريد. الفقير لا يعرف مصالحه فضلاً أن يعرف الطريق إلى غناه، الغني يعطيك من غناه، ويهب لك من جوده، ويمدُّ لك من ملكه، فتعود غنياً مع الأيام. الغني لا يحتاج طاعتك، ولا تنقصه معصيتك، يده سحّاء بالليل والنهار، لا تغيظها نفقة ما دامت السماوات والأرض.

• **وعلّمتني**: أنّ سنة الله تعالى جرت أنّه لا يستوي الأعمى والبصير، ولا الظلمات ولا النور، ولا الظل ولا الحرور، وما يستوي

الأحيـاء ولا الأمـوات ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ لا يسـتوي أعمى عن الحق، وضال عن الطريق، وجاهل في الحياة، وبصير يرى كل شيء، بصير يرى هدي الله تعالى؛ ويأخذ منه ما يسعده في الدارين. لا يستوي ظلام الجهل والكفر والشرك والمعصية وفوضى الحياة في مقابل نور الحق والعلم ومشاهد الجمال. لا يستوي الظل البارد والحار، كما لا يستوي نعيم القلب بدين الله تعالى، وحرارته وألمه ونكده بمعصيته. لا يستوي الأحياء بمنهج الله ودينه وشـرعه، والموتى في درك الكفر والشـرك والبدعة والمعصية والضلال والطغيان.

• **وعلَّمتني**: أنَّ إجلال الله تعالى وخشيته وَقْفٌ على العلماء ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ومن عـرف الله تعالى بصدق قام له بحقه، وأجرى له مشـاهد الجلال والجمال في حياته، ولا يخطئ في حق الله تعالى إلا جاهل! وأقرب خلق الله تعالى إليه الملائكة ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريـم: ٦] وما كل علم يورد صاحبه إلى مثل هذا المعنى الكبير، وكم من عاكف على العلم صورةً وشكلاً، ويصنع في حق الله تعالى الفجائع، نعـوذ بالله من الحرمان! وكم من إنسـان عادي يجري جلال الله تعالى في قلبه على أوسع نطاق. كل علم يعرفك بالله تعالى، ويقربك إليه، ويصنع في قلبـك مواطن الجلال والعظمة،

فهو الطريق إلى حياتك في الدارين، وكل علم لا يزيدك إلا معرفة مجردة، ولا يصنع في قلبك هذه المعاني الكبار، فدعه وجاوزه إلى ما ينفعك في الدارين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ تعظيم الصلاة، والنفقة مما أعطاك الله تعالى، وإجلال القرآن وتقديسه في يومك وليلتك من أعظم أرباح عمرك في الدارين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرۡجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴿٣٠﴾﴾ شأن الصلاة عظيم، وهي أصل كل فضيلة، وبذل الإنسان من ماله وفكره ووقته وكلمته هو زكاة فضل الله تعالى عليه، وتقديس القرآن وإجلاله من خلال تلاوته وتدبره، وجعله حاكماً في حياة الإنسان من أعظم موارد التوفيق، نسأل الله تعالى من فضله.

• **وعلَّمتني**: أنَّ أقسام السائرين إلى الله تعالى ثلاثة أصناف: (ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات)؛ فالظالم لنفسه مقصِّر في أخذ ما يبلغه من الزاد إلى الله تعالى، إما في قدره أو في صفته ومتزوِّد في المقابل بشيء يضره ويعوقه، ووصفه بالظلم يدلُّك على أنه فرَّط في أصل الواجب فكيف بغيره، ووقع في المحرمات، والمقتصد أخذ أصل

الزاد واكتفى به، ولم يتزود منه لطريقه الطويل، وسلم من أخذ ما يضره، ولكن فوات أرباحه على قدر فوات تزوُّده، كالحريص على الفرائض التارك للنوافل السالم من المنكرات، والسابق بالخيرات عرف الحقيقة، فسعى لها بكل ممكن، وجهد في أخذ كل ما يمكن من الزاد في الطريق إلى تلك الآمال الكبار، وتخلّص من كل عائق في الطريق ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ وإذا قرأت النص بإمعان بدا لك أن الله تعالى أدخل الظالم في وصف عباده، وهذا خاصٌ بغير المشرك ممَّن خطؤه دون الشرك، وهذه رحمة الله تعالى بعبيده، ومن رزقه الله تعالى بصيرة بهذا المعنى لم يتخلَّف عن موعد فضيلة فضلاً أن يقع فيما يؤخره عن هذا المعنى الكبير.

• **وعلَّمتني:** أنَّ المكر السيء وفعل السوء لا يحيق إلا بأهله ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ وسنة الله تعالى ماضية من سالف الدهر إلى يومك هذا بأنَّ من مكر بأخيه مكر الله تعالى به، ومن صنع سيئاً عاد إليه في مستقبل الأيام. من غشَّ أخاه وخانه عاد إليه غشُّه وردت إليه خيانته، ومن مكر بمؤمن وصنع له عوائق الطريق، وكان سبباً في ظلمه لينتظر؛ فإنَّ سُنَّة الله تعالى في الطريق إليه. ومن تمطَّى في مسؤولية أو وظيفه، واعتدى من خلالها على عباد الله تعالى ظلماً وزوراً أوكل الله تعالى به مسؤولاً أكبر منه، وأسقاه من علقمها يوماً من الدهر، وهكذا

هي سنن الله تعالى لا تتغيّر ولا تتبدّل: من ستر مسلماً ستره الله تعالى، ومن كشف عورته وهتك ستره وأراد فضحه وسعى في ذلك جرت عليه في قادم أيامه، وإن طال موعد ذلك الانتظار.

سورة يسٓ

• **علَّمتني سورة يَس**: ضـرورة وجـود قضية ومشـروع عمر وفكرة ملهمة في حياة الإنسان، يعيش من أجلها ويكتب حظوظه بها في الدارين ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ وفي صحيح مسلم قال ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علـم ينتفع به، وصدقة جارية، وولد صالـح يدعو له**». فكأنَّه يذكِّرك بـأنَّ الأصل انقطاع العمـل بعد موتك (إذا مـات ابن آدم انقطع عمله) وتوقف عداد حسناتك، ولا يأتيك جديد في قبرك وميزان أعمالك، وثمة أناس يموتون وتبقى لهم أعمال تعود عليهم بالخيرات! (علم ينتفع به) وما كل علم ينتفع بـه! وصدقة جارية وما كل صدقـة جارية، وولد صالح يدعو له وما كل ولدٍ صالحٌ! والتاريخ شـاهد عيان فغالب الأحياء الذي تترحم عليهم الأمة هم من تركوا إرثاً صالحاً. ومن توفيق الله تعالى لمؤمن أن ينظر في قدراته ومهاراته وإمكاناته، وما فتح الله تعالى به، ثم يسـعى في صقلها وتدريبها حتى تستوي، ثم يسـتثمرها في صالح يعود عليه مع الأيام. ومن جعل هـذه القضية همه وأولاها فكـره مع الأيام، وسأل الله ملحّاً في تحقيقها وجد منها ما يسبق به كثيرين في الدارين.

• **وعلّمتني**: أنَّ الحياة وقف على هموم المصلحين فيها ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ رغم بعد مكانه وطول مسـافته لم يجد له عذراً، وأبى إلا أن يشارك في الدعوة وحمل هموم الإصلاح، ومن لم يجد روحه في هذه المعاني فما لجرح بميت إيلام! المسألة ليست كلمة تقال، أو سطراً يكتب، أو رسـالة تدوَّن، أو كلمة توجه لصاحب منكر أو معرض عن الطريق، المسـألة شفقة ورحمة وحبٌّ تبلغ بصاحبها أنَّه يتمنى لقومه الذين ضربـوه وقتلوه الجنان ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

• **وعلّمتني**: أنَّ الحياة الدنيا وسيلة لأعظم الغايات، ومن عرف تلك الغايات هانت عليه تكاليف الطريق ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ هـذه هي عواقب الصبر، ونتائج العمل وشواهد العزّ في الختام. وصلوا إلى أحلامهم وعاشـوا لذة أيامهم، ووجدوا تلك الأماني التي كانـوا ينتظرونها بشوق.

• **وعلَّمتني**: أنَّه لا حدَّ للخسارة في يوم القيامة ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٦٣ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٦٤ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٦٥﴾ حتى لسانك الذي تتكلم به وتفصح عن أمانيك سيختم عليه وتبقى أبكمَ لا قدرة لك على الكلام، وستتحدَّث أعضاؤك بكل مشاهد الحسرات التي جرت منك في أيام الدنيا، ولو أنَّك تركت لمشاعرك أن تتصوَّر يدك وهي تتحدث، وقدمك وهي تفصح، وكل يشهد عليك بأحداثك التي طواها الزمن وجرى عليها النسيان إلا من الشهود لتركت ما في يدك الآن وعدت إلى ربك قبل إتمام تصوُّر هذا المشهد في ذهنك فضلاً أن تراه حقيقة في واقعك.

سورة الصافات

• **علَّمتني سورة الصافات**: خطر صحبة السوء ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ هذه سنة الله تعالى أن يجمع بين الشركاء والأصحاب والأعوان على النهايات ذاتها التي كانوا يعكفون عليها، ويصرفون فيها الأموال، ويدفعون فيها الأوقات ﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ صفاء القلب وطهارته من أعظم الطرق إلى رضوان الله تعالى ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٤﴾ ﴾ سـليم من قاذورات الشرك والكفر والنفاق، وسليم من آثار البدعة، وسليم من الغل والحقد والحسد، وسـليم من أحداث النفاق والمنافقين، وسليم من الرياء ومعاينة المخلوقين، وإذا سلم قلبٌ من كل هذه المعاني لقي

كل شـــيء. وما تعبَّد عبدٌ لربه بأعظم من هذا المعنى، وكم من مصلٍّ عابدٍ لربِّه تعالى وقلبه يتقد غلّاً وحســـداً! وكم مـــن مقبلٍ على الخير ودلائل النفاق أخذت مساحاتها من قلبه وهو لا يشعر! وكم من حريص على مشاهد الحياة وقلبه متطلع للمخلوقين مدحاً وثناءً!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ حمـــل الأفكار الناهضة رســـالة الكبار من الأنبياء والمرسلين ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ وقلَّ أن تجد مجتهداً إلا ولديه من الأفكار الجادة ما يبني به الحياة في مستقبل الأيام! النهضة الكبرى أن تتمثَّل دينك، وتصدق مع ربك، ثم تحمل أفـــكار الحق وتغير بهـــا على العالميـــن من حولك لتســـقيهم النعيم في الدارين، وما عدا ذلك فصلاح لا يقي نفسه وقت المنكرات من حلول عقـــاب الله تعالى فضلاً أن يكون منعوتاً بشـــيء صالح في الدارين. والمجتمعـــات الناهضة إنَّما هي عبـــارة عن أفراد ناهضين فحسب.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الصدق مع الله تعالى يصنع لصاحبه كل شيء ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾ ولك أن تتخيَّل أباً يرى رؤيا في منامه أنَّ الله تعالى يأمره بذبح ولده، ورؤيا الأنبياء حق، ثم يأخذ سكينه ويضجع ابنه ويضع السكين على رقبته، إنفاذاً لأمر ربه تبارك وتعالى حتى تعلم ماذا يصنع الإيمان في واقع أصحابه! وما يكتب في حياتهم مع الأيام! هذا فضلاً عن الولد الذي لم يعرض عليه والده خدمةً أو سفراً أو أمراً عارضاً، وإنَّما عرض عليه ذبحه فما زاد على أن قال: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ وإذا قرأت هذا المشهد بإمعان أدركت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠].

• **وعلَّمتني**: أثر الخبايا الصالحة في واقع صاحبها ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ سقط في البحر والتقمه الحوت، وعاش ثلاث ظلمات: ظلمة البحر والليل وبطن السمك، فجرت عليه الخلوات وكتبت له النجاة ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ وهذه هي عادة الخلوات الصالحة مع أصحابها. وفي الصحيحين في قصة الثلاثة الذين ألجأهم المبيت إلى

غار، فانحدرت عليهم الصخرة، فأقفلت الغار، فسألوا الله تعالى بصالح أعمالهم، ففرجت الصخـرة وخرجوا للحياة من جديـد، ومن فقهك وكمال عقلك أن تصنع لك عملاً صالحاً فيمـا بينك وبين الله تعالى، تدّخره لمواقف الكرب وضيق الحال، وقد قال ﷺ: «**تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**».

• **وعلّمتني**: أنَّ وعـد الله تعالى لا يتخلّف وإن طـال زمان انتظاره ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ هذه هي الحقيقة الكبرى التي يجب أن تصحب كل مؤمن بالله تعالى، وترافق كل مصلح يقوم على إدارة مشروعه في الحياة. العمل بالأسباب ضرورة، وهو جزء من الوعد، ولكن يجب أن نطمئن أنَّ وعد الله تعالى قادم، وليس بيننا وبينه إلّا مسافة القدر الذي قدّره الله تعالى، ثم يحين كل شيء.

سورة صٓ

• **علَّمتني سورة صٓ**: أنَّ فكرة المؤامرة فكرة قديمة ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾ يُدعون للحق ويؤمرون بالمعروف، فيحتجون بأنَّ هذه مجرد مؤامرة مدروسة ومرتبة من زمن طويل، وتوسَّعت الفكرة واتسع هذا المفهوم لدى كثيرين حتى من المسلمين، وكلَّما رأوا شيئاً قالوا: إنَّ هذه مؤامرة! لهذا المفهوم أصل، ولكن استعمار الفكرة لعقول كثيرين وحسابها في كل شيء، وإرجاع كل صورة إليها وفي كل وقت هو موطن الإشكال. ومن فقه الإنسان ووعيه ألَّا يكون أسيراً لفكرة لا أصل لها في الوحي، ولا علاقة لها بالمجد.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الهوى أضرُّ ما على الإنسان ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ وإذا كان الله تعالى يوجّه نبيَّه داود ويذكّره بخطورة الهوى، وأنَّه سبب لضلاله عن الطريق فما بالك بغيره! ومن تأمل هذا المعنى وعرف طبائع

النفوس وميلها عن الحق وانجذابها لمن عاشـــرت، أدرك أنه بحاجة إلى التذكير بذلك حتى ينتبه له ويحتاط. وكم من إنسان حملته قرابة أو صداقة أو شيء من ذلك على اتباع الهوى، ووقع في الخطأ وندم، ولكن بعد الفوات.

• **وعلَّمتني**: أنَّ القيم الكبرى تستحق الإجلال والتقديس ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ انشـــغل ســـليمان عليه السلام برؤيـــة خيله والاستمتاع بها حتى فاتته صلاة العصر، فكان الردُّ على قدر متانة تلك القيم في واقعه، رُدَّ إليه خيله ثم جعل يضـــرب بطونها وأعناقها حتى أجهز عليها، وبانت الوســـائل من المقاصد عند الكبـــار، ذهب المال وبقيت القيم الكبرى. جزء من مشكلاتنا اليوم أنَّنا نغلِّب الوسائل على القيم والمبادئ، وننشغل بقضايا عادية جداً على حساب القيم الكبرى، ولو أن كل إنسان عني بقيمه ومبادئه، وجعلها أولوية، وحرص عليها، وناضل دونها لتحقَّق له في النهاية كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ مطالب الإنسان في الحياة على قدر علو همَّته فيها ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾

وعلى قدر أمانيك يمنحك الله تعالى ما تريد ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ
رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَالشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝٣٨
هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٠﴾ وكلما عَلَت همة الإنسان ترقَّى في تطلعاته وجدَّ في طلبها، وصنع لهذه الأماني كل ما يمكن، وأخطر ما يواجه الإنسان ضعف همته وذبولها، وعدم استشراف صاحبها لمستقبله الكبير في قادم الأيام. وعلى الإنسان أن يحسن صلته بالله، ويقبل على ربه تعالى، ويلحَّ في الدعاء، ويصحب الجادين، ويكون على صلة بسماع وقراءة سير الناجحين حتى يكوِّن نفسه، وفي المقابل يحسن الظنَّ بالله تعالى، ويجزم أن ما يريده من ربه ليس بكبير، وسيأتي مع الأيام.

سورة الزمر

• **علَّمتني سورة الزمر**: أنَّ نعم الله تعالى على عبده كثيرة ومتنوعة، ومن أمتع تلك النعم وأجملها في حياة صاحبها شرح صدره لعبادته ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ وإذا شرح الله تعالى صدر عبده لعبادته وأقبل به إليه، فقد صنع له كل شيء، وما حاجة الناس إلى شيء حاجتهم اليوم إلى هذا المعنى الكبير، وإن كان أصل هذا المعنى منَّة من الله تعالى وفضل، إلَّا أنَّ له أسبابه التي يملكها كل إنسان متى أحسن الإقبال على ربه تبارك وتعالى، وسأله جادّاً ملحّاً في الطريق.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من أقبل على ربه تبارك وتعالى كفاه عن كل شيء ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**». لقد كفى الله تعالى عباده المؤمنين، وهم في بدر ثلاث مئة وبضعة عشر مقابل ألف من كفار قريش، وأيَّدهم

بجملة من الآيات الدالة على كفايته للدرجة التي أنزل معهم ملائكة تقاتل في المعركة ذاتها، وتكوّن النصر الكبير، ونصرهم تعالى في يوم الأحزاب ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥] وكفى عبده ورسوله ﷺ مدة دعوته ورسالته، وسَلَّه من بينهم في حادث الهجرة، وسَلَّمه من شرّهم وهو في الغار وأقرب ما يكون إليهم حتى بلَّغه المدينة، وهناك أجرى له كل شيء.

• **وعلَّمتني**: حال المعرضين مع منهج الله تعالى ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ واحدة من دلائل الحرمان عند هؤلاء أنهم إذا ذكر الله تعالى في درس أو لقاء أو موعظة انقبضت قلوبهم، وشعروا بالضيق، وفي المقابل إذا ذُكر اللعب والعبث والفوضى أقبلوا إلى تلك الأخبار فرحين مستبشرين! فشد عزمك واشحذ همتك واستقبل أيامك بالفأل، وجاهد نفسك على مراض الله تعالى، ولا تتخلف يوماً عن الطريق ولو طال.

• **وعلَّمتني**: سوء عاقبة الظلم ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ

يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ۝١٧ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٨﴾ ولن تتخيَّل آثار الظلم حتى ترى هذه الصورة التي يدفع فيها الإنسان يوم القيامة كل ما يملك للنجاة من آثاره! وكم من ظالم اليوم، وكم من مظلوم في ساحات الدنيا، وأول الظلم وقاعدته وبداية الطريق فيه ظلم الإنسان لنفسه بالشرك أو البدعة أو المعصية، وظلمه لمن حوله، وفي كتاب الله تعالى ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وفي البخاري من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال ﷺ: «**إنَّ الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**». ومن وعى هذا المعنى جهد بكل ما يملك ألَّا يلقى الله تعالى متلوثاً به، وحرص على النجاة بكل طريق.

• **وعلَّمتني**: سعة رحمة الله تعالى على عباده ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ من دلائل هذه الرحمة أنَّ الله تعالى ينادي المسرفين بأنَّهم عباده، ولم يخرجهم تعالى من رحمته، ويدعوهم للعودة من جديد، ويصف لهم آثار رحمته تعالى، وأنَّه يغفر كل الذنوب بلا استثناء، ووصف نفسه تعالى بأنه غفور رحيم، ومن وعى هذه المعاني عرف أنه لن يهلك على الله تعالى إلَّا هالك! وهذا المعنى موجب لحبِّ الله تعالى وخشيته وإجلاله وتعظيمه، فإن الرحيم الودود البرَّ الكريم يُحَبُّ، ومن يُحَبُّ لا يُعصى! ولو أنك تعاملت مع مخلوق فأكرمك وصبر على خطئك وعفا عنك، وكلما جئت بأثقال الجبال من

الأخطاء عفا عنك، لكنت مديوناً له طول عمرك، ولتحرّجت غاية الحرج أن يرى منك ما يســوء من الأخطاء فيما يستقبل من أيام، فكيف بالله العلي العظيم!.

• **وعلّمتني**: أنَّ الخسارة يوم القيامة عظيمة وكبيرة ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨﴾ يمكــن لأي شــيء أن يعــوّض إلّا خســارة ذلك اليوم، وقد قــال الأوّل: اليوم عمل ولا حســاب، وغداً حساب ولا عمل! وما تنفع الحسرات في شيء! وما يغني العويل وقد فات أوانه! ومــا عاقل فطن يرى هذه الصور، ويقــرأ أحداثها إلا رجع لنفســه لائماً على التفريط وحاثّاً على الجدّ حتى يلقى الله تعالى، وهو على خير، والله المستعان!.

• **وعلّمتني**: خطر الشرك وسوء عاقبته، وأنّه أعظم الذنوب وأجلُّها علــى الإطــلاق ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾ وإذا كان هــذا الوعيــد لرســول الله ﷺ وأشرف خلقه على الإطلاق، فما الشــأن في غيره من المؤمنين! وهو أخطر الذنوب، وصاحبه مخلّد في نار جهنــم والعياذ بالله تعالى، وقد

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركَه**». وهو مع خطره ووضوحه إلَّا أنَّه ممتد اليوم في صور الطواف على القبور والأضرحة والتبرك بالموتى والصالحين، ويجري في تعظيم المخلوقين، وفي صور من التوسُّل البدعي الشركي، وقد يجري في الأعمال الباطنة منه صور، ومثل ذلك ما يجري في ألفاظ شركية تجري على ألسنة الناس في الحلف وغيره، وحاجة الإنسان ملحَّةٌ جدّاً إلى أن يتخلَّص من كل هذه الصور حتى يلقى الله تعالى موحداً مخلصاً معظماً مجلّاً، صافي التوحيد غير مدنَّس بشيء من لوثات الجاهلين.

سورة غافر

• **علّمتني سورة غافر**: أنَّ حماية المؤمن من السيئات رحمة به من ربه تعالى ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ فإنَّ السيئات إذا تلطّخ بها إنسان حرمته اللذة العاجلة، وتسبَّبت في ضياع مصالحه، وألقت به في الفوضى، وحرمته التوفيق والبركة في وقته وفكره وماله، وصارت به في النهاية إلى الخذلان، ومن توفيق الله تعالى لعبده واصطفائه له أن يحول بينه وبين هذه السيئات، ومن تأمل الآية وأعاد قراءتها متأملاً متدبراً عرف أثر هذه النعمة وأعطاها قدرها ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾.

• **وعلّمتني**: عظيم علم الله تعالى وكمال قدرته ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ ولا يفوت على الله شيء، وفي قصة عبد الله بن أبي السرح رضي الله عنه في سنن أبي داود ـ وصحّحه الألباني ـ وكان من الأربعة الذين قال عنهم رسول الله ﷺ: اقتلوهم حتى لو وجدتموهم معلّقين بستر الكعبة. وقد اختبأ عند عثمان رضي الله عنه فمدَّ يديه إلى

رسول الله ﷺ ليبايعه فامتنع النبي ﷺ، والثانية كذلك، وفي الثالثة بايعه، ثم قال ﷺ: «**أما فيكم رجل يقوم إلى هذا فيقطع عنقه لما رآني كففت يدي**»؟ فقالوا: ألا أومأت لنا بعينك، فقال ﷺ: «**ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين**». والله المستعان! ولو أنك سبرت مجالس المسلمين المصلِّين أهل الإيمان فضلاً عن غيرهم لما وسعك أن تدوِّن تلك الخيانات التي تعرض بكافة الجوارح من أهل الإيمان في مجلس واحد، والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ المسؤوليات تصنع لها طواغيت ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ نفخت فيه هذه المسؤوليات أوهاماً للدرجة التي جعلته يأمر بقتل نبي الله تعالى، وحملته على الاستهزاء بربه تبارك وتعالى، وشكَّلت مفاهيمه الجديدة للدرجة التي اعتبر أن الدين دينه والمنهج منهجه، وكان ما يخشاه أن يبدل رسول الله ﷺ دين قومه ويظهر في الأرض الفساد، وإذا سبرت المسؤوليات وجدتها تصنع في أصحابها كذلك، بالأمس صغيراً عاديًاً بسيطاً، فإذا ما جلس على الكرسي شعر بأن الكرسي لا يسع تلك العظمة الزائفة، وبدأ يتحرك على تلك الأوهام حتى تحل عليه نهايات السوء في الخواتيم.

• **وعلَّمتني**: أنَّ ثمة مواقف للرجال فوق العادة ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ في زمن الاضطهاد والطرد والجبروت والكبرياء يأتي صاحب إيمان، فيجلِّي تلك الأوهام، ويردُّ الأمور إلى نصابها الحقيقي، ويعيد الناس إلى الله تعالى من جديد. كم من صاحب علم ومكانة وجاه ولكنَّه جَبُن أن يقول كلمة الحق! وكم من كلمة كانت في حاجة إلى رجل، فانتظرت فلم تجد من يحملها للحياة فماتت في أفواه الجبناء! تعوَّدنا في ساعة العنف والجبروت أن نسمع عن تساقط القيم وذبول المبادئ وانتكاس المعاني الكبار، والتخلي عن الأدوار الناهضة في الحياة فحسب، ولكن جاء هذا المؤمن في عرض الطريق فألقى في الأرض الحياة ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ قيام الإنسان بدوره الإصلاحي في واقعه ومساحته الممكنة سبب في نجاته من المهالك في الدارين ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ قام بدوره ونصح وبيَّن، ولم يدَّخر جهداً في نجاة من حوله، وذكَّرهم بكل ما يملك، ثم حين رأى

إعراضهم ألقى إليهم بقوله: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ ثم صنع الله تعالى له النهايات! ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ وكم من قائل له في تلك اللحظات: لا تلقِ بنفسك في الهلاك، وذكّره بقاعدة المصالح والمفاسد، ولكنّه أبى فأجرى الله تعالى له الحياة في الدارين.

سورة فصلت

• **علَّمتني سورة فصلت**: أنَّ لله تعالى سنناً لا تتغيَّر ولا تتبدَّل، ومن تلك السنن نصر المؤمنين ونجاتهم، وذلك أنَّ الله تعالى حين عرض خذلانه لأمم الكفر والشرك من قوم عاد وثمود فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ بيَّن تعالى سنَّته الإلهية في نجاة المؤمنين فقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ وهذه سنة الله تعالى التي تتشكَّل في كل معركة للحق مع الباطل، ومعركة لأهل الإيمان مع أهل الكفر والنفاق، تتجدد في كل زمان ومكان، تأتي في مرات من أول وهلة، وفي أخرى بعد زمن يطول ويقصر بحسب ما مع أهل الإيمان من أسباب، والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل من استقام على دين الله تعالى صلحت أحواله في الدارين ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ هذه أول مقامات الدار الآخرة، تستقبلهم الملائكة مبشرين لهم بالأمن مما هم واردون عليه، ومما خلفوه في الدنيا، ومن لقي البشارات في أول طريقه زانت له الخواتيم.

• **وعلّمتني**: أنَّ مشروع الدعوة من أعظم المشاريع ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ وهي والله كذلك! ومن تصوَّر حال هذا الداعية وهو يحمل منهج الله تعالى، ويقوم به في العالمين أدرك آثار ذلك، غير أنَّ هذا المشروع يحتاج إلى عناية وإعداد وتأهيل وصناعة حتى يأتي منه الإنسان على أمانيه في النهايات. والله المستعان!.

• **وعلّمتني**: أنّه لا تستوي الحسنة والسيئة! ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ لا تستوي الكلمة الطيبة، والكلمة السيئة، لا يستوي خلق الصبر وخلق العجلة، لا يستوي التسامح والعفو والصفح، والغضب والرد والانتقام، لا يستوي الاستعلاء على الفوضى، والتدنس بدنسها والسقوط في

حمئها! فرق كبير جدّاً بين إنسان عفا في موقف غضب، وينتظر قول رسوله ﷺ: «**من كتم غيظاً وهو قادر على إنفاذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق وخيَّره من الحور العين ما يشاء**». أخرجه الترمذي، وصحَّحه الألباني. وآخر بلغ الغضب مبلغه فخسر أخاه في موقف، وخسر بعد ذلك الغضبِ كلَّ شيء. من عرف هذه المعاني عن الحسنة والسيئة جهد أن يستثمر كل موقف في الخير، وأن يغالب طبعه، وصنع لنفسه موقعاً بين الرابحين ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾.

سورة الشورى

• **علَّمتني سورة الشورى**: أنَّ الاستقامة على المنهج أعظم المفاهيم وأكثرها ضرورة في حياتك ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ كل دعوة مفصولة عن المنهج لا قيمة لها في شيء ﴿فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ كما أمرك الله تعالى لا كما يريد واقعك، ويتطلَّب زمانك، ويرغب من حولك! الاستقامة منهج، وليست آراءً شخصية، وأمر الله تعالى فيها بيِّن واضح، وسير الأنبياء والقدوات تملأ صفحات الوحي، والعبث والأهواء شيء والدعوة والاستقامة شيء آخر ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾.

• **وعلَّمتني**: لطف الله بعباده المؤمنين ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ ومن لطفه بهم أنَّه دلَّهم على الطريق، واختار لهم الإسلام، وأعانهم عليه وشرح صدورهم له. ومن لطفه: أنَّه خفَّف عليهم التشريع، فجعل

الصلاة خمساً بعد أن كانت خمسين صلاة، والصوم شهر واحد في العام كله، وعذر فيه المريض والمسافر، وجعل الحج مرة واحدة في العمر كله، ولمن استطاع إليه سبيلاً. ومن لطفه: أنّه خفّف الفريضة في السفر فجعل الرباعية ركعتين، وكتب للمسافر والمريض كل ما كانا يعملانه وقت الصحة والإقامة، ومن لطفه: أنه حليم لا يعاجل المخطئ بالعقوبة، ويمدُّ له في الطريق، ويمنحه فرصاً كثيرة للعودة، وإذا عاد وتاب غفر له ذنبه وأبدل كل سيئاته بحسنات. ومن لطفه: أن يتعرّض لعباده في كل ليلة في الثلث الأخير من الليل، ليتوب على المخطئين، ويجري عليهم من رحماته ما يمحو كل سوء. ومن لطفه: أنّه يعطي الأجر على النية الصالحة، والحسنة عنده بعشر إلى سبع مئة إلى أضعاف كثيرة، والسيئة إن هم بها فلم يعملها كتبت حسنة، وإن هم بها فعملها كتبت سيئة واحدة. وألطافه أكثر من أن يجري عليها قلم عجل في هذه المساحة، والله المسؤول أن يتولانا بلطفه وحلمه، إنه على كل شيء قدير.

• **وعلّمتني**: أثر النية على أصحابها ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ ولا يظلم ربك أحداً! المقبل على الخير الراجي فضل ربه تعالى يزيده الله تعالى ويغمره بالحسنات، ويجري عليه من الخير ما يشاء، والمدبر المعرض المتولي يُعطى مما طلب، وحسبه ما جرى

في قلبه من نية وما أراد، ولا يظلم ربك أحداً. وإذا تأملت لفظ الآية ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ رأيت أن راغب الآخرة يزيد الله تعالى له في حرثه فضلاً ومنّةً، وصاحب حرث الدنيا ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ يؤته منها فحسب!.

• **وعلّمتني**: أنَّ هناك قوانين وسنناً إلٰهية غير قابلة للتغيير ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ الأصل بأنَّ ما أصاب الناس من مصائب إنَّما هو بكسبهم وعملهم وصناعة أيديهم، والوعي بهذه السنة الإلٰهية يعين الإنسان على إدراك أثر عمله على صناعة واقعه، وحذر أن يكون سبباً في ذهاب نعم الله تعالى عنه وزواله من واقعه، والله المستعان!.

• **وعلّمتني**: أنَّ العفو عن حقوقك الشخصية نوع من الاستعلاء ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠﴾ إنَّ شريعة الله تعالى تبيّن لك أنَّ من حقك أن ترد سيئة المعتدي بذاتها، ولكنَّها في المقابل تدفعك للاستعلاء وتدعوك للتفوُّق، وتقول لك: ارفع بصرك للسماء، فثمة جزاء غير محدود ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ويكفيك أن تقرأ مراراً: ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾! جرّب أن تخوض رحلة التفوُّق على ذاتك، وتتخلَّص من حظوظك، وتُبقي

شيئاً لأحلامك الكبرى بين يدي الله تعالى يـوم القيامة ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ وتذكَّر في كل مرة ﴿ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الأبناء رزق، وأنَّ الذي يهب هذا الرزق هو الله تعالى ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾ من حقك أن تبذل كل سـبب ممكن في سعادتك وبناء مشروعك الكبير (**أو ولد صالح يدعو له**) وتبقي لك ذكريات مباركة في أرض لن تبقى فيها إلَّا أياماً! ولكن يجب أن تبحث وقلبك معلَّق بربك، وأنَّه هو الـذي يهب وليس الطبيـب، هو الذي يعطـي ويمنع، ويرزق ويقبض جل وعلا، فإن جـاءك من هذا الرزق شـيء، فاحمد الله تعالى وسـله ملحَّاً أن يصلحه ويجري لك من خلاله الحياة، وإن لم يأتك من هذا الرزق شـيء، فاحمد الله تعالى، فلعل الله تعالى أعتقك من حوادث سوء ومواقف ذل وأحداث حرمان، فمنعك منها رحمةً بك.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كتـاب الله تعالى روح تسـري في القلوب، وليس حرفاً يتلوه لسان ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ الذي أوحاه الله تعالـى إليك روحاً وليـس حرفاً، روحاً تسـري في قلبك فتهزك ألف مرة، وتجري في مشـاعرك فتبعث فيها الحياة! أما رأيت كافراً هزَّته هذه الـروح حتى أعادته حيَّاً بعد الموت!

أما رأيت معرضاً لم تنفعه موعظة حتى سـمع القـرآن، فأقبل يتهادى للنور من جديد! خرج كفار قريش في ليلة من الليالي يستمعون للقرآن، وكل واحد خرج خفية عن صاحبه، وكان النبي ﷺ يقرأ سـورة النجم فلمَّا بلغ قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾ [النجم: ٦٢] فما استفاقوا إلَّا وهم ساجدون! وجاء جبير بن مطعم كافراً للحرم، فلما سمع النبي ﷺ يقرأ بالطور قـال: كاد قلبي أن يطير! وأنـت إذا أقبلت علـى هذه الروح، واقتطعت لها من سنام وقتك، وسـألت الله تعالى أن يشرح لها صدرك جرى النعيم في قلبك إلى أقصى مدى، وعرفت قدر النور بعد الظلام، والروح بعد الموت.

سورة الزخرف

• **علَّمتني سورة الزخرف**: أنَّ كل انحراف عن شريعة الله تعالى مفضٍ بصاحبه للشياطين ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ أي انحراف عن المنهج، وزيغ عن الطريق، وابتعاد عن الوحي مؤذنٌ في النهاية بالضياع! هذه حقيقة يجب أن يعيها قارئ كتاب الله تعالى ويأخذُ منها العبر. السبب وأول الطريق وخطوات البداية منك أنت ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ والخواتيم والنهايات على ربك تعالى ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ وغالباً الذي يطرق باباً يُفتح له، والسالك في الطريق يبلغ نهايته، وأنت الذي اخترت الضياع فكان لك ما أردت. وكل من اختار هذا الطريق، فليستعد لنهايات السوء ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ التمسك بالحق، والإصرار عليه، والبقاء على المنهج والاحتفاء به ضرورة قصوى في حياة المؤمن بالله تعالى ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ فاستمسك وشُدَّ به

قلبك ومشـــاعرك وروحك، وإياك والتفريط في شـــيء منه مهما كانت عوارض الطريق. كأن الله تعالى يحكي واقـــع زمانك اليوم الذي يملي عليك أن تترفَّق بنفســـك، وأن تتنازل في بعـــض قيمك، ويبيّن لك أن الاســـتقامة على المنهج ليســـت هي هذه التي يعبر فيها الوحي بلفظ التشبُث والتمســـك ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ وإنَّما تلك التي تروي لك: (في المســـألة قولان، والحديث ضعيف، وإنَّما هي ســـنة وليست بواجب)! فاشدد قلبك ومشاعرك بمنهجك، ودَعْكَ من بُنيَّات الطريق.

• **وعلَّمتني**: أنَّ أشرف وأجمل وأبهج لحظات عمرك كله تلك التي تصرفها في كتاب ربك تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ الله تعالى يخبرك بأنَّ هذا القرآن شـــرف لرسوله ﷺ، وشرف لقومه من بعده إلى يوم القيامـــة، ويخبرك في الوقت ذاته أنَّ ثمة ســـؤالاً عريضاً سيدار عن هذا القرآن يوم القيامة، ويحتاج إلى جواب عريض. وإنَّ أمةً وفرداً وجماعةً تقرأ هذه التزكية من الله تعالى لهذا القرآن، ثم لا تبذل له قلوبها ومشاعرها وأوقاتها لهي في منأى عن الحياة.

• **وعلَّمتني**: بأنَّ اســـتخفاف الجماهير صناعة الطغاة ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ وعادة الطغاة ألَّا يبدؤوا بهذه

الخطوة من أول الطريق، وإنّما يجسُّون النبض أولاً، ثم يصنعون لأنفسهم هالة كاذبة زائفة من خلال قرارات وآراء وصور تأخذ حظها في الإعلام حتى تستوفي الصورة حلقاتها الكاملة، ثم يصنعون لتلك الجماهير التفاهات، ويشغلونهم بالفوضى للدرجة التي لا تبصر الجماهير غيرها، ثم يحين موعد الاستخفاف، فلا تملك الجماهير سوى التطبيل على كل شيء ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ۝٥٤﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل آصرة لا تقوم على دين الله تعالى، فلا قيمة لها في شيء ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ في بداية الطريق أخلاء وفي النهاية أعداء! وكل خُلَّة ورباط وصداقة لا تقوم على المنهج الحق تعود خصاماً ونزاعاً وشتاتاً وفوضى! وكم من صديقٍ زفَّ صاحبه للسعادة! وكم من صديق ألقى بصاحبه في الضياع! من رحمة الله تعالى في مرات أن يمنحك صديقاً يوقد همتك، ويشعل فتيل الحياة في قلبك، ويجري في مشاعرك كل شيء، وتبقى مديناً له طول العمر، ولا يدعك حتى يوردك النعيم! وفي مرات تُبلى بصديق يأتي على كل أمانيك ويدفنك وأنت حي، فكن على حذر واعرف من تختار لمستقبلك، وكن في مستوى الأحداث.

سورة الدخان

• **علَّمتني سورة الدخان**: أنَّــه لا مــكان في الكــون لكافر وفاجر ومنافق وضــال ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ يودِّع الكافرون والفجار والمنافقون الأرض ويرحلون من الدنيا، ويخبرنا الله تعالى بأن السـماء والأرض لم تَبْكِ عليهم، ولـم تحزن على فراقهم، ولم تحتفِ بذلك الوداع. رحلوا غير مأسـوفٍ عليهم في شـيء حتى الكون والجماد يرفضهم فلا قيمة لهم، وفي ذلك دليل على أن المؤمن والتقي والصالح حين يرحل من الأرض تبكي الأرض والسماء لوداعه وفراقه. تبكي الجمادات لفراق الصالحين، ولا تبكي لفراق المنحرفين والضالين، تبكي هنا وهـي جماد، ولا تبكي هنـاك وهي جماد! وما يصنع الكون بضالٍّ ومنحـرفٍ عن الطريق، وقد أعتقـه الله تعالى من آثاره! وما تملك مشاعرها تجاه من عمر الأرض بالخيرات، وألقى في الكون السلام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كتــاب الله تعالى نزل لهدايـة الناس ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ أنزلـه الله تعالى بلسـانه لعلهم يتذكرون

ويهتدون ويدلون الطريق، هذه هي الغاية الكبرى من نزول القرآن، أن يكون منارة هدى وطريق هداية، وحياة أمة. لم ينزل الله تعالى هذا القرآن ليأخذ الناس منه أجراً على قدر تلاوتهم فحسب، وإنَّما ليعيد بناءهم ويرتِّب حياتهم، ويصنع لهم الطريق في كل شيء. ومن عرف قدر هذا الكتاب وأقبل عليه صادقاً، ومنحه قلبه ومشاعره وفكره وسأل الله تعالى ملحَّاً أن يشرح له صدره وجد كل شيء.

سورة الجاثية

• **علَّمتني سورة الجاثية**: رحمة هذا الديـن وجماله وأناقته ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ حديثٌ وجدانيٌ يسكبه القرآن علـى قلوب المؤمنيـن، يدعوهم فيه للتنازل عن حقوقهم، والاسـتعلاء عن خصومتهـم، وبث روح العفو والصفح عن كل الذين وقفوا في طريقهم وآذوهم يوماً من أيام الدهر، فالحياة أكبر مـن صراع الأحقـاد والضغائن، وأجلُّ مـن هذا الصراع المحموم. فوالله الذي لا إله إلَّا هو إنِّي لأقرأ هذا المعنى وأشعر بروح هذا الدين تختال في مشاعري إلى أقصى مدى، ويتقطَّع قلبي ألف مرة أسىً وأسـفاً على أمم في الشـرق والغرب لا تعرف هذا المعنى عن جمال الإسلام!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الحياة كلها في اتباع شريعة الله تعالى، والاعتزاز بمنهجـه ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ هذه شـريعة الله تعالى ومنهجه، هذا هـو الصراط الذي أراده الله تعالى للمؤمنين وأمرهم بالاقتداء به، وما عداه أهواء لا علاقة

لها بالحقائق في شـــيء! فرق كبير لا تحدُّه المسافات بين شريعة من الله تعالى، وأهواء المخلوقين! شـــريعة من أمر الله تعالى، ومجرد آراء من مخلوقين. كم هي المرات التـــي ينبري لك أجهل الناس بوضوئه يحكي لك أنَّ ثمة قضايا فيها مصالح وآراء واختلافات، فلا ينبغي أن تكـــون المواقف فيها متشـــدِّدة لهـــذا الحد، وكأن الـــذي يصنع هذه المواقف هو الإنسان ذاته وليست شريعة الله تعالى، يجب أن يفهم كل قارئ وسامع لشريعة الله تعالى أن هناك فرقاً بين شريعة من الله تعالى، وفكرة ووهم قاله الذين وصفهم الله تعالى في مقابل الشـــريعة بأنَّهم لا يعلمون.

• **وعلَّمتني**: أنَّ هناك فرقاً كبيـــراً وضخماً بين مؤمن مقيم لأمر الله تعالى وفاســـق مجتـــرح للســـيئات ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ فرق بيـــن مؤمن مجـــلٍّ لأوامر الله تعالـــى معظِّمٍ لها، وفاسق مجترح للسيئات ومســـرف فيها. فرق بين من جعل الوحي هو قاعدته التي ينطلق منها ويبدأ أي قرار بناءً عليها، ومن جعل هواه سيده وصانع قراره. فرق بين عبد لربه، وعبد لهواه وشـــهواته. فرق بين دين كله حقائق، وأفكار وأوهام وشُـــبَهٍ وقصص وخيالات. فرق بين إنسان يتعبد لربـــه تعالى وآخر يتعبد لهواه. لا يســـتوي مؤمـــن منعَّم مغمور بالفرح والبهجة والســـعادة والفـــلاح، ومجترح للســـيئات يعيش نكد

العيش وألم الضمير ووعثاء الطريق. لا يستوون في شيء من عاجل الحياة، ولا يستوون في النهايات.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الأهواء تُتخذ آلهة وتعبد من دون الله ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ هذه صورة من صور يعرضها الله تعالى لإنسان نصب هواه إلٰهاً، يعبده من دون الله تعالى فيطيعه فيما أمره به، وينهاه عمَّا نهاه عنه، يقيمه في لحظة وينيمه في لحظات، يتصرف ويأخذ ويعطي لا على شريعة الله تعالى ومنهجه، وإنَّما على هواه ومراده. شهواته تصرِّفه كيفما شاءت هي لا كما يشاء ربه وخالقه ومولاه. إن مسألة طاعة هذا الإلٰه لا تقف بصاحبها عند حدٍّ، وإنَّما تُلقي به في الضياع ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ فماذا بقي له؟.

سورة الأحقاف

• **علَّمتني سورة الأحقاف**: أنَّ الصور المتضادة في الحياة جزء من طبيعتها، هذا محسن إلى والديه شاكر لنعم الله تعالى، باذل في الخير، سائل الله تعالى صلاح حاله وذريته ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾، وخاتمته في النهاية كما وعد الله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ والآخر معرض عن ربه، مجادل في البعث، معرض عن والديه ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾﴾ وخاتمته في النهاية كما وعد الله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ وما أكثر هذه الصور في واقعك فضلاً عن واقع غيرك! وما أحوجها للذكرى!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل ما فـي الدنيـا من نعيـم إنَّما هو عارض وسـيزول ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ وهذه أمم الحضارة الدنيوية التي تجري في فلك نعم الله تعالى من غير حدود، ستحين عليها ساعات الزوال، وستقف بين يدي الله تعالى للسؤال والحساب. وفي سنن ابن ماجه ـ وصحَّحه ابن كثير والألباني ـ قال ﷺ: «**يؤتى بالكافر يوم القيامة فيغمس في النار غمسة ثم يقال له: هل رأيت خيراً قط؟ هل رأيت نعيماً قط؟ فيقـول: لا والله يا رب**»! ومن عرف هـذا المعنى لم يلتفت بعينه إلى نعيم زائل فضلاً أن يرمي بقلبه ومشاعره إلى نعيم عارض وسيزول.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الغفلـة لا حـدَّ لهـا ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ هؤلاء قوم عاد رأوا سـحاباً عارضاً في أفق السـماء ففرحوا وسـروا به وانتظروا غيث السـماء، فكان عقاب الله تعالى الذي جعلهم ذكرى في التاريخ! لقد كانت هذه الأمة في حرب مع الله تعالى ومنهجه، ومع ذلك جرت عليهم الغفلة للدرجة التي لم

يكن يدر في خلدهم أنَّ شيئاً سيجري عليهم في قادم الأيام حتى حانت ساعات الخذلان. والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: احتفاء الجن بكتاب الله تعالى وإجلالهم له ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ أول ما سمعوا كتاب الله تعالى يُتلى عليهم ألقوا بقلوبهم في حضرته ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾ وكم من معرض عنه وهو يُتلى عليه مرات! وحين انتهى سماعهم لم يتمثَّلوه في واقعهم فحسب، وإنَّما حملوا أفكاره وخرجوا به منذرين ﴿فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ وأبانوا لقومهم ما فيه من جلال وصدق وحق ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهذا كله في موقف عارض! وما حاجتنا اليوم إلى شيء حاجتنا لأن نهب لهذا القرآن من قلوبنا ومشاعرنا، ونقتطع له من سنام أوقاتنا، ونقبل إليه إقبال العارفين الموفقين.

• **وعلَّمتني**: أنَّه لا عبرة بالأيام إلَّا ما جرى منها لله تعالى ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ ساعة من نهار فحسب! ليست

يوماً ولا أسبوعاً ولا شـــهراً ولا عاماً، وإنَّما ساعة عارضة وانقضى كل شيء. لو أنَّ هذا المعنى قُرئ قراءة متأنية لألقى في قلب قارئه الحياة! ما أكثر الذين يبذلـــون للدنيا، وفي مـــرات كثيرة على حســـاب الدار الآخرة، ويفوتهم هذا المعنى الكبير. ومن عرف الحقائق أدرك ما ينتظره بين يدي الله تعالى يوم القيامة.

سورة محمد

• **علَّمتني سورة محمد**: آثار الإيمان بالله تعالى على صاحبه ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾ لو لم يكن من تلك الآثار إلا تكفير سيئاتك، وغفران ذنوبك، ومحو أخطائك لكان كافياً، وكم من محروم من التوفيق! فضلاً عن صلاح دينك ودنياك، وصلاح قلبك وعملك، وصلاح ثوابك بتنميته وتزكيته وبركته، وصلاح جميع أحوالك في الدارين!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ لله تعالى حِكَماً في الابتلاء ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ يخبرك الله تعالى أنَّ في إمكانه أن يجري الحق في أي مساحة كما يشاء، وينصر أهل الإيمان دون قيد أو شرط، ويكتب حظوظ الإسلام في لحظة، ولكن حكمته تأبى ذلك؛ لأنه يريد هذا الابتلاء لمصالح كبرى لا تأتي إلا من خلاله! ومَنْ المخلوق في مقابل الخالق! ماذا يصنع هذا الضعيف في مقابل جبروت الله تعالى وقدرته! ولكنَّها حكمته تعالى تجري كما يشاء. يريد الله تعالى الابتلاء

لا لذاته، ولكن لما يـؤول إليه فـي النهاية، يريـد أن يختبر إيمانكم وصبركم ويقينكم به تعالى، يريد أن يرى عطاءكم وبذلكم وتضحياتكم في سـبيل دينه ومنهجه، يريد أن يرى قوتكم وعزتكم بمنهجكم حتى تجري أحداث الآخرة يوم القيامة علـى هذه المعاني الكبار ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾.

• **وعلَّمتني**: آثار ولاية الله تعالى علـى المخلوقين ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ وعد للباذلين لدينه ومنهجه بهدايتهم وصلاح بالهم ودخولهم الجنان يوم القيامة، فتولى الله تعالى أمرهم في العاجلة والآخرة، هداهم وأصلح بالهم في الدنيا، ورزقهم الجنة في الآخرة. وإذا كان هذا يجري في جهاد السـيف الخالص له تعالى والصادق في طريقه والذي رايته واضحة، فكذلـك كل جهاد تثور مـن أقدام صاحبه غبـار الإصلاح، والركض في سبيله، والعمل لدينه ومنهجه إلى يوم القيامة. ومن عرف هذا المعنى بذل كلَّ ممكن في الطريق إليه.

• **وعلَّمتني**: أنَّ نصر الله تعالى لأوليائه موقوف على نصرهم له تعالـى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ هـذا

شرط النصر الكبير والأمنية الضخمة والحياة الكريمة التي ينشدها كل إنسان. كل من أراد تلك النهايات التي ينتظرها، والحياة المدهشة التي يشتاق إليها، فليس بينه وبينها إلا تحقيق هذه السنة الربانية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ نصر الله تعالى يأتي من خلال الإيمان به تعالى، وتحويل ذلك المفهوم إلى مشاهد مدهشة من الحركة والعمل والبذل والإبداع لدينه في الأرض، ثم تحين مواعيد تلك النهايات. وكل فرد أو جماعة أو أمة إذا أرادت النصر الكبير فعليها أن تحسن البدايات، ثم تنتظر النهايات بشوق.

• **وعلّمتني**: أنَّ هناك فرقاً كبيراً وضخماً بين حياتين ونهايتين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ۝١٢﴾ حياة أهل الإيمان العاجلة التي يجدون فيها نعيم الإيمان ولو كان العيش قليلاً، والمكان ضيقاً، والظروف العارضة صعبةً ومقلقةً ومجهدة. يجدون لذة ذلك الإيمان، ولو كانوا فقراء ممحلين من كل شيء، ويجدونه ولو كانوا في عراء السماء، لا فرق في أثر هذا الإيمان على صاحبه في قصر أو في عراء. وإن كان وعد المؤمنين في النهايات هو الوعد الذي يجري في أكثر سور القرآن إلّا أنَّ له من عاجل الحياة ما يفوق تصور الإنسان! بخلاف أولئك الكفار

الذين يخبرك الله تعالى عن حالهم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾.

• **وعلَّمتني**: ما ينتظر المؤمنين من مباهج في الدار الآخرة ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥)﴾ تخيَّل ما ينتظرك في الجنان من الشراب دون غيره، أنهار وليست بنهر! أنهار من ماءٍ غير آسن، وأنهار من لبن، وأنهار من خمر، وأنهار من عسل! وتخيَّل في المقابل ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾، وانظر للخواتيم ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ لتدرك ما ينتظرك، وإذا حدَّثك أحد من القاعدين عن ملاذ العاجلة فصِخْ في أذنيه بأحداث هذا المعنى الكبير، وقل له: الموعد هناك.

• إنَّ حظوظنا من الحياة على قدر خطواتنا الجادة في الطريق ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧)﴾ إذا أردت نعيماً في قلبك، ومشاهد مدهشة في مشاعرك، وحياةً تجد طعمها وتذوقها حسّاً في واقعك، فأحسن إقبالك على ربك، وأدم الوقوف على بابه طويلاً، ولا تفتر من قرع ذلك الباب، وستجري لك أحداث الحياة كما تشاء. كل خطوة من قبلك مقابلة بألف جزاء وكرم من

ربك تعالى، وفي البخاري: «وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه».

• **وعلَّمتني**: أنَّ التوحيد أصل كل شيء ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ فاعلم أنه لا إله إلا الله في قلبك أولاً، وفي مشاعرك ثانياً، وفي روحك ثالثاً، وفي كل لحظة وحركة ومشهد وخطوة في حياتك رابعاً وخامساً وعاشراً. التوحيد أول العلم ووسطه وآخره. ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لا بدَّ أن تعلم أولاً؛ لأنَّك إذا علمت هذا المعنى عرفت قدر الحياة، وعرفت لماذا جئت، وعرفت ما تصنع لها في واقعك. ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فهو الذي يعطي ويمنع، ويحيي ويميت، ويرزق ويقدر، هو الذي يهدي ويضل، ويشقي ويسعد، هو الذي إذا أعطى أدهش، وإذا وهب أغنى ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وإذا رضي عنك رضي عنك كل شيء، وإذا غضب عليك غضب عليك كل شيء، وإذا أقبل عليك أقبل عليك كل شيء. ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فإذا سألت رزقاً فهو المنعم، وإذا أردت شيئاً فهو المعطي، وإذا اشتقت إلى شيء فهو الذي يهب ويعطي. ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وكل العالم من حولك مَلِكه وأميره ووزيره ومسؤوله، كلُّهم عبيد مفتقرون إليه، محتاجون له، وهو المنعم المتفضل عليهم، وكل ما تراه معهم هو من فضل الواحد جلَّ في علاه. فإذا بنيت هذه العقيدة في قلبك وباتت كأوتاد الجبال فتهيأ لله

تعالى من جديد ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ استغفر من غفلتك عنه، وإعراضك عن منهجه، وقعودك عن حمل دينه، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ من ظنك بالمخلوقين بأنهم ينفعون ويضرُّون ويعطون ويمنعون، وكن على يقين جازم بهذا المعنى الكبير ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ فلا يغيب عنه شيء من أحوالكم.

• **وعلَّمتني**: أنَّ قاطع الرحم متوعَّد بلعنة الرب ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «**إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحمة: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل مَنْ وصلك، وأقطع مَنْ قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فهو لك، قال ﷺ: فاقرؤوا إن شئتم** ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾». ومن تخيَّل هذه القوارع الكبرى وله قلب، تنازل عن كل شيء، ومَدَّ يده مسلماً وحرص على النجاة من الهلاك قبل أن يلقى الله تعالى، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ : «**تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا**».

• **وعلَّمتني**: أنَّ طاعة الكفار والمنافقين أخطر ما على صاحبها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ۝٢٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ۝٢٦ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ۝٢٧ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٢٨﴾ لقد حكى الله تعالى ردَّة هؤلاء عن دينهم وكفرهم بعد إيمانهم، وأعاد سبب ذلك إلى أنهم أقبلوا على أعداء الله تعالى، ووعدوهم بطاعتهم في بعض الأمر، وليس في كل شيء، ومع ذلك أحبط الله تعالى أعمالهم، وأجرى عليهم الخذلان. وكم من متسلل في زمانك إلى هؤلاء! وكم ممَّن أعطاهم قلبه ومشاعره على حساب الإسلام! والمسألة جدٌّ، ومن تهاون وأرخى سمعه للمنافقين ألقى بنفسه للهلاك.

• **وعلَّمتني**: أنَّ المنافق أوضح ما يكون وإن تستَّر بألف حجاب ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ۝٢٩ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ۝٣٠﴾ وقد بسط الوحي صفات القوم وفضحهم وفصَّل في ذكرهم وكشف عنهم كل شيء، ولا تحتاج إلَّا أن تقلِّب بصرك وترخي سمعك لترى الحقائق رأي عين. وأبين علامة للقوم وأبرز صفاتهم أنَّهم حرب على الدعاة والمصلحين وحُمَّال دين الله تعالى، يسخرون ويستهزؤون ويخونون ويلمزون، فإذا

ما رأيت من تلك المعاني في حياة إنسان، فاعلم أنه من القوم، لا كثَّرهم الله تعالى في مساحة، وأجرى عليهم الخذلان في كل حين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ جهد الإنسان وبذله إنَّما ينفع به نفسه فحسب ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾ لقد نوَّع الله تعالى في الدعوة إلى دينه ومنهجه، واستحثَّ القلوب للسير في الطريق إليه، وذكَّر ببعض المباهج والأماني لسالك الطريق، وحذَّر من التخلُّف في مواطن كثيرة، وكل ذلك من أجله لا من أجل غيره ﴿لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لتنفقوا من أفكاركم وعقولكم ومفاهيمكم وتصوراتكم لدين الله تعالى ومنهجه حتى يأخذ حظه من الحياة. ﴿لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ من جهود أبدانكم وبذلكم وعطائكم حتى تصنعوا له فألاً وواقعاً. ﴿لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ من أموالكم فترفعوا له بها أسهماً في الحياة، وكل ذلك في النهاية لكم، ولا ينتفع به سواكم ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾، فإن أبيتم فلم تدفعوا من أموالكم، ولم تشاركوا بها في نصر دينكم، ولم تسدُّوا بها خلَّة محتاج، ولم تدفعوا من أفكاركم وأوقاتكم وجهودكم لدين الله تعالى، فإنَّما تبخلون على ذواتكم فحسب، وليس على دين الله تعالى من ذلك شيء ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ لن ينتظركم دين الله تعالى، والثغر

الذي تركته سـيأتي من هو أفضل منـك بألف مرة، والمسـاحة التي تخلّيت عنها سـتجري حظوظها كما أراد الله، وتخلُّفك على نفسـك، وسيستبدلك الله تعالى، وقد لا تجد مكاناً في قادم الأيام. وما أكثر هذه الصور في الواقع وما أقل العبرة منها!.

سورة الفتح

• **علَّمتني سورة الفتح**: أنَّ تقديـر الله تعالى أعظم لك من أمانيك ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ جاء رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم أجمعيـن لفتح مكة، فأبت قريش وانتهت المسألة بالصلح، ورفض صحابة رسول الله ﷺ تلك الصورة التي انتهى إليها الصلح، وشعروا أن فيها ضعفاً وذلاً وجوراً، وقام عمر رضي الله عنه ثائراً: يا أبا بكر أليس برسـول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنيَّة في ديننا؟ فقال أبو بكر: يـا عمر الزم غرزه! وكانـوا محرمين ومنعوا من البيت على أن تكون العمرة السـنة القادمة، فأمرهم النبي ﷺ أن يحلوا إحرامهم فأبوا، فأشارت عليه أم سـلمة رضي الله عنها بأن يحلق هو أولاً، فحلق فقاموا فحلقوا بعد ذلك، فرجعوا قافليـن إلى المدينة، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ وسمَّاه فتحاً مبيناً، حتى قال ابن عبد البر رحمه الله: ليس في غزوات الرسول ﷺ ما يعدل بدراً أو يقرب منها إلَّا غزوة الحديبية. اهـ.

هدأت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضاً، وقال الزهري: وما فُتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه. اهـ. ودخل في الإسلام في ذلك العام أمم. وكان خيار الله تعالى لرسوله وللمؤمنين أعظم ألف مرة من خيارهم لذواتهم. ولو أنَّ الإنسان استخار في قضاياه وسأل الله تعالى ملحاً أن يدله على الطريق قبل اتخاذ أي قرار لتحصل له أعظم من رأيه لنفسه وعجلته إلى ما يريد.

• **وعلَّمتني**: أنَّ التخلف عن ساحات العمل لدين الله تعالى نوع من النفاق ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ اعتذروا عن المشاركة في الجهاد بالضيعات والأولاد والأموال والبيوت، وهي صناعة كل متخلف عن العمل لهذا الدين في كل زمان ومكان. ومن أبصر الطريق قام إليه، ومن لم تنهضه هذه الحقائق فما لجرح بميت إيلام!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الصدق مع الله تعالى يصنع كل شيء ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ ومن له قلب وهو يقرأ هذا الخبر قطر دمعه

وقفَ شعر رأســه، وهو يتصوَّر هذه اللحظة القدسية التي نالت صحابة رسول الله ﷺ وهم تحت شجرة في مساحة من الأرض! أن يعطيك الله تعالى شيئاً، أو يهبك نعمة، أو يسـقيك رحيقاً فذلك شيء، ولكن أن يرضى عنك فذلك كل شيء! من هم أولئك الذين كانوا تحت الشجرة! كيف كانــت قلوبهم حتى يتدلى لهم هذا المعنــى الكبير، ويرضى الله تعالى عنهم في لحظة! لئن يعيش الإنســان عمره كله، فيحظى بلحظة رضاً من ربه تبارك وتعالى فتلك والله الحياة. وإنّي أذكّر نفسي وأذكّرك بأنَّ من عنــي بقلبه وعرف لله تعالى قدره، وأقبــل صادقاً وحاذر الرياء وجالده، ثم قدَّس وأجلَّ وحيه وأكثر من العمــل، وكانت له خلوات، فإنه بإذن الله تعالى بالغ مراده أعجل ما يكون. والله المسؤول أن يقرّب لنا هذه الحقائق ويدلنا على الطريق، ويكرمنا بشــيء من ذلك أعجل ما يكون.

• **وعلَّمتني**: أنَّ النصر للإســلام، طال هذا الأمــل أو كان قريباً ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ هــذه هي الحقيقة التي يجــب أن تخامر قلوبنا، وتغشــى مشــاعرنا، وتجري في أرواحنا أبلغ ما يكون. غير أنَّ هذه الحقيقة موقوفة على أسبابها، وتحتاج من كل واحد أن يقوم بدوره، ويشارك في المساحة التي يحسنها، ويقوم على ثغره بعزيمة الرجال، ويكتب حظه فــي المكان الذي هــو فيه أبلغ ما يكــون. والحقائق

الكبرى تحتـــاج إلى رجال يوردونهـــا في مرات كثيـــرة للحياة قبل أوانها. والله المســؤول أن يكحّـــل عيوننا بهذا الأمل، ويســـقينا من مشاهده ما يُجري في قلوبنا الأفراح.

سورة الحجرات

• **علّمتني سورة الحجرات**: أنَّ تقديس الوحي وتعظيمه أرقى وأجلُّ صفات أهل الإيمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ وإنَّ من إجلال الله تعالى إجلال شريعته ووحيه، وتقديمها على كل شيء، وجعلها أولى الأولويات، وهذا هو الطريق إلى الحياة، وفي البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال ﷺ: «**ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلَّا ووصيته مكتوبة عنده**». قال ابن عمر رضي الله عنهما راوي الحديث: ما مرَّت عليَّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ إلا وعندي وصيتي. وفي مسلم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ حين أوصاه وفاطمة رضي الله عنها بذكر النوم قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما تركته منذ سمعته من النبي ﷺ، قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين. وهو أقرب الطرق إلى حياة قلبك ومشاعرك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

• **وعلَّمتني**: أنَّ التثبت هو المنهج الشرعي مع الشائعات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ يضع الله تعالى منهجاً في تلقي الأخبار، وأنَّه لا ينبغي للإنسان أن يسارع في تلقي أي خبر من الأخبار وخبر الفسّاق على وجه الخصوص حتى يتثبَّت منه، ويعرف عنه كل شيء، وكم من نادم بعد الفوات! وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: «**كفى بالمرء كذباً أن يحدِّث بكل ما سمع**». وفي زمانك من يتلقفون من الناس الأخبار ويتسابقون إلى بثِّها، ويعدون ذلك مهارة من المهارات ونوعاً من النجاح، وبعضهم يقول لك: كما وردني، كما قيل، على ذمة الناشر، وكلها لا تخرجه من سوء الأخلاق وعجلة الشياطين ورقة الدين وخفة العقل. وبعض الكبار يقول: لا يمكن أن أكون أول من يبث خبر السوء، ولو كنت أعرف كل تفاصيله حتى لا أكون مساحة تشاؤم على أحد من العالمين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ محبة الإيمان وتزيينه في القلب من أعظم نعم الله تعالى على عبده ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ يتلطف الله تعالى على عبده، فيشرح صدره للخير ويدله عليه، ويُقبل بقلبه على دينه ومنهجه، فتراه أشرح الناس صدراً وأكثرهم إقبالاً على الخير، وأشدهم حرصاً عليه، وما ذلك لشيء

إلَّا أنَّ الله تعالــى تفضَّــل عليه فجعله كذلــك، وكرَّه إليه فــي المقابل المعاصي والشرور والمنكرات، وما الإنسان لولا الله تعالى؟! ومن وجد من ذلك شيئاً فليحمد الله تعالى وليدم شكره طويلاً، ولا يخفاك أنَّ من أقبل على ربه تعالى صادقاً عازماً ناله من ذلــك النعيم، ومن صدَّ عن الطريق وتأخَّر عن الهدى، وتثاقل عن الحق فاته كل شيء، وقد قال الله تعالى: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٨﴾ وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ إشـارة إلى أن ذلك الفضــل لا يضعه الله تعالــى إلَّا في مواضعه اللائقة به والقلوب المستحقة له، وليس عبثاً وفوضى، وكم من مصروف عن الخير مدفوع عن أبواب الفضيلة عاجز عن كل فضل وبر، وهو سبب ذلك الحرمان وأصله وقاعدته، والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ ربــاط الأخــوة في الله تعالى أعظــم الروابط على الإطلاق ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ والأمة الواحدة في أمسِّ الحاجة إلى فقه هذا المعنى الكبير، والحرص على تكوينه في واقعها، وأول لبناته صلاح الإنســان فــي ذاته، وكونه عضواً فاعلاً في واقعه، ثم اجتماع شــمل الأسرة الواحدة وسلامتها من الخلاف، وخلوها من النزاعات والفوضى، ثم رباط الأرحام والجيران والمجتمعات، فمن حرص على أن يكون جزءاً من فضيلة الاجتماع كان سبباً مؤثراً في خلق مباهج هذا المعنى الكبير في مستقبل الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ ثمة أمراضاً جالبة للخلاف والشقاق والنزاع ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ فالسخرية، والاستهزاء، ولمز المؤمنين، والمنابزة بالألقاب، وسوء الظن، والتجسُّس، والغيبة أكثر ما فرّق المسلمين وألقى بالفرقة والشتات بينهم، وولّد خصاماً سافراً بين الأفراد والأسر والمجتمعات فضلاً عن الأمة كلها. وما حاجتنا إلى شيء حاجتنا للإخاء والحب، وردم هذه الفجوات، والشعور بالوحدة الكبرى للأمة، والرقي والاستعلاء على كل خلاف يواجه هذه الوحدة، ويسعى لتمزيقها في مستقبل الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الناس من أصل واحد وجنس واحد، بغضّ النظر عن الألوان والقبائل والأنساب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ وهذا هو المنهج الذي يجب أن تقاس به العلاقات بين الناس، وأن يتخلَّص الإنسان من الجاهلية التي تعارض شرع الله تعالى، وما ينتشر اليوم بين الناس من أنَّ هذا قبيلي والآخر غير ذلك، وفلان من بلاد كذا، والآخر من بلاد أخرى، وهذه أسر أشراف لا يزوجون إلَّا أشرافاً،

وتلك لا تستحق أن تصاهرهم، ونحو ذلك من الجاهليات التي تتعارض مع شريعة الله تعالى، وعند الترمذي ـ وصحّحه الألباني ـ من حديث أبي حاتم المزني قال ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخُلُقه فأنكحوه، إلَّا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد**»، وكل ما نابذ هذا المنهج، فلا قيمة له في شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ إسلام الإنسان منَّة وفضل من ربه، فلا وجه للامتنان به على أحدٍ من العالمين ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ المنَّة الكبرى لله تعالى الذي هدى الإنسان إلى الطريق الصحيح، وبعثه من الظلام إلى النور، وأخرجه من الفوضى والشتات إلى الوحدة والائتلاف، وصنع في قلبه الحياة بهذا المعنى الكبير. ومَنْ الإنسان لولا ربه تعالى؟! ما أكثر نعم الله تعالى علينا! وما أقل إدراكنا لها!.

سورة قٓ

• **علَّمتني سورة قٓ**: أنَّ التفكــر في مخلوقــات الله الكونية من أعظم طرق الهداية إلى الله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾ فـي مرات كثيرة لا يحتاج الإنســان إلى كبير جهد حتى يرى الحقيقــة، وحاجته فقط إلــى أن يلتفت متأمــلاً متدبراً متبصّراً فيما حوله، وســتأخذ بــه إلى جلال ربه وتعظيمه. هذه الســماء المحكمة التي لا ترى فيها شقّاً، وهي بلا عمود آية كبرى تحتاج إلى تدبر وتأمل، وهذه الأرض المبســوطة المذلَّلة، وتلك الجبال الرواسي، وهذا الغيث النازل من الســماء إلى الأرض والذي يعيدها خضراء من جديد، وتلك النخل الباسقات من أعظم الدلائل على الله تعالى.

• **وعلَّمتني**: أنَّ معركة الحق والباطل ســتظل ما بقيت الدنيا، وأنَّ هذه الحرب التي تراها دائرة بين الحق والباطــل اليوم كانت بالأمس

كذلك، ولم تخل منها بقعة من الأرض يوماً من الدهر ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ كل هؤلاء جاؤوا في صفوف المعارضة والمكذبين والداعمين للباطل والمنتصرين للضلال دون استثناء، وبقي الحق في تلك الحقبة في نزاع وشقاق، ثم ذهبوا وجاءت الأجيال الجديدة بذات الأفكار وأتمّت مشوار الحياة الطويل. وهي دعوة بأن يجهد كل إنسان في القيام بدوره وحراسة ثغره والقيام بواجبه في المساحة الممكنة، وما بقي لله تعالى وهو أعلم وأحكم. ومن كان يتصوَّر أن يلقى حياة خالية من عدو، وزمناً لا يوجد فيه سوى الحق فليقرأ الوحي من جديد، وسيجد ألف جواب لمثل هذه الأسئلة.

• **وعلّمتني**: أنَّ الكلمة أخطر ما تكون على صاحبها ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ وما من كلمة تخرج من فم صاحبها إلا وقيدتها الملائكة، ورصدت أحداثها وأصبح صاحبها مقيّداً بها مملوكاً لها مع الأيام! وفي الآية إشارةٌ إلى أنَّ المدوَّن كل كلمة وليس كلمة عن كلمة. وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم**». وكم من كلمة قالت لصاحبها: دعني! ومن أعظم دلائل الخذلان أن تُرى متلطِّخاً بأعراض المسلمين صباح مساء، وقلَّ أن يسلم

من عواقب السوء إلا أن يشاء الله! ولو لم يكن من ذلك إلا ما يجري في عرصات القيامة كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «**أتدرون من المفلس؟... إنَّ المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، فطُرح في النار**». لكان كافياً، ولكن كما قال الأول: وما لجرح بميت إيلام. والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ لكل إنسان لحظة وداع ونهاية ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩﴾ هذه اللحظة التي تأتي كل إنسان بغضّ النظر عن مستواه العلمي أو وظيفته ومسؤوليته أو كبره وصغره، ذكراً كان أو أنثى. تأتيه في مرة من خلال حادث سيارة في طريق بر، ومرة في الجو، وثالثة في البحر، ورابعة من خلال مرض، وخامسة على سرير نوم، وسادسة وهو لاهٍ غافل في مساحة من الأرض، وسابعة وهو يضحك بملء فيه بين رفاق الطريق، أو وسط أهله ويرحل دون استئذان. ولحظة بهذا المعنى لا يُعرف لها وقت ولا يُتوقع لها حين أحقُّ ما تكون بالاستعداد قبل حلول أحداثها. وكم من متندم بعد الفوات! وكم من خاتمة صالحة! وكم من خاتمة سوء!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ خشية الله تعالى هي الواقية من الانحراف ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ حين ذكر الله تعالى أصحاب النعيم ذكّر بخشية الله تعالى، وأنها أعظم الأسـباب التي نفعتهم، وهي والله أعظم الأسباب وأكثرها أثراً في تاريخ إنسان، ومن تجلّى هذا المعنى في قلبه وقف مانعاً من كثير من الظلام! وثمة شكوى كبيرة تتسع كل يوم للأسر حيال الواقـع القادم مع أبنائهـا، ولا أرى أعظـم ولا أجل ولا أفضل لمواجهـة ذلك الألم مـن إصلاح ما بيننـا وبين الله تعالـى أولاً، ثم الإلحاح على الله تعالـى، والتربية والتأهيل على هـذا المعنى الكبير (خشية الله تعالى) ولعل يوماً يأتي بالأفراح بإذن الله تعالى ولا يطول.

سورة الذاريات

• **علَّمتني سورة الذاريات**: أنَّ للمتقين صفات مكَّنتهم من النجاح ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ من أعظم ما يبلغك أمانيك أن تقرأ مشاهد التفوق لفرد أو جماعة أو أمة ثم تسلك ذات الخطوات، ومثلك أوعى بالدرس، وأعظم ما بلغ بالقوم: (إحسانهم مع الله تعالى ومع العالمين، وتقديسهم لقيام الليل، ومناجاة الله تعالى في ساحات السحر، ومشاركة المحتاجين من حولهم مما آتاهم الله تعالى). فلا تتخلَّف عن الركب، وكن على الطريق تبلغ آمالك أعجل ما تكون.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الله تعالى إذا أراد شيئاً أجراه ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ لقد عاشت سارة زوج إبراهيم عليه السلام زمناً طويلاً ترغب في إنجاب الولد، ولم يرد الله تعالى لها ذلك في تلك الحقبة من الزمن، وحين بلغ بها الكبر

مداه وانقطعت تلك الأمنية، وفات عليها كل شـيء سـقاها الله تعالى نعيمه فوهب لها ولداً، وحين ارتاعت المرأة المُسِـنَّة من ذلك الخبر ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ قالـت الملائكة رادَّةً على استغرابها بجواب يصلح للتاريخ: ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ ويكفـي هذا الجواب عن ألـف جواب! وهو درس لكل رجل أو امرأة تأخر عليهما الإنجاب، وبذلا كل شـيء في الطريق إلى تلك الأمنية أنه لا مستحيل على الله تعالى، وأنَّ لله تعالى حكمة في التأخير، ولعل خبراً يأتي فيصنع كل شـيء. وما ذلك على الله بعزيز.

• **وعلَّمتني**: أنَّ موقف الباطل مـع الحق واحد لا يتخلَّف على مرِّ الأزمان ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾ في كل زمان، وفي كل مكان، ومع كل رسول، ومع كل داعية ومصلح إلى يوم الدين ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ هذا هو التاريخ، وسـنن الله تعالى تمضي كما هي لا يتخلف منها شـيء، وحسبك الصبر والثبات واليقين بنصر الله تعالى في مستقبل الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ واجبـك الذكرى فحسـب ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ ذكِّر في كلِّ وقت وفي كل مكان ومساحة، واستثمر كل ممكن، واجتهد وسـعك في تبليـغ دين الله تعالى، ودعـك من انتظار

النتائج أو التطلع إلى آمالك من خلالها فغداً تشرق شمس الربيع وترى آثار قول ربك ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾.

ذكِّر، لا تتوقف عن صناعة التاريخ وكتابة أحداثه من خلال تلك الذكرى. ذكِّر لأن الذكرى في مرات تصحِّح مفهوماً، وفي مرات أخرى تبني مفاهيم، وفي ثالثة ورابعة تحيي موتى وتعيد إليهم الحياة. ذكِّر، لأنك بهذه الذكرى قد تبعث إنساناً من غفلته، وتجري الحياة في قلبه، ثم يكون هو سهمك الرابح في الدارين، وخندق أمتك الذي تثور منه الذكريات. ذكِّر لأن هذه الذكرى هي التي تأتي في كل يوم بأسراب الناجين من جديد، ذكِّر فإنَّ ذكراك هي غرسك المبارك، ونماء دينك الكبير، ومراتع الحياة القادمة بإذن الله تعالى.

ماذا لو قيل لك: توقف عن التذكير وسيتوقف دينك عن النمو، وسيأخذ الجهل مداه في الظلام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الرزاق هو الله تعالى فحسب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝﴾ هذه ليست كلمة عارضة بقدر ما هي عقيدة ثابتة كالجبال! الذي خلق الخلق هو الذي تكفَّل بأرزاقهم، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال ﷺ: «**إنَّ روح القدس نفث في رُوعِي أنَّ نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها، فاتَّقوا الله وأجملوا في الطلب**»، صحَّحه الألباني. وفي الصحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه كذلك «**ثم يؤمر**

الملك بكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد»! وهذا المعنى كفيل بطمأنينة النفوس ورغبتهـا فيما عند ربها تعالى، وتعلمها الاستعلاء وكف يديها عن الطلب ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨﴾.

سورة الطور

• **علّمتني سورة الطور**: أنَّ الخوض في اللغو مفضٍ لانشغال الإنسان بالهوامش، وضياع مقاصده الكبرى في الحياة ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ وما أكثر المشتغلين بهذا المعنى في زمانك، ولو أنك أحصيت ما يجري من نقاشات في جلسات الناس العامة وعلاقة هذه النقاشات بالمقاصد الكبرى التي وجدوا من أجلها مقارنة بما يجري منها في اللغو الفارغ لرأيت بوناً شاسعاً! فكيف إذا توسع هذا اللغو وانحرف بالكلية، وتحوّل إلى تشكيك في الذات الإلٰهية والإلحاد ونحو ذلك!.

• **وعلّمتني**: تنوُّع نعيم الجنان ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ
بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾
مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم
بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾
وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ
عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾ وإذا قرأت هذا الوصف بإمعان رأيت

كيف جمع الله تعالى بين نعيم الأجساد بالأكل والشرب والأزواج، ونعيم الأرواح بلقاء الأبناء، وكم من فقد يغشى قلوب الآباء لغياب أبنائهم! وكم من لهف يجري في مشاعرهم في انتظار ذلك اللقاء فإذا ما عاد الابن من سفره وغيابه جرت دموع الآباء فرحاً باللقاء، فإذا كان هذا في سفر وغياب الدنيا، والأصل فيها اللقاء والفراق؛ فكيف باللقاء في الجنان، وهو نعيم دائم غير مقطوع! فاللهم نسألك من فضلك وإحسانك!.

• **وعلّمتني**: أنَّ الصبر هو الطريق إلى بلوغ أمانيك ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨﴾ حين عرض الله تعالى إعراض المعرضين وفوضى الباطل، ومزاحمته للحق، وما يحتاج من نضال وجهاد أوصى نبيه ﷺ بهذه الوصية العظيمة ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨﴾ اصبر لحكم ربك! ومن حُكْم ربك: أنه قد ينصر الباطل على الحق في مرات لحكم يريدها تعالى، ومن حُكْمه: أنه قد يبتليك بطول الطريق وشقته البعيدة وأحماله الثقيلة المكلفة! ومن حُكْمه: أنه قد يريك ما يحزنك، ويفقدك ما يعينك. وكل هذه المعاني وغيرها هي أحوج ما تكون لتلك الوصية الكبرى ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨﴾ ثم يسلّيه تعالى بأنه يرعى له كل لحظة، ويرى له كل حال، ويقف معه في كل مشهد فلا تغتم! وذكّره بأنَّ خير ما يعينه على ذلك صبره وحسن صلته بربه، وإقباله عليه مع الأيام ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨﴾.

سورة النجم

• **علَّمتني سورة النجم**: صدق رسالة رسول الله ﷺ للعالمين ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ يقسم الله تعالى بمعالم من الكون على صدق نبيه ورسوله ﷺ، وأنَّ ما جاء به هو وحيه تعالى وليس له منه إلا البلاغ! وهذا المعنى إبطال لفكرة بثَّها أهل الباطل في تلك الحقبة من الزمن، وألغى الله تعالى أحداثها من خلال الوحي. وهي رسالة لكل جاهلية وفي أي زمان ومكان، تصفع تلك الشكوك المثارة، وتُلجم تلك الأسئلة المطروحة، وتقرر بأن الرسالة حق، وصاحبها وباعث الحياة فيها صادق واضح البينات.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الأوهام والظنون أخطر ما تكون على الإنسان ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ۝٢٧ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ۝٢٨﴾ وكم من وهمٍ وظنٍّ بنى معتقدات فاسدة وأفكار ضالة وتوجهات خاطئة، وألقى بصاحبه في الضياع! أعجب ما لدى هؤلاء أنَّهم يبنون عقائد على الأوهام وينشؤون تصورات على الظنون، وهاهي قصتهم تتكرر في الوحي كل

حين. ومن فقهك وكمال وعيك ودينك أن تعتني بتصوراتك، ولا تَبْنِ معتقداتك إلا على نصّ صحيح صريح، فعقلك أجل من أن يكون فضاءً للأوهام والظنون.

• **وعلّمتني**: أنْ تختار صاحبك وصديقك ورفيق دربك بعناية ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾ فإنَّ الصاحب ساحب، والقرين بالمقارن ينسب، واحذر مصاحبة اللئيم فإنه يعدي.. كما يعدي الصحيحَ الأجربُ. وقد دلَّك الوحي على هذا الطريق في أكثر من موقف، وبيّن لك عواقب الضالين الغافلين على دينك ومنهجك. فإمَّا صديق وصاحب ورفيق درب على منهج الحق ونور الوحي يوقد سراج طريقك، ويشد عزيمتك، ويبعث قلبك للحياة، كما هي وصية ربك: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨] ووصية رسولك ﷺ: «**كحامل المسك ونافخ الكير**»، وإمَّا صاحب يجري بك في فلك الضياع!.

• **وعلّمتني**: أنَّ نجاحك معقود على جهدك وتعبك في النهاية ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ فما أنت صانع في حياتك! وما أنت كاتب لنفسك! ومازلت حيّاً والأماني بين يديك وعافيتك تجري في جسدك،

ومثلك أوعى بزمانك وما يجري فيه من الفوضى والشتات، وتذكر ما قال الأول:

فارفــع لنفســك ذكرهــا   فالذِّكر للإنســان عمــرٌ ثانٍ

وهــذا المعنى يأتــي من خلال مشــروعك الشــخصي، وفكرتك الناهضة وقضيتك التي تعيش من أجلها فــي يومك وليلتك، فهي من سعيك، ويأتي كذلك من خلال عنايتك بولدك، وهو من سعيك فاجهد وسعك في صلاحه، وابذل كل شــيء في الطريق إلى هدايته، ومثلك لا يوصى بأنَّ الأجل يأتي بغتة والقوة تتحول إلى ضعف والفراغ يعود شغلاً، فعاجل زمانك قبل أن تجري عليك عادياته، وتعود تضرب بكف على كف، وقد فات أوان الحياة.

سورة القمر

• **علّمتني سورة القمر**: أنَّ الغفلة واتباع الهوى أخطر ما يواجهك ﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾ تخيَّل هؤلاء كانت تعرض عليهم الآيات بيِّنة واضحة ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤﴾ ولكن الغفلة ألهتهم عن الحقائق، والهوى أعمى أبصارهم عن التفكير، وما رزئ الإنسان بأخطر من الغفلة والهوى، وهما سبب كل إعراض، وكم من حقيقة لم تلق رواجاً في حياة صاحبها حتى الآن، والله المستعان!.

• **وعلّمتني**: أنَّ قراءة التاريخ بوعي من أعظم أسباب النجاح ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝١٦﴾ يحكي الله تعالى مشاهد الأمم التي خاضت تجربة الحرب على الحق، وواجهت الفضيلة، وعادت الرسل، وأبت إلا الضلال كيف أنَّ الله تعالى ألقى عليهم عذابه، وتركهم عبرةً للتاريخ، بدءاً بقوم نوح، ومروراً بقوم عاد وثمود ولوط وآل فرعون.

وهـو درس حي لكل فـرد وجماعة وأمة أن تسـتفيد مـن توظيف هذه الأحداث في واقعها، وتأخذ منها العبرة الكافية للنجاة قبل الفوات.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الوحي يكشف لك كل شيء، تراه يعرض لك حال المجرمين والضالين في نهاية المطاف ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ٤٧ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ٤٨﴾ ويعـرض فـي المقابل حال المفلحيـن الفائزيـن ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ ٥٥﴾ وما حاجة الإنسان إلى شيء حاجته إلى هذه الحقائق التي يأخذ منها العبرة، ويعيد بناء مستقبله على أحداثها.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الله تعالى خلق كل شيء بقدر ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾ فكل ما يكون في حياتك من ولادتك إلى يـوم وفاتك جرى به قلم القدر قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، ودُوِّن لك وعليك وأنت في بطن أمك، وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ليس اليوم ولا غـداً، وإنَّما حتى رحيلـك ووداعك. علـى ألَّا يفوتك أنَّ الأسـباب جزء من ذلك القدر، وأنَّ عليك أن تعمل ما بوسعك وتبذل غاية جهدك، ولو أنَّ عاقلاً موفقاً مؤمنـاً قرأ هذا المعنى بوعي لعاش مطمئناً من المخاوف التي تواجهه، والقلق الذي يساوره، ولأدرك أنه لن يأتي شيء إلَّا في موعده، ولن يتخلَّف شيء عن سببه.

سورة الرحمٰن

• **علَّمتني سورة الرحمٰن**: عظيم مِنَّة الله تعالى على الإنسان بالوحي ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ بدأ بذكر أعظم نعمة منَّ بها على الإنسان ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ وقدَّمها حتى على خلقه ووجوده، ومن عرف هذه الحقيقة بذل لها كل شيء. إن هذا الوحي يضع لك خارطة الطريق ويريك بوصلة الشمال بدقة، ويأخذ بيدك إلى سنن التاريخ وقوانينه التي لا تختل، ويضع قدمك على أرض صلبة حتى يعانق بك أحلامك في النهايات، وما حاجته إلى شيء حاجته إلى تفرُّغ ذهنك وفسحة من وقتك وإقبالك إليه بصدق.

• **وعلَّمتني**: عظمة الله تعالى فهو كل يوم في شأن ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ۝٢٩﴾ يغني فقيراً ويجبر كسيراً، ويعطي قوماً ويمنع آخرين، يحيي ويميت، ويرفع ويخفض، ويصح ويمرض، يعطي من شاء متى شاء كيف شاء بالقدر الذي يشاء، ويمنع من شاء كيف شاء متى شاء بالقدر الذي يشاء، سبحانه الواحد جلَّ شأنه وتقدست أسماؤه. يرحم ضعيفاً، ويحلم على مذنب، ويكسر جبَّاراً

ويذل متكبّراً. يصنع كل شـــيء ولا يعجزه شـــيء، وهو أرفع وأعلم وأعظم وأقدر من كل رَقْمٍ في مرقــوم، ولو كتب بأقلام الدنيا ما جاء على أقل القليل مما يفعــل العلي الكبير. ومن كان هذا شــأنه فحقه الإجلال والإكبار والتعظيم جل في علاه لا نوفيه حقه، وهو المستعان على كلّ شيء.

• **وعلَّمتني**: النهايــات التي يؤول إليها المجرمون ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝٤١ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٤٣ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝٤٤﴾ ليــس عذابــاً ونــكالاً وجحيماً وسوء عاقبة بقدر ما هو إذلال وتحقير! ولو أنك تخيَّلت إنساناً كان يعبث بالمنهج، ويتســلَّط على عباد الله المؤمنين، ويسومهم سوء العذاب، ويصنع فيهم كل شــيء، والآن تجمع ناصيته الكاذبة وقدمه الظالمة في قبضة الملك، ثم يُرمى الواحد منهم رمياً إلى سوء المصير! فلا يغرك عبث العابثين وإعراض المعرضين وضــلال الضالين؛ فإنما هي أيام ثم إلى ذات النهايات.

• **وعلَّمتني**: أنَّ ما ينتظــرك من نعيم الجنــان فوق تصورك ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٧ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ۝٤٨ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٤٩ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥١ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ

زَوۡجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ وهذه صورة من صور، ولوحة جمال من مشاهد مبهجة، وعرض خاطف لمساحات من الجمال هي أكبر من أن تتخيَّلها في واقعك، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**يقول الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر**».

سورة الواقعة

• **علَّمتني سورة الواقعة**: أنَّ النهايات التي ننتظرها وقفٌ على تلك البدايات التي نصنعها ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾ وهذه الأصناف الثلاثة: أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، والسابقون، إنَّما صاروا إلى ذلك بناءً على اختلاف أعمالهم في الدنيا، والجزاء في الآخرة على قدر العناء في الدنيا، وأنت وشأنك. وقد بلغك أنا أبا بكر ﵁ يدخل من أبواب الجنة الثمانية يوم القيامة، وسعد بن معاذ اهتزَّ لموته عرش الرحمٰن، وبلال كان النبي ﷺ يسمع خشخشة نعله في الجنة، وهو مازال في الدنيا، فدونك الحياة، ودعك من أحاديث المثبِّطين، وانهض للسباق، وكن حدثاً ضخماً وشأناً كبيراً، وغداً ينادى على الناس في عرصات القيامة، فإيَّاك أن تأتي في عداد المتأخرين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ خلل الرؤية أعظم أسباب الضياع ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٤٧ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝٤٨﴾ كانوا ينكرون البعث، فمن الطبيعي جداً أن يأتوا في

عداد الخاســرين. وإذا غابت الرؤية فمن الطبيعي أن تأخذ الخسارة مداها بلا حدود.

إنَّ من فقهك وكمال وعيك أن تشعل فتيل همومك، وتعيد تنظيم وترتيب بوصلة شــمالك، ثم تجهــد بعد ذلك فــي محافظتك على شــمالها الحقيقي، فإن انحرافها مؤذن بالضيــاع. وكن على ذكريات ربيعة بن كعب الأســلمي حين عرض عليه النبي ﷺ **«سل يا ربيعة»**! فقال: أسألك مرافقتك في الجنة! فقال له: أوَ غير ذلك يا ربيعة؟ قال: هو ذاك يا رسول الله! ومن عرف الحقائق بذل لها كل شيء.

• **وعلَّمتني**: عظيم نعم الله تعالى على عباده، بدأ بالحديث عن تكوين الإنســان في البدايــات ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩﴾ وعرض ما يجري في زروعهم وحرثهم ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥﴾ ثم ذكَّرهم بما يشربون، وكيف أنَّه تعالى أنزلــه عليهم ورزقهم منه ما يشــاؤون ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝٧٠﴾ ثم عرض عليهم نارهم التي يوقدون ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣﴾ ومن تأمَّل هذه النعم، وأصغى إليها بفكره وبصره عرف ما لله تعالى من حقوق، وأجرى لها من العمل ما تعود عليه بالأرباح في الدارين.

• **وعلَّمتني:** أنَّ الجزاء من جنس العمل ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ فانظر لموقعك منها، واعلم أن نعيمك على قدر جهدك، ومكانك على قدر همومك، وإياك والتخلُّف عن ركب الجادين، وغداً يبين كل شيء.

سورة الحديد

• **علَّمتني سورة الحديد**: أنَّ الإنســان مستخلف في نعم الله تعالى ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ فمالك الذي في يدك، ومهارتك التي تملكها، وقدراتك التي تتمتع بها، وما منَّ الله تعالى به عليك ينبغي أن تدرك أنَّك مستخلف فيها، وتقع عليك تبعات مسؤولياتها. وهي أحوج ما تكون إلى الاستثمار. كم من صاحب مال وسَّع به على محتاج! وكم من صاحب قلم أجرى الله تعالى على يديــه خيرات! وكم في المقابل من شحيح بماله وعلمه ووقته ومهارته لقي الله تعالى على غير طريق!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ حمل هموم الدين أيام الحاجة أعظم ألف مرة من حمله أيام العافية ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ﴾ فــرق كبير بين من يشــارك في نصر دينه ومنهجه أيام الضعف والقلة والظروف القاسـية، ومن يشارك أيام القوة والكثرة والظروف المواتية، والفرق ذاته بين من يقوم على فكرة ومشــروع وقضية ولا معين حوله، ومن يأخذ فكرة ومشــروعاً وقضية ضمن جماهير موجودة، وتؤدي دوراً مشابهاً في الوقت ذاته. كلٌّ شارك

ولكن الأول شارك متجرداً لله تعالى، متمحضاً له، ليس في قلبه سوى الله تعالى، والآخر شـارك وقد يصيبه من دخان الكثرة وصفير الإعلام وكثـرة التصفيق ما يجرح تلك المشـاركة، الأول عانى عسـر الطريق وشـقته، وجهد الوحـدة، وعنـاء عدم الرفيـق، والآخر جـاء ضمن الجماهير!.

• **وعلّمتني**: أنَّ المتصدق لا ينفق مالاً، وإنَّما يُقرض الكبير المتعال ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ جـزء مـن مشكلاتنا أننا لا نقرأ الوحي بوعي، ولا نجري النص في مشاعرنا أولاً، ولا نمنحه القدر الكافي من التفكير. إنَّ هذا النص يعرض لك أنَّ ربك هو الذي يستقرضك لا غير! فهل وعيت! ثم يعدك وهو ربك أنه سيعيده مضاعفاً وسـيأجرك أجراً كريماً! لو أنَّ تاجراً وقف على بابك أو اتصل بك وطلبك، ولا تملكها فستسـتلفها، وترى بأنهـا قربة لا تعدلها قربة لثقتك بأنه سـيعيدها إليك، فكيف بربك وقد وعدك ردَّها وأكثر منها، وما لا يجري على بالك منها! مشكلتنا ضعف اليقين، وإن لم نُعد هذه المعاني مراراً في قلوبنا وأفكارنا، وإلَّا سيفوت علينا كل شيء.

• **وعلّمتني**: كيف سـتجري أحداث النهايات يـوم القيامة ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٢﴾ هؤلاء أهـل الإيمان والتقوى والصلاح وعاقبة صبرهم الطويل حتى وصلوا إلى هذه الآمال ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾، وفـي المقابل النفاق والمنافقون وقد عاشـوا خونة ظلمة باعة المنهج والقضية، وهم في عرصات القيامة يشـتهون نوراً ويطلبون غوثاً، ويريدون شـيئاً يهتدون به في الطريق، ولكن هيهات! ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ١٣ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ١٤﴾ خذ ما يكفي قلبك ومشاعرك من هذا المشهد حتى تحين أيام القصاص والجزاء، وتحين مواعيد الوفاء.

• **وعلّمتني**: أنّ طـول الأمد مفـضٍ بصاحبه إلى نسـيان القضايا الكبرى من واقعه ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ أما يكفـي تلك الأرواح ما أخذت مـن فرصة كافية للعـودة إلى ربها! أمـا آن لقلوبها أن تخشـع، ولأرواحهـا أن تعود، ولمشـاعرها أن تجد الحياة التي تبحث عنها! متى يحين خشوع تلك القلوب، وتعود تلك الأرواح، وتسـتجيب تلك الفطر لله تعالى، وتبدأ رحلتها الإيمانية من جديد! إنّ طول الانتظار دليل قسوة إن لم تتدارك وإلّا كانت أشـبه ما تكون بحال أهل الكتاب! هذا خطاب لتلك الفئة

المؤمنة بالأمس كأن الله تعالى استبطأ قلوبها وأرواحها ومشاعرها، فخاطبها وذكَّرها بحال الظالمين. وهو خطاب لنا: متى تُورِقُ قلوبنا بالوحي! متى تشرب من معين الحياة! متى تستفيق قبل أوان الفوات!.

• **وعلَّمتني:** حقيقة الدنيا ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ هذه هي صورة الدنيا لمن يسأل عنها! أشبه ما تكون بالكرة التي يتقاذفها الأبناء بين أقدامهم، ويتخاصمون في سبيل ذلك، ويغضبون ويهجر بعضهم بعضاً، وينتصرون وينهزمون، وتحدث بينهم أشبه ما تكون بالمعارك، ثم ينفضُّ ذلك اللقاء وتنفضُّ معها الحكاية كاملة، فالهدف الذي فاز به أصحابه مجرد سراب، والخصومة التي دارت فيما بين القوم مجرَّد وهم، والنزاع الذي دار على شيء من ذلك اللقاء تحوَّل إلى مجرد حكاية، وستبدأ غداً مثلها والصورة ذاتها، ولا جديد سوى الخسارة والضياع. هذه هي الدنيا صورة طبق الأصل ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ وستظل كذلك!.

• **وعلَّمتني:** أنَّ ثمة مُعوِّقين لدين الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ ثمة فئة تبخل وتشحُّ

على نفوسها، وتبقى محسورة اليدين عن البذل، فتموت مراراً وهي ترى الحياة أقرب ما تكون إليها، ولا سبيل إلى المشاركة في طريق عزّها ومجدها. وفئة أكثر قبحاً وسوء توفيق، وهي تلك التي لم تمدّ يدها وبخلت بما لديها، ثم تجاوزت إلى كل باذل فنصحته ألّا يبذل، وخوّنت في طريقه الذي يسلكه، وشككت في جهود العاملين، وكوّنت حجر عثرة في طريق الأحلام. وصاحب هذه الحال منافق أو مخذول!.

• **وعلّمتني**: أنّ عوائد الإيمان والتقوى ضخمة وكبيرة في حياة صاحبها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ تخيّل ما ينتظرك من ذلك ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ ينالكم نصيبان من الأجر، وليس نصيباً واحداً، ويجعل لكم نوراً، فلا تصنعون رأياً إلا وجاء صحيحاً، ولا تتخذون قراراً إلا في مكانه، ولا تقدمون على شيء إلا وكان قدوماً موفقاً مباركاً، ثم يتولاكم الله تعالى في النهايات، فلا يبقى لكم من ذنوبكم شيء. هذه بعض عوائد التقوى، ومن عرف الطريق أوشك أن يبلغ به للنهايات التي يرومها يوماً ما.

سورة المجادلة

• **علَّمتني سورة المجادلة:** أنَّ الإسلام يُنظِّم شأن الأسرة، ويعتني ببنائها وفق المنهج الشرعي ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾ وحين تقرأ عن الإسلام قراءة متأنية تجد بأنَّه وضع الأطر العامة واعتنى ببناء التفاصيل الدقيقة لكل شيء، وصاغها بروحه وسعته وشموليته، وأجاب عن كل تساؤلاتها. وهذا جواب لكل أولئك الذين يرون بأنَّ هذه الشريعة تتحدَّث عن العلاقة فيما بين الإنسان وربه تعالى، وليس لها شأن في الحياة العامة.

• **وعلَّمتني:** أنَّ كل ما يدور في الكون محاطٌ برقابة الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ يعلم تعالى كل ما يجري في كونه لا تخفى عليه منه خافية، حتى الذين يتناجون في

مســاحة من الأرض وزاوية من المكان، وحديثهم يجري سرّاً لا يعرفه الذين حولهم يعلم الله تعالى نية كلّ مُسِرٍّ منهم فضلاً عن ما يخرج من لسانه، وسيجري عليها السؤال والحساب والجزاء بين يديه تعالى يوم القيامة. ومن كان كذلك عُرف له قدره وقيم له بحقوقه، والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: عناية الإســلام ببناء الأفــكار والمفاهيم والتصوُّرات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٠﴾ عنـي الإسلام ببناء منهج واضح المعالم لما يجري بين المسلمين، ووضع له التصوُّرات الصحيحــة، وبيَّنه أدقَّ بيــان محافظةً على بنــاء الجماعة وسلامتها من الفرقة والاختلاف.

• **وعلَّمتني**: أنَّ البذل والعطاء من القيم الكبرى في الحياة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝١١﴾ مقابل تفسُّحك في مجلسك للآخرين ألف معنى! حين تفســح في المكان لآخر، فأنت لا تكرمه فحسب، وإنَّما تصنع لنفسك موقعاً عظيماً، يعدك الله تعالى وعداً لا يتخلف ﴿فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾

يفســح الله لكم في قلوبكم وصدوركم ونفوســكم، ويفســح لكم في أفكاركم وآرائكم وعقولكم، ويفسح الله لكم في أموالكم، ويفسح لكم في بيوتكم، وتأخذ الفسحة حظها الكبير في كل شيء من حياتكم. كل هذا تصنعه لحظة من لحظات الحب في قلبك، وسعة خاطرك، وجمال مشــاعرك حين تتخلى عن الشــح، وتصنع لأخيك موقعاً في وســط الزحام.

• **وعلَّمتني**: القيمة الكبرى لأوقات المصلحين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢﴾ فرض الله تعالى على صحابة رسول الله ﷺ صدقةً عند إرادة الحديث معه ﷺ حتى لا تذهب أوقاته ﷺ في هوامش الأحداث. وهي دعوة لأن نعي دور المصلحيــن وطلاب العلم، ونقيم لهم حقهم من الاحترام، وألَّا تُتســوَّر هذه الأوقات فــي كل وقت وحين، فيفوت الأمة خير كبير من خلال تلك الفوضى في التعامل مع هؤلاء الكبار.

• **وعلَّمتني**: خطر تولي الأعداء ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٥﴾ لقد رسمت شــريعة الله تعالى منهجاً واضحاً في التعامل مع كل شيء، ونبَّهت على أنَّ تولي الأعداء وموالاتهم خطر

على المنهج والعقيدة مهما كانت المصالح العارضة في ذهن صاحبها ذلك الحين. إنَّ العدو سيظلُّ عدواً وتوليه سيفتح أبواباً من الفوضى والضياع على الأمة، والتميُّز مطلبٌ ملحٌ خاصة في القضايا الكبرى التي تشكِّل خطراً كبيراً على الأمة في مستقبل الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الله تعالى كتب الذلَّة والصَّغار على كل من عاداه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾﴾ هذه سنة الله تعالى التي لا تتخلَّف في زمان أو مكان، من جعل نفسه خصماً لمنهج الله تعالى وشريعته سيظل ذليلاً حقيراً مهيناً، وما أكثر الذين صنعوا لأنفسهم واقعاً من خلال الهجوم على شريعة الله تعالى وتنقُّص منهجه، فصنع الله تعالى لهم الخذلان، وجعلهم ذكرى في التاريخ إلى يوم الدين. وكل من وضع نفسه في هذا الطريق، فلينتظر تلك النهايات ولو بعد حين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ ولاء العقائد أكبر من كل شيء ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ هذه المفاصلة الكبرى التي تُنشئها العقيدة في قلوب المؤمنين هي جزء من آثار الإيمان في نفوس أهله وأصحابه، وهي

المحكُ الذي يخلق حقائق كبيرة في النفــوس، حتى لو كان المقابل والدك وابنك وأخاك، فالعقيــدة أولاً، وهي الأصـــل، وما عداها من الروابط تبع لها وليست أصلاً.

سورة الحشر

• **علَّمتني سورة الحشر**: أنَّ كل من شاقَّ الله تعالى صار للضياع والخذلان ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢﴾ وإنَّما صنع الله تعالى بهم كذلك لتلك الخطايا التي وقعوا فيها ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٤﴾ وهذه سنة الله تعالى التي لا تتخلَّف، أنَّ كل من خالف أمر الله تعالى، ولم يحتفل بأمره وشرعه صار في النهاية إلى الحرمان. وكلٌّ يأخذ من هذا المعنى وأثره على قدر إعراضه، والله المستعان!.

• **وعلَّمتني**: أثر الإيمان في تأهيل النفوس وصياغة الأرواح ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ

جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ خرج المهاجرون إلى المدينة بلا مال ولا متاع ولا شيء، فاستقبلهم الأنصار وصنعوا معهم ملحمةً للعطاء بقيت شاهدةً على قيم القلوب الصادقة والأرواح الناهضة في كل زمان ومكان. كان الأنصاري يستقبل صاحبه المهاجري فيقول له: عندي مزرعتان، ولي زوجتان اختر أيهما شئت. وهذا هو المعنى الذي صنعه الإسلام في حقبة من الزمن، وفي قلوب أطهر الخلق بعد الأنبياء قلوب صحابة رسول الله ﷺ. وحين يأخذ هذا المشهد حقه الطبيعي في بيت وأسرة ومجتمع ووطن وأمة، تأخذ الحياة معانيها الكبيرة، ويجد كل إنسان الروح التي كان يبحث عنها بشوق.

• **وعلّمتني**: أنَّ النفاق والمنافقين أخطر ما على الأمة، لا كثَّرهم الله في صف ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ صورة عن ألف صورة، ومشهد من الخزي يكفي عن ألف مشهد، يهرعون إلى الكفر وأهله، ويتودَّدون لهم ويتقربون إليهم، ويكوِّنون حِلفاً ضدَّ الإسلام، ويتآمرون على شرع الله تعالى ومنهجه، ويقفون مع الكفر صفاً واحداً. وسيبقون هكذا ما بقي الزمان.

• **وعلّمتني**: أنَّ نسـيان الله تعالى مفضٍ بأصحابه إلى الضياع ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ صـورة مروّعة ولكنّها الحقيقة رأي عين، كم هم الذين لا يعرفون لماذا جاؤوا؟ وإن عرفوا هذا المعنى عرفوه معرفة لا علاقة لها بشـيء من العمل! كم هم الذين يعيشـون بلا منهـج ولا رسـالة ولا هدف! كم هـم الذين لا يحتفلون بالصلاة ولا يقيمون لها وزناً وهي ركن الإسلام، وأول سؤال سـيجري بين العبد وربه تعالى في مواقف الحسـاب والعقاب! وصور كثيرة جداً لا تجد لها تفسيراً إلا هذا المعنى الكبير ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] نعوذ بالله من الحرمان!.

• **وعلّمتني**: عظمة القرآن وجلالة قدره ومكانته ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ لو نزل على جبل لرأيت له صورة مدهشـة من الخشوع والخشـية والإجلال للدرجة التي يتصدَّع ويتشظَّى الجبل من أثره وسلطانه، فكيف إذا لامس شغاف قلب إنسان! إنَّ لهذا القرآن أثراً عميقـاً، غير أن ذلك الأثر مبني على سـلامة تلـك القلوب التي تسـتقبله، وفي الصحيحين من حديث ابن مسـعود ﷺ قال: قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ عليَّ**»، قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**فإنِّي أحب أن أسمعه من غيري**» فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النسـاء: ٤١] قـال:

«**حسبك الآن**»، فالتفتُ إليه فإذا عيناه تذرفان. وكان الخليفة عمر الراشد رضي الله عنه يُزار اليوم واليومين من أثر القرآن، وتحكي زوج عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان يبكي طويلاً عند قراءة قول الله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧] ويقول: ما أدري في أي الفريقين أكون! وكان بعض السلف يشتدُّ نحيبه وهو يقرأ ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] وإذا صلحت القلوب جرت منها هذه الشواهد في كل حين. ومن عني بطهارة قلبه، وعظَّم كلام ربه تعالى، وأجلّ شرعه وسار وفق منهجه، وسأل الله تعالى ملحّاً أن يشرح صدره لقي أمانيه ولو طال الطريق.

سورة الممتحنة

• **علَّمتني سورة الممتحنة**: أنَّ بناء العقائد هو الأصل في تأهيل النفوس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ نزلت هذه السورة بناءً على موقف حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه حين حاول أن يبلِّغ قريش بأن رسول الله ﷺ يريد حربهم، وعزم على ذلك وهو من كبار صحابة رسول الله ﷺ، واعتذر رضي الله عنه بأنه لم يكن له يدٌ عند قريش من قرابات، ونحو ذلك بخلاف غيره، فأراد أن يضع له بهذا الإعلام نوعاً من الرصيد استعداداً لقادم الأيام، فنزلت هذه السورة تعيد البناء العقدي وتؤصله من جديد، وتبني التصوُّرات من خلال ذلك المعنى الكبير، وتبيِّن لهم حقيقة القوم ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ وكل قول

أو عمل لا يجــري وفق هذه الشــريعة يصيبه الخلــل، وتجري فيه الفوضى إلى أوسع مدى.

• **وعلّمتني**: كيف يتعامل الإســلام مع المخالف ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ هــذه الآية تبيّن لك أنك تتعامل مع الكافر غير الحربي بكل أنواع الود والتقدير والاحترام ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ كل أنواع البر إلّا في شيئين: لا تشاركهم في أعيادهم بإجماع العلماء، ولا تبدؤهم بالسلام، وما عدا ذلك فلا حرج، بشرط أن يقوم في قلبك بغض ما هم فيه، ودعوتهم إلى دين الله.

• **وعلّمتني**: أنّ حمل هذا الدين رسالة كبرى تحتاج إلى تضحيات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ الداخل للإســلام والمريد له والمهاجر من أجله يجب أن يدرك أن ثمة أثقالاً تحتاج إلى هموم الناهضين، ولا يكون إســلام إلّا بهــا ومن خلالها، وقبوله لها دليــل على اســتعداده الكبير لحمل تكاليفه والشــرف بها

وتمثُّلها في واقعه، ونشرها بعد ذلك في العالمين. وأعظم معالم تفوُّق ذلك الجيل الذي رافق النبي ﷺ قدرته على حمل هموم دينه، وصناعة الحياة من خلاله في كل شيء.

سورة الصف

• **علَّمتني سورة الصف:** أنَّ موافقة الظاهــر للباطن من أعظم معالم المسلم الصادق في الطريق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ ومن فقه المؤمن ألَّا يتبنَّى فكــرةً أو رأياً أو قضيةً إلَّا ولهــا واقع تطبيقي في حياته وســلوكه، وأي خصام بيــن الظاهر والباطن هو من ســلوك المنافقيــن، وقد كان بعض السلف لا يقول قولاً إلا وله رصيد من العمل، محاولة جادة في التخلص من هذا الخلق المشــين، وفي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**يُجاء بالرجل يوم القيامــة، فيُلقى في النار فتندلق أقتابه، فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه، فيُطيف به أهل النار فيقولون: يا فــلان! ما أصابك؟ ألم تكــن تأمرنا بالمعروف وتنهانــا عن المنكر؟ فيقول: بلى! قد كنــت آمركم بالمعروف ولا آتيــه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**». وهو درس ألَّا نكون منفصلين عن الحقائق يوماً من الدهر.

• **وعلَّمتني:** أنَّ الإخلاص والجماعة من أعظم مفاهيم دين الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ ۝٤﴾

مشهد مدهش لإنسان يحمل راية الجهاد ويترك كل شيء، ولا يريد سوى الله تعالى، وحين يشارك يدرك دور الجماعة. العمل لدين الله تعالى وحمل رايات الجهاد في سبيله، والشعور بالوحدة والقيام بواجباتها من أعظم الأعمال الجالبة لمحبة الله تعالى ورضاه، وكم من تخصص ومجال وفكرة وقضية ومشروع تنتظر مشاهد الجهاد وتتوق إلى حُمَّال رايات! فخذ حظك من الجهاد، وابذل وسعك في بلوغ محبة الله تعالى ورضاه من خلال هذه المعاني الكبار.

• **وعلَّمتني**: أنَّ التجارة مع الله تعالى أعظم التجارات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ ﴾ وأخطر ما على الإنسان مفاهيمه وأفكاره وتصوراته. وكم من تنافس محموم على فانية لا أثر لها في مستقبل الأيام! ومن قرأ هذا النص وأقبل على معانيه استطاع أن يصنع لنفسه موقعاً، ويكتب لها تاريخاً، ويدوِّن لها ذكريات في مستقبل الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ لله تعالى أنصاراً يقومون بمنهجه، ويثرون واقعه، ويكتبون حظوظه في العالمين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ۝١٤ ﴾ وأنصار

الله تعالى هم المؤمنون به، حُمّال دينـه ومنهجه، أنصار الله تعالى هم الذيـن يبذلون أفكارهـم وأوقاتهم وأموالهم ومشـاعرهم في دين الله تعالى، ويرون ذلك لا شـيء مقابل الاصطفاء الذي نالهم، والاختيار الذي جرى لهم، والعون الـذي رافقهم. أنصـار الله تعالى هم الذين يضحُون ويبذلون ويسهرون ويصنعون كل شـيء، ولا يريدون مقابلاً من مال، ولا عائداً من شـكر، ولا رسـالة تقدير، يعملـون لله تعالى فحسب. ومن توفيق الله تعالى لإنسـان أن يكون ضمن هذه الفئة التي اصطفاها الله تعالى لدينه ومنهجه وبلاغ رسـالته فـي العالمين. وكل حسب وسعه وطاقته وتخصُّصه، ولن يعدم مجالاً أو فنّاً يقدم من خلاله هذا المعنى الكبير.

سورة الجمعة

• **علَّمتني سورة الجمعة**: أنَّ بعثة الرسل من أعظم المنن على الأمة ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ مهمة الرسل بناء الأفكار والمفاهيم والتصوُّرات من خلال التعليم، وأعظم أدوار الأنبياء تحويل تلك الأفكار والمفاهيم والتصوُّرات إلى برامج عملية من خلال مشروع التزكية. ولن تتخيَّل الأثر الكبير الذي صنعه الأنبياء في واقعهم إلا إذا قرأت قول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾! لقد جاء ﷺ إلى أمة تعبد الحجر وتصنع كومة من التمر، فتتعبَّد لها، ثم إذا جاعت أكلتها، وتحلب الشاة في كومة تراب وتقوم لها مجلَّةً راغبةً وراهبةً، وكان الواحد منهم يئد ابنته ويدفنها خشية العار، حتى إذا جاء رسول الله ﷺ، فصنع من تلك الأجيال ما لم يتكرر في التاريخ. ومن فقهك ووعيك أن تستثمر هذه المنة، وتوظفها في بناء نفسك وتصحيح مفاهيمك وبناء مستقبلك الكبير في الدارين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل علم ما لم يتحوَّل إلى عمل فلا قيمة له في شيء ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا

بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ من يعلم ولا يعمل كالحمار لا فرق! الحمار يحمل كتباً وتثقل كاهله وينوء بأثقالها، ولا أثر لها على حياته في شيء، والذي يعلم ولا يطبّق لا فرق بينه وبين حمار أهله في شيء. لقد باتت المعرفة اليوم في واقعنا كحوت الفتنة والابتلاء الذي جرت عليه الفتنة ليهود بني إسرائيل في الكثرة، وإذا كان الحوت يأتيهم في يوم سبتهم، فالمعرفة تأتي شُرَّعاً في كل لحظة، ولا تصنع فينا جديداً. في زمان التقنية يمكن للإنسان الواحد أن تعرض عليه في اليوم الواحد مئات المعارف والمعلومات الضخمة التي تبني مستقبله، ثم لا يكاد ينتفع بها في شيء، وكم من تأتيه معرفة تهز الوجدان في مقطع صوتي أو كتابي عن عواقب الحرمان لأكلة الربا، وحلول لعنة الله تعالى على المتهاجرين مثلاً، فيجهد في تحويلها إلى كل من لديه من المتابعين دون أن يمنحها سمعه وفكره فضلاً أن يجري منها درساً للحياة، والذين تلقوها يصنعون فيها ما فعل صاحبهم لا فرق!.

• **وعلّمتني**: أنّ الأماني حال المفلسين ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾ واحدة من مشكلاتنا أننا ندعي ما ليس فينا، ونتوق إلى المعالي وندعها، ونريد شرفاً ونتركه زهداً وعبثاً، وقطّعت قلوبنا الأماني دون شيء. هؤلاء اليهود رغم كل المآسي التي صنعوها والعبث الذي قابلوا به الوحي

واستكبارهم على الرسل، ويزعمون أنهم أولياء الله! قريباً من هذا المعنى من يزعم أنه شـريف من بيت النبـوة، ويبني على هـذه الصلة قوانين وأنظمة لا علاقة لها بذلك المعنى في شيء، وربما هو ذاته لا علاقة له بسنة نبيه ﷺ وتحكيمها في واقعه إلا مجرد الانتساب. والدعاوى ما لم يقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء! ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

• **وعلّمتني**: أنَّ الانشـغال بالدنيا من أكبر المشكلات التي تواجهنا ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾ هذه واحدة من المشـكلات التي تطاردنا في كل حين، وما أكثر الحقائق التي مرّت بنا في كتاب الله تعالى عنها! وما أكثر بحثنا وشوقنا إليها! وإذا كان هذا المنظر في زمن رسول الله ﷺ ومع صحابته رضوان الله تعالى عليهم، فما الشـأن بغيرهم من الأمم. إن من فقه الإنسان أن يعيد تلك القاعدة الكبرى في سورة القصص على مسمعه وفكره حتى تكون ميزانـاً ضابطاً لكل تصرفاته ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧] وهي عاصمة بإذن الله تعالى من كل خطأ، وآخذة بالإنسان إلى الطريق الصحيح.

سورة المنافقون

• **علّمتني سورة المنافقون**: أنَّ للمنافقين صفات لا تكاد تنفك عنهم البتة ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ يكذبون، ويشهدون زوراً، ويحلفون بهتاناً، ويتقلّبون ألف مرة في إيمانهم وكفرهم، متملّقون في ألسنتهم يطربك حديثهم وكلامهم، وتأخذك الدهشة من جمالهم، غير أنهم في الوقت ذاته كخشبتك التي على جدارك لا تصلح أن تربط فيها حمارك فضلاً أن تستفيد منها في شيء ينفعك في الدارين. ويكفي كل عاقل أن يقرأ هذه الصفات، ويشد رحلهُ عن البوار والظلام قبل الفوات.

• **وعلّمتني**: أنَّ المنافقين أكبر عدو للإسلام والمسلمين ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ فإن قلت: من هم هؤلاء المنافقون؟ فهم الذين يصلُّون

معك، ويشاركونك في صيام شهر رمضان، ويحجُون بيت الله الحرام، وهم في الوقت ذاته أكبر خصوم الإسلام وألد أعدائه، وقد عاشَ ابن أبيّ ابن سلول في زمان رسولك ﷺ وكان يصلي معهم، ويذهب ويأتي، وهو الذي عاد بثلث الجيش في أُحُد يريد فشل الإسلام والمسلمين، واتهم بيت النبوة، فخذ حذرك من عدوك الحقيقي، وقد قال لك ربك: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ ولو أنك انتظرت أيام الأزمات والفتن فستسمع سمّاً زعافاً يخرج منهم تجاه الصالحين والمصلحين، هم أول من يتّهم النيات ويخوّن في الأمانات، ويثير شغباً في كل مجلس، لا كثّرهم الله في زمان ولا مكان! وتأمل ما معك من نص في وصف القوم ترى الحقائق رأي عين ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

• **وعلّمتني**: أنّ الانشغال بالأموال والأولاد مؤذن بالخسران ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ ولدك ومالك من نعم الله تعالى عليك، ونعم الله تحتاج إلى حسن استقبال ورعاية وشكر وإجلال، فإذا حرصت على مالك من أين يدخل عليك؟ وكيف دخل؟ وحرصت على سلامته من

الغش والربـا والفوضى، ثم أغثت به من حولك مـن المحتاجين فقد توقَّيت الفتنة، وخرجت من خوف اللهو به، ومثل ذلك ولدك إذا عنيت بتربيته وتعليمه وتأهيلـه على الصلاح وجهدت فـي بنائه، ولم يقف بينك وبين دين الله تعالى كان فـأل خير عليك في الدارين. وغير ذلك هو ما أشار إليه تعالى، ومثلك أوعى بالنجاة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإنفاق في سـبيل الله تعالى مـن أعظم القربات ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾ وإنَّك لتقف مدهوشـاً أمام هذا النص، حين يتأسـف هذا الفائت أول ما يتأسف على عدم نفقته في سـبيل الله تعالى، وعدم توظيفه للمال في الطريق الصحيح! ومن قرأ أحاديث السنة في ذلك عرف قدر هذه القضية يوم القيامة، وعرف ما أشار إليه أسف هذا المفرط، وفي مسـند الإمام أحمد ـ وصحَّحه الألباني ـ من حديث عقبة بـن عامر رضي الله عنه قال ﷺ: «**كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة حتى يقضى بين الناس**». وقد تعددت اليوم موارد النفقة على دين الله تعالى في كثير مـن الأوقاف والأصول الثابتة في العمل الخيري فضلاً عن رعاية الفقراء والمسـنين والأرامل والأيتام والمساكين، غير أنَّ الموفَّق من وفَّقه الله تعالى، ولا حيلة في المخذول المصروف عن سبل التوفيق والنجاة.

سورة التغابن

• **علَّمتني سورة التغابن**: أنَّ قـراءة التاريخ وسـير الغابرين منهج للحياة ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٦ ﴾ صور كثيرة ومعادة ومكرورة في كتاب الله تعالى لأمم رفضت الحق وأصرَّت على الباطل واستعلت على الذكرى، وأبت إلَّا الفوضى والعناد، ثـم هي حكاية مـن حكايا التاريـخ، وقصة للعظـة والعبرة فحسـب، وهي أحوج ما تكون للقراءة والتأمل، ومعرفة الأسباب التي أودت بهم لهـذا الضياع والخذلان، وفي المقابل فئات كثيرة عاشـت أجواء المحن والصراع، وبقيت مؤمنة صابرة محتسـبة حتى لقيت الله تعالى وهي على الطريق، وهي أحوج ما تكون كذلك للقراءة والإمعان. وكل تاريخ لا يقرأ من خلال هذا المنظـار، فلا ثمرة فيه ولو كان ألف قصة وصفحة وذكرى!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ القرآن هدى للعالمين ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨ ﴾ سأدعك مع هذا الوصف الرباني لكتابه ﴿ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾ أدعك تقرأ مرة ومرتين وألف حتى يتخلل قلبك ويغشـى مشاعرك،

ويأخذ حظه من روحك. كتاب الله تعالى نور يقشع الظلام ويدفع الأوهام ويجلّي الحقائق، ويذهب الغشاوة عن الأبصار والقلوب، ستقرأ في هذا النور ما دور الوحي في بناء الإنسان! ومن أين تأخذ الحقائق! ومن هو عدوك الحقيقي؟ وما معيار الصديق الصالح من غيره؟ وما حقيقة الدنيا بالنسبة للآخرة؟ وما علاقة العقائد الكبرى بقضايا الرحم والأخوّة والجوار والصدقات؟ ستعرف لماذا جئت إلى هذه الدنيا؟ وما دورك وواجبك؟ وإلى متى ستظل فيها؟ وإلى أين ستغادر؟ ستعرف تماماً كيف تعامل والديك؟ وما دورك في أسرتك؟ وستعرف حينها حقيقة النور وستعرف كل شيء!.

• **وعلّمتني**: أنَّ الإيمان والعمل الصالح مؤذن بالحياة ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩﴾ تخيَّل أنك ستلقى الله تعالى يوم القيامة، وستوزن أعمالك كلها، وستأخذ كتابك بيمينك أو شمالك، وكل ذلك بناءً على عملك وجهدك وتعبك، وكم من فَرِحٍ مسرور! وكم من مغبونٍ في عرصات ذلك اليوم! ولا طريق للنجاة إلا بالإيمان بالله تعالى والعمل الصالح ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ومن فقِهَ هذا المعنى جَهِدَ ألّا يلقى الله تعالى إلّا متزوداً بالصالحات.

سورة الطلاق

• **علَّمتني سورة الطلاق**: رعاية دين الله تعالى للإنسان وتنظيم حياته وعـلاج مشـكلاته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢﴾ من جمال هذا الدين وأناقته ويسـره وكماله أنَّه شرع الطلاق، فقد يكون هو الحل الأسـلم والأرضى والأجمل للطرفين، وحين شـرعه أبقى فيه مواطن مدهشـة كبقاء المرأة بعـد الطلاق في بيتهـا طيلة أيام العـدة، وحرَّم إخراجها، واعتبر ذلك من تعدِّي حـدود الله تعالى، ثم إذا بلغت النهاية فالرجل مخيَّر بعد ذلك بين البقاء والإمساك، حتى تعلم أنك أمام دين يُنظِّم كل شيء، ويرعاه في صور مدهشة من الأناقة والجمال.

• **وعلَّمتني**: أنَّ تقوى الله تعالى أعظم مصادر التوفيق ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ٣﴾ ثـمـة آثار مدهشـة للتقوى

تحتاج إلى إعادة قـراءة، حين تتقي الله تعالى يجعـل لك مخرجاً من قلقك ومشكلاتك وظروفك الصعبة. تتقي الله تعالى، فيرزقك من حيث لا تحتسب، يرزقك مالاً حلالاً طيباً هنيئاً، ويرزقك زوجة صالحة رائعة مدهشة، ويرزقك ذرية صالحة، ويرزقك وظيفة مناسبة، ويرزقك خلقاً جميلاً، وفألاً عريضاً وأملاً لا يـكاد يفارقك. تتقي الله تعالى، فيرزقك الصبر والطمأنينة والراحة والاسـتقرار. تتقـي الله تعالى، فيرزقك من حيث لا تحتسب ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ تتقي الله تعالى، فيغفر ذنبك ويكفر سـيئتك، ويعفو عنك، ويزيد أجرك، ويرفع مقامك، ويتجاوز عنك، ويجري لك الخيـر كما تريد. هذه بعض آثار التقوى في حياتك. فـإن قلت: ومـا التقوى؟ فهـي: طاعتك لربك، وتعظيمك لشعائره وحرماته، وقيامك بواجباته تعالى.

• **وعلّمتني**: أنَّ التوكل أعظم مصادر الأمن ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ حسبك أي كافيك، حين تتوكل على ربك يكفيك شرَّ نفسك ويقيك ظروف واقعك، ويفتح لك آفاق الخير في الدارين. حين تتوكل عليه يتولاك فينصرك ويخذل عدوك، وكلّمـا صنعوا عائقاً في طريقك ردَّه الله تعالى عليهم، وكلّما جمعوا رأياً وفكرة حولك نثرها الله تعالى وبدَّد أحلامهم، ويمضي الزمان وأنت في مأمن منهم؛ لأنّه تعالى تولّاك فكفاك من كل شـيء. هذا التوكل الذي يكفيك الله تعالى فيه كل هم وقلق وألم مشروط ببذل السـبب، فقد كان نبيك ﷺ أعظم المتوكلين،

وكان يلبس درعه في الحرب، ويأخذ كافة الأسباب، ثم يدع الأمر بعد ذلك إلى علّام الغيوب.

• **وعلّمتني**: جمال الإسلام وأناقته ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝٦﴾ في مرات كثيرة يأتي الطلاق في أجواء مشحونة بالغضب، ومع ذلك يذكّر هذا الدين بالجميل ويوصي به ويحضُّ عليه، لا تتركوهنَّ يقاسين الحياة والوحدة ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ فهذا هو الأليق بالأيام التي كانت بينكم، والحب الذي جرى في مشاعركم، والحياة الجميلة التي تمّت في رحاب تلك الأيام. سلُّوا خواطرهن بالسكن واجعلوهنَّ بالقرب منكم، ولا تدعوا الوحدة تأكل قلوبهن ومشاعرهن. وإن كانت حاملاً فواصلوا الطريق، أتمُّوا مشوار الحياة الجميل، أبقوا حبال العشرة والحب والود تأخذ مداها من النفوس. دعوها ترضع ولدها، دعوها تتسلّى عن فراقكم بريحه وأنسه، لا تجمعوا عليها فراقين: فراقكم وفراق ابنها فلذة كبدها فتموت مرّتين. يا لجمال هذا الدين وروعته لو كنا نقرأه بوعي!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإسلام يبني الفأل والأمل في قلوب العالمين ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ هذه بشارته وفأله وأمله ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ لا تقلق! الذي خلق الكون هو الذي يدبِّره! والذي قدَّر المرض هو الذي يشفيه، والذي جعل من قدرك هذه الظروف والعقبات والمصائب والأزمات هو الذي جعل كذلك في قدرك أفراحاً ولحظات مرح وأنس وسعادة، فإن تقدَّمت تلك فالأخرى في الطريق إليك ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾. لا تقلق.. أحلامك القادمة قاب قوسين أو أدنى! غداً سيطرق باب الفرح، وسينجلي الظلام، وستعود الحياة من جديد، ويحكي كلانا ذكريات الأمس القريب! لا تقلق.. فما من ليل إلا وأعقبه فلق الفجر! وما من ضيق إلا وبعده فرج، والشمس تؤوب للغروب وننتظر صبحها في اليوم الثاني بشوق، وإذا تأزمت الحياة ذقنا طعمها الحلو، والآسن لا يخلق فينا جديداً.. غداً سيأتي الغيث، وسيعود الربيع، وسنعود نحكي حبنا القديم من جديد!.

سورة التحريم

• **علّمتني سورة التحريم**: لطافة خُلُقِ النبي ﷺ وحسن معاشرته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١﴾ كان ﷺ يمرُّ على بعض نسائه بعد العصر ويشرب عندها عسلاً، فتآمرت عليه بعض زوجاته، فقلن لبعضهن: إذا جاءك قولي ريحتك مغافير (ريحة كريهة) حتى يحرمنه من المرور عليها، فحرَّم على نفسه شرب العسل مراعاةً لخاطرهن، فيا الله ما ألطف أخلاقه ﷺ! وما أجملها! وما أروع بيوتاً تجري فيها هذه المعاني من الحب والمزاح والجمال.

• **وعلّمتني**: مسؤولية الإنسان في بيته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ زوجك وولدك وأهلك هم كل شيء! ذلك البيت اللطيف الذي تكوّن منك ومن زوجك، وأصبح بيتاً مبهجاً وعامراً بالجمال، ينبغي أن يعيش على هدى هذا الدين، ويُروى من شريعة الله تعالى، ويكون جزءاً من الحياة لا نشاز فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ ادفعوا عنهم العذاب بكل

وسيلة ممكنة، أعينوهم على أنفسهم، لا تمكّنوا الشيطان منهم فيضلون الطريق. تحملوا وعثاءهم وبعدهم، واصبروا على تخلفهم وتأخرهم، وحاولوا مراراً لعل يوماً يأتي بالأفراح من جديد. لا قدرة لهم على تلك النار ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ ولن يدفعها عنهم ويقيهم منها بعد فضل الله تعالى ورحمته سوى حرصكم وجهدكم ودعاؤكم فلا تتركوهم للضياع. ابدؤوا وتحملوا وواصلوا الطريق، وصابروا على وعثائه حتى تحين مواعيد الفرح ولو طال الطريق.

• **وعلّمتني**: أنَّ التوبة هي الطريق الأمثل للنجاة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ توبوا إلى الله تعالى، أقبلوا إليه، تخلّصوا مما لحقكم من آثار المعاصي والأخطاء التي علقت بكم، وسيتولى الله تعالى بعد ذلك شأنكم من جديد. حين تتوبون توبوا توبة نصوحاً خالصة وجادة وعازمة على الوصول، دعوكم من توبة المترددين، قرروا ألّا تعودوا مرة أخرى للوحل وتضعوا قلوبكم ومشاعركم في الطين، خذوا حظكم وصابروا الطريق، فالشهوات التي تلقونها كالسراب لا فرق، ترونها فترون فيها كل شيء، وحين تصلون إليها يموت فيها كل شيء. تأكّدوا أنّكم حين تتوبون موعودون بكل شيء، تُغفر

ذنوبكم، وتمحى سيئاتكم، ويتجاوز الله تعالى عن أخطائكم، وتعودون إلى الله تعالى من جديد، وتلقون أمانيكم كما تشاؤون.

• **وعلّمتني**: أنَّ جهاد الكفار والمنافقين واجب شرعي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٩﴾ العدو سيظل عدواً، ومن الوعي أن تدرك من هو عدوك أولاً، ثم إذا عرفت خصمك، فتجهَّز للمعركة وكن بطلها، ولا تفتر عن جهاده مهما كان حالك وحاله، فالله تعالى يقول لنبيه، ويقول كذلك لأتباع الأنبياء إلى يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٩﴾ وأكثر المعارك اليوم معارك الشهوات والشبهات وسيفها البتار محاضن العلم، ومن أراد أن يبارز القوم ويصنع فيهم شأن الفالحين، فلا يتخلَّف عن ثغر العلم، فهو حصن المعركة الذي لا ينهدم.. ومن قوي عليك لطمك في عرض الطريق، وأمة لا تملك أفراداً قادرين على صناعة مباهج العلم ستظل تدير خدَّيها لعدوها حتى يدعها عبرة للشامتين.

• **وعلّمتني**: أنَّ الهداية بيد الله تعالى ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠﴾ هذه سنة

الله تعالى أنَّ القلوب بين أصبعين من أصابعه تعالى، وقد جهد نبيُّنا ﷺ في هداية عمّه من جحيم النار وإلى آخر اللحظات، ومات مصرًّا على الضلال، فقال تعالى مسلّياً له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، تخيَّل أنك أمام رسـولين يقودان أمة ويصنعان فألاً فيها وزوجة الواحد منهما في بيته وضجيعته على فراشه، وهي في الوقت نفسه كافرة خائنة لمنهج الله تعالى ومنهج رسوله حتى تعلم أنَّه ليس لك من أمر الهداية شيء، وحسبك بذل الأسباب، والله تعالى يتولى شأنك في الدارين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإرادة تصنـع فـأل الداريـن ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾﴾ هـذه امرأة آمنت بالله تعالى حقيقةً ومعنى، ذاقت هذه المرأة حقائق الإيمان، فاستعلت على مباهج القصور وأحداث العاجلة. كانت تعيش في قصر الطاغية وعلى وثير فرشـه وفي ردهات بلاطه، ولكنها كانت تعيشها جسداً بلا روح وصورة بلا معنى، تعيش في بلاط الملوك وتسأل الله تعالى ملحّةً ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾، تتزوّج ملـكاً وكبيراً ومعظماً وتسـأل الله تعالى ملحّةً ﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ صورة مدهشـة إلى أقصى مدى! صـورة تصلح للذكرى مـدى العمر، وهي رسالة لكل من يقول: لم أجد بيتاً مناسباً ولا بيئة جاذبة ولا أعواناً على الفضيلة! صـورة تصلح لدراسـة صناعة القرار فـي الأوضاع الصعبة

والظروف القاسية والأحداث الضخمة! صورة تصلح نموذجاً ليس اليوم ولا غداً، ولكن للحياة كلها من اليوم الذي أبعث لك فيه بهذا الحرف (في ليلة الثاني والعشرين من شهر رمضان لعام ١٤٤١هـ) إلى يوم القيامة دون استثناء! فيا أسفاً على امرأة تركت الاستقامة؛ لأنَّ زوجها لم يكن على الطريق! ويا أسفاً على فتاةٍ كانت تموج جمالاً بدينها ومنهجها، ثم تخلَّت؛ لأنها لم تجد صديقات على ذات الطريق! ويا أسفاً على رجال تساقطوا واحداً تلو الآخر وقد كان لهم في امرأة ألف قدوة ومعنى!.

سورة الملك

• **علَّمتني سورة الملك**: أنَّ مدار الأعمال على الإخلاص والمتابعة ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ وأحسن العمل: أخلصه وأصوبه، وكل طريق لا يأتي مـن هذا الباب فمردود على صاحبه لا قيمة له في شيء! يجب أن تتأكد من عملك، وأنه لله تعالى وحـده، وعلى منهـاج النبـوة، والخطأ في واحـد من هذين الشـرطين ضياع وضلال، وما حاجة الناس اليوم إلى شيء حاجتهم إلى الإخلاص، وكم من الأعمال أضاعها الرياء وجعلها هباءً منثوراً، وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال ﷺ: «**إنَّما الأعمال بالنيَّات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحهـا فهجرته إلى ما هاجر إليه**». وقـد بلغك أنَّ أول من تُسَعَّر بهم النار ثلاثة: مجاهدٌ، وحافظٌ للقـرآن، ومتصدِّقٌ؛ فقال الله تعالى يوم القيامة للأول: كذبت، جاهدت ليقال: جريء شجاع، وقد قيل، وقـال للثانـي: كذبـت، قرأت القرآن ليقـال: قارئ، وقد قيل، وقال للثالث: كذبت إنَّما أنفقت ليقال: جواد، وقد قيل!. فاصدق في

نيَّتك وسل الله تعالى أن يُقبل بك عليه، فالناس مثلك لا يصنعون شيئاً لأنفسهم فضلاً أن يمنحوك ما ترجوه.

• **وعلَّمتني**: قدرة الله تعالى في خلق الكون وإبداعه ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾ وإنك حين تتأمل في هذه السماء بطولها وعرضها لتصيبك الدهشة وأنت لا ترى على هذا الاتساع شيء من الخروق في شيء منها، بل هي متسقة مبهجة مدهشة إلى أقصى مدى، في حين يقف العالم اليوم عاجزاً أن يبني مبنى تسكنه دون عمود يقله ويقيه من السقوط، وكل ما اتسع المبنى زادت فيه الخروق وأصبح أكثر عرضة للسقوط. فيا الله ما أبدع هذا الكون! وما أروعه وما أجمله! وما أوضح قدرة الله تعالى فيه! ولعل هذا المشهد يعيد الإنسان إلى ربه فيعظمه ويجله ويقدِّس أمره ويقوم بواجبه، وإلَّا فما قيمة الحوقلة على آيات الله تعالى الكونية بلا عمل وعظة وعبرة!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل أسف في النهاية لا ينفع صاحبه شيئاً ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ وقد كان للأسف زمن صالح فيه وقد فات! وهؤلاء يتباكون ولكن بعد فوات زمان الاعتذار. ومازلنا في زمان المهلة وقد

أطلعنا القرآن على أسف القوم واعترافهم بالفوات، ومن بلغته الذكرى فحريٌ به أن يستثمرها فيما يعود عليه بالخير في الدارين.

• **وعلّمتني**: أنَّ العلم هو الخشية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١٢﴾ كم من علم لا ثمرة له! وما كُل ما يُقرأ يعود بالنفع على صاحبه! وهذا المعنى لا يقاس بكثرة محفوظ ومقروء، وإنَّما يقاس بأثر ذلك العلم على قلب صاحبه، ودوره في يقظته، وأثره في نفسه، وعلى مثل هذا المعنى تُجل مقامات الكبار. فحسبك من العلم ما يعرّفك بالله تعالى، وتجل شريعته، وتقدّس وحيه، وتقوم له بكل شيء، وما دار على هذا المعنى فهو العلم، ولا تنشغل بما عداه، فالحياة أقصر من ذلك بكثير.

سورة القلم

• **علّمتني سورة القلم**: أنَّ الأخلاق من أعظم معاني الدين ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ وهـذا وصف الله تعالى لنبيه ﷺ، ومن قرأ سيرته عرف هذا من أول أسطرها، ولا يحتاج أن يُتكلَّف ويُنقَّب عنه حتى يبلغه، ولو لم يكن من ذلك إلا قول خديجة في باكر الإسلام حين أقبل إليها خائفاً من لقاء جبريل: كلَّا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وقول عائشة رضي الله عنها وهي تحكي أنه ﷺ صلَّى آخر حياته جالساً بعدما حطمه الناس. ومن رزقه الله تعالى شيئاً من ذلك فقد رزقه كل شيء.

• **وعلّمتني**: أنَّ عدوك لا يرضى منك إلا بالسقوط والإخفاق ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ الإسلام شيء والجاهلية شيء آخر، والحق شـيء والباطل كذلك شـيء آخر، ولا علاقة بينهما إلا كعلاقة الظلام بالنور فحسـب. وأكثر ما يقلق عـدوك قيمك ومبادئك التي يصنعها الوحي، وهي كافية في قتلهم ألف مرة؛ لأنَّه لا واقع لهم وأنت على منهاج الحق، وهم يدركون تماماً ما معنى الإسلام؛ فيأتون

في مرات يطرحون حلولاً يسمُّونها وسـطاً، يقربون بها المسافات بين النور والظلام والحقائق والأوهام، ولا سـبيل إلـى ذلك، وكل خطوة باتجاه الباطل أو باتجاه منتصف الطريق كمـا يقولون هي في المقابل أخذ من قيم الحق ومبادئه وتنازل عن الوحي، ورضا بالظلام فحسب. وكل أمانيهم أن تقبل بالفكرة قبل أن تجري لها النقاش، وهيهات!.

• **وعلّمتني**: أنَّ الشـكر أعظم جالب للنعم، والنكران أول الطرق للخسران ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾
فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟
عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾
وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل
لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾
قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ أعطاهم
الله تعالى جنة ورزقهم فيها ووسّع عليهم، ولكنهم ككثيرين لم يدركوا أنها نعمـة من الله فضلاً أن تكـون قضية ابتلاء واختبـار! تآمروا على صرمها مبكرين حتى لا يتمكّن أحدٌ من الاستفادة منها، واختاروا الفجر الباكر محاولة جادة في دفن تلك الخيـرات قبل أن يراها المحتاجون، فأجرى الله تعالى عليهم بأسـه وعاملهم بنياتهـم فمحقها، فأصبحت الجنان الخضراء كالصريم. وهذا ليـس مخصوصاً بالمال وإنَّما يجري في كل نعمة أجرى الله تعالى لك منها شيئاً، سواء كانت نعمة وقت أو

مهارة أو تخصص أو فن أو طاقة أو فكرة حين تضنُّ بها على من حولك، قد يجري عليك ما جرى على أصحاب الجنة لا فرق.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الله تعالى يمهل ولا يهمل، يعطي ويرصد في الوقت ذاته النهايات ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ لله تعالى سنن لا تتخلَّف، يجريها في الناس تباعاً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد! من تلك السنن أنَّه يمد الإنسان بالنعم، فيظن المنعم عليه أن ذلك رضاً، وفاتهُ أنَّه استدراج! ويمضي يعبث ويلهو دون وعي حتى تحيق به النهايات وتجري عليه السنن، ويصبح في فلك السابقين من أمثاله، فيعود درساً للأمة من جديد. وفرق بين نعمة يجري الإنسان فيها مشاهد البذل والعطاء فتلك علامات رضاً بإذن الله تعالى، ونعمة يمسك بها الإنسان، ويضن بها على غيره فذلك هو الاستدراج فتأمل نفسك، واعرف أين أنت من الفريقين!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ عدم الصبر حرمان من الخيرات ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ غاضب نبي الله تعالى يونس عليه السلام قومه فتركهم وخرج فألقاه الله تعالى في البحر، فنال ما نال

بســبب ذلك، ولولا لطف الله تعالى به لضاع في لجـــج البحار، وهو درس يذكّر به تعالى نبينا ﷺ ويأمره ألّا يكرّر الطريق ذاته، ويدله على الصبر أوسع الطرق للخيرات. وما كان هذا الخلق ـ أعني الصبر ـ في فكرة أو مشروع أو قضية أو شيء من شــأن الإنسان خاصّاً أو عاماً إلا لقي الخيرات، وقد قال الله تعالى في جــزاء أصحابه ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] ويكفي هذا الخلق شرفاً ومعنى!.

سورة الحاقة

• **علَّمتني سورة الحاقة**: عواقب المعصية وآثارها على أصحابها ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠﴾ ثمود وعاد وفرعون والمؤتفكات كانوا ملء التاريخ فصاروا درسه الذي يُكرَّر مدى الدهر! وهذا شأن المعصية في الأمم والأفراد لا فرق! وهي أخطر ما على صاحبها، وعواقبها قد تكون عاجلة، يحرم بها الإنسان من التوفيق، ويدخله الشتات، ويفرِّق أمره وشأنه بعد أن كان مجتمعاً، ويُسلب بركة وقته وماله وفكره، ويضيع شمله، وتفتح عليه أبواب سوء التوفيق، ومنها ما هو عند الموت لا يتمكن معه الإنسان من الشهادة، ومنها ما هو في القبر، ومنه ما هو في العرصات. ومنها ما يصحب صاحبه حتى يدخله جهنم وبئس المصير، ومن عرف هذا أدرك نفسه قبل الفوات.

• **وعلّمتني**: أنَّ كل شيء سيأتي مكشوفاً يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ تستطيع في زمانك وأيام دنياك كلها ألَّا يرى الناس منك إلَّا ما تريد أنت فحسب، والعالم كله بكل ما يملك أعجز من أن يعرف شيئاً من نيتك وباطنك، وليس لهم إلَّا ذلك الظاهر، أما يوم القيامة فكلك في العراء وأمام العالمين، ونيتك كعلانيتك لا فرق! غير أن الحقيقة أنَّ ما نجحت في ستره عن العالمين هو أول مكشوف لربك، وعليه سيجري تفاصيل الحساب والعقاب، عافانا الله وإياك من الحرمان؛ فكن في مستوى الحدث، وتعاهد ما يمكن أن تتعاهده، ولئن تلقى الله تعالى تائباً نادماً على ما فرط من زمانك خير لك من أن تلقاه بأمراض قلبك وأحداث واقعك ولا سبيل للتعويض.

• **وعلّمتني**: أنَّ الحياة تحتاج إلى إعادة بناء لمفاهيم النصر والهزيمة ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ النصر نصر القيم والمبادئ، نصر الأفكار الحرة، والمثل العظمى، نصر الأهداف التي بناها الإنسان لنفسه، وناضل عنها كل يوم وليلة، ويؤوب إلى سرير نومه والأحلام تتراقص في قلبه على مشاهد ذلك النصر. نصر العزيمة الصلبة التي صابر فيها على أهدافه ومشاريعه.

نصر الصبر على رمضاء الطريق وقلة الرفيق، وما عدا ذلك فهزائم، وإن عاش أصحابها ألف صورة من صور نصر الأوهام لا نصر الحقائق. فرق كبير بين نصر محدود بالدنيا، ونصر يأخذك معه للآخرة، كما هو الفرق بين هزيمة في دنيا، وهزيمة في قضية مبدأ وشرف وعز وحسنات وسيئات يوم القيامة.

• **وعلّمتني**: أنَّ الافتراء على الله تعالى أخطر ما على الإنسان ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ هذا ربك تعالى يتوعد نبيه ورسوله ﷺ أنه لو قال شيئاً من عنده لأخذه باليمين، ولقطع منه الوتين، ولعاجله بالعقوبة على ما فعل، وهذا دليل على صدق الوحي، وأن ما جاء به ﷺ حق، وفيه كذلك وعيد لكل من يفتري على الله تعالى، ويقول قولاً ليس في دين الله تعالى ولا في شريعته، وإذا كان يتوعد رسوله ﷺ، فما الشأن في غيره من المفترين المتلاعبين بدينه ومنهجه!.

سورة المعارج

• **علَّمتني سورة المعارج**: أنَّ الصبر سُلَّم الصعود ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥﴾ ما من عمل أو فكرة أو مشـروع أو قضية خالطهـا الصبر وجرت أحداثه الممتعة فيها إلا وكان أقرب ما يكون إلى التوفيق! وما تخلَّف الصبر عن شيء إلا وكان أقرب ما يكون إلى الضياع! إن الله تعالى يدعو رسوله ﷺ، وهو يتعرض لأذى قريش ألَّا يصبر فحسـب، وإنَّمـا يصبر صبراً جميلاً، والصبر الجميل صبر لا أذى فيه. المسألة فوق قضية احتمال الأذى، وإنَّما هي استعذاب الطريق الذي يسلكه الإنسـان إلى فكرته ومشرعه وقضيته الكبرى. وهذا النوع من الصبـر لا يأتي مع مجرد جهد يبذله الإنسـان لشـيء ما، وإنَّما يأتي في القضايا التي يشـعر بها الإنسان ويحسُّ بكل ما فيها ويجد روحه تأخذ منها كل شيء. جربوا هذا المعنى في أفكاركم التي تحلمون بها، وفي مشاريعكم التي تعيشون لها، وفي قضاياكم التي تسـهرون من أجلها، وسـترون كيف تبلـغ بكم إلـى أحلامكم أقرب ما يكون.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإنسان جُبل على النقص ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ من فقه الإنسان الواعي أن

يدرك ما جُبل عليه من صفات وما طبـع عليه من أخلاق. قضية الهلع في الإنسان قضية جبلِّيَّة، وأشـد مظاهر ذلك الهلع الذي جُبل عليه أنه أقرب ما يكون إلى الجزع إذا مسَّته المصائب، وإذا ألقى الله تعالى خيراً كان مانعاً جحوداً، وهذه صفات لا تليق بالكبار المتطلِّعين للدار الآخرة والراغبين فيما عند الله تعالى، والمدركين بأن هذه الحياة ميدان العمل والبنـاء، ومغالبة هـذه المعاني يأتي مـن إدراك الإنسـان لمثل هذه الأخلاق، ورغبته الجادة في التخلُّـص منها، وإصلاح ما بينه وبين الله تعالى، وإلحاح دعاء، ثم التدريب والتأهيل بما يؤهله للخلاص منها، وتأهيل النفس من خلال البذل والإنفاق والتضحية، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ والله المستعان.

• **وعلَّمتني:** أنَّ للمؤمنيـن صفـات كبرى بلَّغتهـم الأماني ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ومـن فقه الإنسـان أن يرابط على صفات الناجحين، ويأخـذ منها ما يبلِّغه غاياته، ويدفع به للنجـاح والفلاح في الداريـن، وإذا تأملت صفات القوم في هذا المقام وجدتها (العناية بالصلاة والمرابطة عليها والعناية

بحضور مشــاهدها وخشــوعها، والبــذل والعطاء لمــن حولك من المحتاجين، وأن تكون يدك وقلبك ومشاعرك وفكرك مبذولة لكل من حولــك، وأن يجلّ قلبــك وحي الله تعالــى، ويعظّــم كل ما جاء فيه ويقدّسه من خلال العمل والتطبيق، وأن يعرف لله تعالى قدره، ويقوم بقلبه من إجلاله وخشيته، وأن يحفظ فرجه عن كل حرام، ويكون أميناً في عبادته لربه مؤدياً حقه وقائماً به، وأميناً فيما بينه وبين الآخرين).

ومن فألك أن ترابط عليهــا ما بقي من عمــرك، وتجاهد عليها حتى تكون جزءاً من حياتك في قادم الأيام.

سورة نوح

• **علّمتني سورة نوح:** المعركة الدائرة بين الحق والباطل ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا
نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ
مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ
مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا
وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ
فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ
جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩﴾ ثمة معركة كبرى بين الحق والباطل، معركة العقيدة التي يديرها نبي الله تعالى نوح عليه السلام مع الخرافة والأوهام التي يديرها المخدوعون بالأوهام والخرافات، معركة تبدو فيها ضخامة الجهود والأوقات المصروفة في سبيل تلك المعركة، معركة في المقابل تبيّن أثر الأفكار المشوّهة، وكيف أنها هي كذلك تتخذ لها أنصاراً يعيشون لها ويدفعون من أجلها كل شيء. وهي ذاتها معركة الدعاة والمصلحين والآباء والمربين مع كل فكرة وقضية ومنهج لا علاقة لها بالوحي في شيء.

• **وعلّمتني**: أنَّ الطريق لا يكون سالكاً إلا من خلال منهج الله تعالى ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾ لن تتخيل آثار طاعتك لربك واستجابتك له إلا إذا تخيَّلت هذا الوعد الكريم، حين يُقبل الإنسان على ربه، فيجله ويقوم بحقه فلينتظر كل شيء، لينتظر روحاً تجري في مشاعره وهتافاً مشاعرياً يأخذ مساحته في قلبه وفكره، ينتظر استقراراً في بيته وسعادة في عمله، وحياة مدهشة في طريقه ومستقبله. والآيات تحدثك عن وعود صادقة وأمنيات ضخمة وآمال كبيرة فجرِّب أن تعود إلى ربك من خلال الاستغفار والتوبة وصدق الإقبال، وسترى أحلامك التي تبحث عنها في قادم الأيام.

• **وعلّمتني**: أنَّ ضعف تعظيم الله تعالى من أعظم أسباب الضياع ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤﴾ عتاب للمعرض عن ربه، والمصروف عن طاعته، وغير المحتفل بمنهجه وشرعه ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤﴾ هو الذي خلقك أول مرة نطفة، ثم تدرَّج بك حتى أصبحت شيئاً مذكوراً! أليس من حق تلك النعم التي مررت بها بدءاً من خلقك ومروراً بأيام صغرك، حتى إذا كنت ذا شأن في واقعك أن تردَّ جميلها وتعظِّم مسديها، وتقوم له بجميل تلك الأيام. ما أحوج قلوبنا للذكرى! وما أحوجنا للحياة!.

سورة الجن

• **علّمتني سورة الجن:** عظمة القرآن ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ من فضلك وأنت تقرأ هذا المشهد المدهش: قارن نفسك بالجن في إجلالك لكتاب ربك! تهيَّأتْ لهم فرصة واحدة وعابرة لسماع القرآن فاندهشوا من أول مرة ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ ثم سل نفسك: كم مرة أدهشك القرآن واستحوذ على مشاعرك، وصنع قرارك الكبير؟! والأعجب من ذلك أنهم عرفوا كل ما فيه، وأنّه يهدي للحق من أول وهلة ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ وهذه الحقيقة قد لا نختلف فيها كثيراً، ولكن انظر لما وراءها وستعرف الفرق ﴿فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ لحظة واحدة كانت كافية عن ألف لحظة! لحظة واحدة صنعت أضخم القرارات في حياة أولئك الجن، لحظة واحدة خلعت عنهم الكفر وألقت بهم في حياض الإيمان. ولو أنك سألت نفسك: كم مرة سمعت القرآن؟! وكم مرة اتخذت قراراً وصنعت واقعاً بناءً على ما سمعت من ذلك القرآن؟! لعرفت الفرق!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الثقة المطلقة في المجهولين والنكرات من أعظم أسباب الانحراف ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ معرفة دينك أضخم قضية في عمرك كله، وعلى قدر وعيك تكون عنايتك بها، وواحدة من أعظم المشكلات التي تواجهنا أننا نأخذ ديننا وأحكام هذه الشريعة من أي متحدث عنها، ونقبل في مرات ما نتعبد به لله تعالى عن طريق نكرات ومجهولين، فتتشكَّل لدينا انحرافات خطيرة جداً من خلال هؤلاء النكرات والمجاهيل، ونغرق وديننا أوضح ما يكون. هذه الفئة المؤمنة من الجن مستغربة ومندهشة من جنٍّ مثلهم وإنسٍ يكذبون على الله تعالى، ويصنعون الدجل في الطريق إليه، ومن عرف زمانه ورأى ما يُطرح في وسائل الإعلام عرف أن هذا أسهل ما يكون، ومن كمال عقلك ألَّا تلقي بعقلك وفكرك للأوهام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الاستقامة على منهج الله تعالى جالبة للخيرات، والإعراض عنه في المقابل موجبٌ للضياع ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ۝١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝١٧﴾ لن تتخيَّل الفرق حتى تجرِّب لذة الاستقامة على منهج الله تعالى. يذكِّرك ربك تعالى بقضية ضخمة ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ۝١٦﴾ لأسقيناهم كل شيء من الحياة، ليس في مشاعرك فحسب، وإنَّما في قلبك ووقتك وبيتك وزوجك وولدك ووظيفتك ومستقبلك، وكل شيء في عمرك، ولن تتخيَّل في المقابل إعراضك عن الله تعالى

حتى ترى التجربة في غيرك ممَّن أعرض، فلقـي الجحيم العاجل في قلبه ومشاعره، والخلاف والنزاع والشقاق في بيته وعمله، وقلة البركة والتوفيق في ماله ووقته، ومازال يصطلي بالجحيم، ولو أنه أقبل على ربه وصدق في الطريق لرأى الحياة رأي عين، ولكنَّه الإعراض.

• **وعلَّمتني**: أنَّ تقرير التوحيد وتعظيم شـأنه في قلوب العباد من أعظـم القضايا التي تحتاج إلى عنايـة ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ كل الكـون جاء لهذه الحقيقـة الكبرى: تقرير التوحيـد، وإخلاص العبادة لله تعالى، وهي أضخـم قضية في دينك وأولى الأولويات، ولو لم يكن من آثار التوحيـد على صاحبه إلَّا أنَّه أعظم الطرق السـالكة به إلى رضوان الله تعالى والجنـان لكان كافياً، وليس بعد ضياعـه إلا الكفر والخلود في النـار. التوحيد أن تدرك أن ربك هو الذي يستحق قلبك ومشاعرك وجهدك، هو فقط الذي يجيب دعاءك، وكل العالم الذي تراه محتاج إليه، هـو الذي ينفع وهو الذي يضر، هو الذي يعطي وهو الذي يمنع، هو الذي يحيي ويميت، ويرزق ويمنع، وهو الذي يمرض ويصح في الوقـت ذاته. ومن أقبل على الله تعالى عرف كل شيء.

سورة المزمل

• **علَّمتني سورة المزمل**: أنَّ الأفكار التي يراد لها أن تجتاح العالم وتغيّره وتصنع فيه الجديد تحتاج إلى روح تستعين بها على مواجهة الجاهلية ودفع كيرها من واقع الحياة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ حين أراد الله تعالى أن يدفع كيد الجاهلية والأوهام والخرافة والفوضى عن الناس بعث لها رسوله ﷺ ثم دلَّه على الطريق الذي يأتي على أمانيه الكبار، دلَّه على ربه والتعبد له، والإكثار من القيام بين يديه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ وكأنه يقول له: هذا هو الزاد الذي يبلِّغك أمانيك، وتصل به إلى مرادك من العالمين. وأنت كرسولك ﷺ تحتاج أن تحسن صلتك بربك وتقبل عليه، ثم تنتظر بعد ذلك كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من واجب الأمة أن تتقاسم مشاريعها كلٌّ فيما يخصه ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ قضية خدمتك لدين الله تعالى، وحمل منهجه، والمشاركة في توسيع دائرته وأثره مسؤولية جماعية، وتقع تبعاتها على

كل إنسان بحسبه، وليس من حق فرد في الأمة أن يقول: لست مسؤولاً عن شـيء من دين الله تعالى تبليغاً بل هو واجب على المسـتطيع فيما يحسنه. وهذا الواجب متعدد ومتنوّع، وينبغي لكل إنسان أن يشارك في المجال الذي يحسـنه، والمسـاحة التي يكون قادراً على المشاركة فيها فحسـب. وأنت ينبغي لـك أن تعرف ما تحسـنه وفنك الـذي تختاره للمشاركة، ثم تجهد في بنائه على قدر وسعك وجهدك.

• **وعلّمتني**: أنَّـك صاحب القـرار في قضية تدينـك لربك تبارك وتعالـى ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩﴾ اختيارك للحق ووصولك إليه ليس أمراً صعباً ولا كبيـراً ولا بعيد المنال، وهو أقرب ما يكـون إليك. هذا القرآن كتاب الله تعالـى بين يديك وفيه كل شـيء، ولن يكلفك في البحث عن الحقيقة زمناً طويـلاً، وهو مجرد ذكرى وأنـت صاحب القـرار ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩﴾ وليس لأحد من أمـم الأرض حجة في أنه لـم يصل إليه الحق، بل بات كل شـيء ممكناً وأقـرب ما يكون، وهو فـي النهاية صاحب القرار الأول والأخير.

• **وعلّمتني**: أنَّ كل إنسان مسـؤول في النهاية عن نجاحه وإخفاقه ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗا﴾ فنجاحك وإخفاقك

بيــدك، تقدمك وصناعة مجــدك، وكتابة حظوظك بيــدك أنت لا بيد غيرك، وفي المقابــل ضياعك وتأخرك وتخلفــك كذلك بيدك، وأنت صانع قراره في النهايات.

وهذه الآية عندما تتأملها مدهشة لأقصى مدى ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ كل شــيء تقدّمه ســتجده بأكثر مما فعلت وأعظم مما صنعت، فقط كن كبيراً واصنع لنفسك الحياة. وكن فطناً؛ فالخطوة التي تمشــيها للإصلاح، والكلمة التي تســاند بها حقاً وتدفع بها باطلاً، والابتسامة التي تشكّل بها قلب إنسان، والعطاء الذي تبني به قصور الفــرح في قلب محتاج، كلها ســتجدها في يوم أحوج ما تكون فيه للعمل والحسنات.

سورة المدثر

• **علَّمتني سورة المدثر**: أنَّ النهوض بالمشاريع واجب في حق كل إنسان، كلٌّ بحسبه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ (١) قُمۡ فَأَنذِرۡ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ (٤) وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ (٥) وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ (٧)﴾ هذه دعوة للنبي ﷺ أن ينهض من فراشه، وأن يقوم بواجبه ويحمل منهجه، ويؤدي دوره كما أمره الله تعالى، وهي كذلك دعوة للأب في بيته، والأم في حدود مسؤوليتها، والمعلم في مدرسته، والمربي في محضنه، وقائد المؤسسة في مؤسسته، وكل فيما يخصه ويحسنه حتى تتكامل الأدوار، ويقوم بناء الإسلام كما أراد الله تعالى له.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الكِبْر لا يكاد يترك فضيلة لصاحبه ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا (١١) وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودٗا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا (١٤) ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ (١٥) كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا (١٦)﴾ هذا الوليد بن المغيرة في زمن النبي ﷺ فتح الله تعالى عليه أبواب فضل وخير، فجعل له مالاً ورزقه ذرية يشهدون معه المجالس ويعينونه على أموره، ثم يعود لكبره غير شاكر لربه، متكبراً على منهجه، ناكراً لنعمه يسأل ربه الزيادة، وهو على

كفره وانحرافه وضلاله ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾﴾ وأســوأ ما يواجه الإنســان عدم اعتباره لنعم الله تعالى وفوضى في اســتثمارها، ومن وقي الكِبْر، فقد وقي أكثر الشرور أثراً على حياته ومستقبله.

• **وعلَّمتني**: تباين مواقف الناس من الوحي ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ هذا التفاوت في استقبال الوحي مرده لصلاح القلوب وخرابهــا، تعظيم الوحي وتهميشــه، فرق بين مؤمن مذعن لربه تعالى مقبل عليه معظم لــه لا يملك إلا أن يقول: (ســمعنا وأطعنا)، بخلاف المنافق والمعرض، فســيختلق لك تلك اللحظة ألف عذر.

• **وعلَّمتني**: أنَّه ليس في الحياة توقف تام ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ حين لا تتقــدم تتخلف ألف مرة! حيــن لا تقرأ تتراكم في حياتك الأوهام والخرافات والفوضى، فتعود جاهلاً لا تعرف شــيئاً. الحياة إما بذل وعطــاء وحركة وجهد، وتنتظر مــن خلال ذلك كل شيء، أو قعود وكسل، وتستقبل الفوضى والحرمان، وليس ثمة خيار

ثالث البتة. إذا أردت أن تكون مؤمناً مؤثراً في واقعك فدونك إصلاح واقعك، وتكوين عاداتك، وصناعة أحلامك. ومن أراد التخلف فليقعد ولا يحرك ساكناً ولا يصنع شيئاً عظيماً، وينتظر حينها كل صور التخلُّف والحرمان.

• **وعلَّمتني**: أنَّ خُلق الفوضى مصاحب لضعف الاهتمامات ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝٤٥﴾ كلَّما تخلَّى الإنسان عن الأهداف والقضايا الكبرى ضعفت اهتماماته وذبلت روحه وضاعت أمانيه، وحينئذٍ تجده صنو الفوضى ورفيق الضياع. كلَّما سمع حديثاً شارك فيه الخائضين، وتخرَّص في مسائل كبرى بدون وعي، وثلب في أعراض المسلمين بداعي الفراغ، وأكثر صحبته من دنيء الاهتمامات والفارغين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ النفور من الموعظة دليل شقاء ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝٤٩ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١﴾ حكى الله تعالى عن هؤلاء أنهم كلَّما سمعوا واعظاً ومذكراً بالله تعالى جفلوا منه وانزعجوا كالحمار إذا رأى أسداً وقف واجماً ومدَّ أذنيه خائفاً مستغرباً وأخذ يتراجع تمهيداً للهروب، وكذلك هؤلاء أول ما يسمعون كلمة الحق ورسالة الهدى جفلوا منها، واشمأزت قلوبهم، وبدت على وجوههم

مظاهر الانزعاج، ويمكنك أن تسمع بعد ذلك: إن الوقت غير مناسب، طوّل في الموعظة، خوّف الناس وأرعبهم، وتراه يبحث عن كل وسيلة ليتخلّص من ذلك الخير، ويخرج من مجلسه لأدنى الأعذار، وما لجرح بميت إيلام!.

سورة القيامة

• **علَّمتني سورة القيامة**: أنَّ البعث قضية ضخمة تحتاج إلى وعي واستثمار ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ٦﴾ ماذا لو عرف كل إنسان أنه سيلقى الله تعالى بكل صغير وكبير، وأنه سيموت ويبعث عارياً من كل شيء إلا من الأعمال، وأنه سيقف بين يدي الله تعالى، ويوزن عمله. حين تغيب هذه المعاني من قلوبنا وتذهب بعيداً عن أفكارنا يغيب معنى الحياة الكبير، وننسى كل شيء. وهي أول الفقه وأهمه وأولاه وقبل كل شيء. ومن عرف ما ينتظره جهد ألَّا يلقاه إلَّا وقد صنع كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل إنسان أعرف بنفسه ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ١٥﴾ أنت أعرف بنفسك من غيرك، تعرف واقعك تماماً، وتعرف الطريق الذي تمشي فيه، وتعرف أين يؤول بك في النهايات. تعرف قلبك هل هو صالح للحياة وسالم من الأمراض، وحيٌّ أو هو ميت لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه. تعرف قدراتك ومهاراتك وطاقاتك وإمكاناتك وتعرف في المقابل:

ما المشروع والفكرة والقضية التي تناسب تلك القدرات والمهارات والإمكانات! تعرف قيمك، ومبادئك، وتعرف في المقابل عاداتك، فأنت أولى بنفسك من غيرك، انظر ما الأشياء التي تحتاج منك أن تستوثق منها ولا تفرِّط فيها، وانظر في المقابل إلى تلك الأشياء التي تصنع فشلك، وتقعد بك في عرض الطريق، وتكتب حظك من الخسران، فاجهد في تجنبها والتخفف منها أعجل ما يكون.

• **وعلّمتني**: أنَّ الجزاء من جنس العمل ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥﴾ هذه الوجوه الناضرة التي تجد لذتها في النهاية بالاستمتاع بالنظر إلى وجه الله الكريم هي التي جهدت وتعبت وعانت حتى زفَّها ذلك التعب والجهد والعناء إلى الأفراح! الوجوه التي صابرت في الطريق وتحمَّلت أعباءه وأثقاله، وحرمت نفسها من كل لذة عابرة، وأَبَتْ أن تقع في الحضيض تريد ما عند العلي الكبير، من حقها اليوم أن تذوق ذلك النعيم وتصل إلى تلك الأحلام، وفي المقابل تلك الوجوه الباسرة المظلمة الذليلة الحقيرة إنَّما أخذت حقها ووجدت نتاجها ولقيت جهدها وعليها أن تتحمل، فهي التي أرادت أن تكون كذلك، وقد بان لها الخير من الشر، والحياة من الموت، وأبت إلا ذلك الطريق. وكل إنسان سيرد على جهده وتعبه، ومن عرف الحقائق بذل لها كل ممكن، وأتى منها على ما يريد.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الحياة ليست صدفة عارضة، وإنَّما هي حقيقة قائمة ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةً مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ٤٠﴾ من أكثر الأسئلة وضوحاً لدى المؤمن: لماذا جئنا إلى الأرض؟ لأن إجابته معروضة بتمامها في الوحي ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وإذا غاب هذا المعنى الكبير على إنسان لم يبق له شيء من الحياة ولو كان يملك كل شيء. حين نتخيَّل أن الحياة عبث ولا نهاية لها، وليس بعد الموت بعث ولا حساب ولا جزاء نصبح كالأنعام بل أضل ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] وإن كانت المسألة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، غير أن بعض أعداء دينك، أو من المتلوِّثين فكراً من أبناء جلدتك يحاولون أن يعيدوا الحديث عن هذا الضياع من جديد. وكن فطناً: كل من سألك أو حاول العبث بمفاهيمك تجاه هذه القضية قل له أخبرني: كيف أدفع هذه الحقيقة ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؟ وكيف أردُّ على هذه الآية التي تصحِّح وتعيد بناء مفاهيمي ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةً مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ٤٠﴾.

سورة الإنسان

• **علّمتني سورة الإنسان**: أنَّ الله تعالى بيَّن دينه ومنهجه، وأقام الحجة على الإنسان ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ هذه شريعة محكمة وغاية في الجمال والإبداع، وما أنت سائل عن شيء أيّاً كان إلا وأنت واجد جوابه في شريعة الله تعالى بيّناً واضحاً. تفاصيل رحلتك من ولادتك إلى لقاء ربك خريطة واضحة المعالم بقصة منشئك وكتابة رزقك وأجلك وعملك وشقي أو سعيد، والتفاصيل الصغيرة من هذا المعنى مدونة بشكل يفوق تصورك، بما في ذلك الطريق الذي تسلكه والنهاية التي تؤول إليها، وحين بيَّن الله تعالى كل شيء أودع فيك القوى والقدرات والإمكانات والوسائل التي تخدمك لتصل إلى ما تريد حقاً كان أو ضلالاً، وأنت حينها بالخيار، إما طريق الشكر أو طريق الكفر والحرمان.

• **وعلّمتني**: أنَّ الإخلاص أصل كل نجاح وتوفيق ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ أمتع لحظات عمرك على الإطلاق تلك التي تتحرك وتجهد، وتعمل وتبني وتضحي، وتصنع كل شيء، وليس في قلبك سوى الله! وأسوأ

لحظات عمرك على الإطلاق تلك اللحظات التي تتعب وتجهد وتعرق، وتصنع كل شـــيء وعينك ترقب ثناء المادحين من المخلوقين! الفرق كبير جداً والمسافة لا تكاد تقيســـها بين اثنين: الأول يخرج لله ويجهد لله، ويتعب لله، ويردد قول القائل:

إذا صحَّ منك الــودُّ فالكلُّ هيِّنٌ　　　وكلُّ الذي فــوقَ الترابِ ترابُ

والآخر يقوم إلى تلك الأعمال فيقوم الرياء في قلبه شاخصاً، وكلٌّ أعرف بقلبه وما يقوم فيه، وليس من حق بشر في الدنيا كلها أن يحكم على النيات في شـــيء، ومرد ذلك المعنى الكبيـــر إلى الله، ولكن هذا درس للذكرى فحسب.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الصبـــر أعظم القضايا المؤثرة فـــي نجاح أصحاب المشـــاريع والرواحل ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ الصبـــر الطويل على قضيتك وفكرتك ورسالتك، والصبر الجميل على إعراض المخالفين والمعاندين والضالين، ومجانبة أهل الباطل وعدم مخالطتهم في شـــيء من الفوضى، وذكـــر الله تعالى الدائم المـــلازم للعبد في كل صوره، والسجود الطويل لله تعالى في آخر الليل هي الأعوان التي ستأخذ بيدك، وتكتب حظك في الدارين، وتبلِّغك آمالك في الدارين.

سورة المرسلات

• **علَّمتني سورة المرسلات**: عظمة الله تعالى وكمال قدرته ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥﴾ هذا خلق الله تعالى، وهذه قدرته، وهذه الرياح التي تجري في الكون لها حكم وأسرار تأتي مرة في صورة رحمة، وأخرى في صورة عذاب، بعض قدرة الله تعالى، وهو الذي خلقها وسيَّرها، وفيها من الحكم ما يجل عن علم إنسان، وهذه الملائكة التي أَطَّت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك ساجد لله تعالى على اختلاف وظائفها وأعمالها وشؤونها إنَّما تدل على العلي الكبير، فخذ منها ما يلقي بك للحياة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الحياة كلها مبنية على الأسباب ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥﴾ فالله تعالى خلق كل شيء وقادر على إدارة كل شيء، وهذه الرياح والملائكة بعض خلقه في الكون، وهو الذي خلقها ويدبِّرها، ومع ذلك جعلها سبباً لبعض قضائه وقدره تعالى، وكل قدر له سبب، وهذه الأسباب منوطة

بالخلق، وهي جزء من قدر الله تعالى، وهي درس لكل إنسان أن يدرك أنه لا سبيل إلى شيء من فأله وأمله ونجاحه إلا على هذه المعاني، وعليه أن يبذل كل ممكن حتى يبلغ أمانيه في النهايات.

• **وعلَّمتني:** سنة الله تعالى في المجرمين والضالين عن الطريق ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾ إذا أردت أن تعرف سنن الله تعالى في المجرمين والضالين والمستكبرين عن الحق والمعادين للرسل، فانظر إلى كتاب الله تعالى وأعد قراءته متأملاً مترسّلاً متدبّراً، وسترى صنائع الله تعالى كأنك تراها رأي عين، بل بعض هؤلاء مازالت آثارهم في الأرض حتى هذه اللحظة، لعلك ترى فيها ما يجري في قلبك الحياة من جديد ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ بلى والله، بلى والله، بلى والله! ويذكرك تعالى بأن السالكين لطريقهم والمقتفين لآثارهم والسائرين على الطريق سيلحقون بهم وفي ذات الدركات ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾.

• **وعلَّمتني:** أنَّ أصل الإنسان واحد ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ بلى والله! خلقتنا من ماءٍ مهينٍ مستقذر، وجعلته في قرار مكين، رأينا ذلك

وعرفناه، وتكوّن من خلال ذلك القدر حتى رأينا في النهاية إنساناً يأخذ حظه من الحياة! هذه الحقيقة تواجه ذلك المعرض عن دين الله تعالى وشــريعته وفي قلبه ألف قصة للكبر! وتواجه في الوقت ذاته المتكبر بوظيفته ومسؤوليته ومكانته حتى كأنه يرى أنه من كوكب والناس حوله من كوكب آخر، والله تعالى يذكّــره ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ إن هذا المعنى درس في التواضع ومعرفة منّة الله تعالى على عبده، ودعوةٌ أن نتعامل مع كل إنســان، ونعلم في الوقت ذاته أننا وإياه بدأنا من ذات الطريق ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾.

• **وعلّمتني:** أنَّ الخلــق يوم القيامة فريقان: فريــق في النار ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾ وفريق في الجنان ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ فريقــان خاضا رحلة الحياة بــذات الإمكانات والقدرات، وخرجا منها مختلفين في النتائج والنهايات! يمكنك أن تمدَّ بصر الذكــرى لتــرى كلا الفريقين فــي قبورهما، وكلٌّ وجــد نهايته ويخوض نتائجها، ويمكنــك أن تمدَّ بصر عينك لترى مَنْ حولك وهم يمارسون ذات الأســباب، وفي النهاية ســيجدون ذات النهايات. ومن وعى الدرس رأى الشواهد تترى بين عينيه، وأخذ منها الذكرى.

سورة النبأ

• **علَّمتني سورة النبأ**: أنَّ خلل الرؤية أعظم أسـباب الضياع، وإذا فقد الإنسان بوصلة الشمال لم يهتدِ بعدها إلى شيء! ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١﴾ عن أيِّ شيءٍ يتساءلون! عن القرآن الذي أنزله الله تعالى إليهم وقد رسم لهم فيه ملامح الطريق، وأبان لهم فيه كل شيء ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]! أم عن الرســول الذي بعثــه الله تعالى إليهم ليبيِّن لهم تلك الغايات الكبرى التي تنتظرهم في مستقبل الأيام ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠]! أم عن أي شــيء يتســاءلون وقد اتضح لهم كل شــيء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [يونـس: ١٠٨]! إنَّ هذا السؤال الذي يدور في أوساط قريش ليس سؤالاً يبحث عن الحقائق، ويريد ذلك النور الذي يكشف به الظلام، كلا! وإنَّما سؤال عبثي يراد به إنكار البعث، والبقاء في أسر تلك الجاهليات التي تأبى إلا أن تعيش في مساحات الظلام!.

وعالم اليوم في كثير من أحداثه يشبه عالم الأمس في ضياع الطريق من أوله، وضلال الرؤية من أصلها، ويكاد يصنع للناس كل شيء، وهو في الوقت ذاته ضال لم يجد شـيئاً! وحســب القارئ لهذه الأسطر أن

يدرك سـرَّ وجوده، ويعرف المقصد العظيم الذي جاء له، وماذا ينتظر منه في النهايات حتى يسلم من الضياع ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]!.

• وعلَّمتني: أنَّ ثمَّة أفراداً وأمماً تؤجِّر عقولها لآخرين وتسلمهم قيادها، وترضى أن تبقى أتباعاً لهم في كل شيء، وتتطوَّر القضية إلى أكبر من ذلـك فيتحوَّل تفكير هـؤلاء إلى جزء مـن منظومة أولئك فيفكِّـرون بتفكيرهم، ويتحدثـون بنمطهم، ويحلّلـون الأحداث من خلال رؤاهم، ويصبحون ويمسون مجرد أدوات لغيرهم، ويفرِّطون في عقولهم أعز ما يملكـون! ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ وهذا التنـازع الذي يجري في أوسـاطهم ليس بحثاً عن حقيقة البعـث، ولا بوصلة الشـمال، ولا إجابة للسـؤال الكبير: لم خلقنا؟ ولمـاذا جئنا إلـى هـذه الأرض؟! كلا! وإنَّمـا لأنَّ آباءهم وأجدادهـم تنازعوا في القضية ذاتها فحسـب! والعقول إذا سـلَّمت قيادها لآخرين بقيت أسيرة لها وترزح في قيودها وفقدت في النهاية كل شـيء. وأخطر ما على الإنسـان أن يفقد عقله وتفكيره، ويؤجِّر عقله، ويصبح أداةً لغيره، وكـم من عاقل جرى في فلك هذه المعاني خاصة في مثل زمانك وأصبح جزءاً مـن فكرة، وعضواً في منظومة، وفرداً في جماعة دون وعي، ومن فقه الإنسان وكمال وعيه أن يتربَّى

على الوحي، ويتصرف في ضوء مفاهيمه، ولا يقدِّم عليه كلام بشر كائناً من كان حتى يسلم من الانحراف في مستقبل الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل الجوارح التي يمنُّ الله تعالى بها على إنسان هي أقصر من أن تهدي صاحبها للحق ما لم يصحبها توفيق، كم هي الجوارح التي يملكها كل فرد من هؤلاء، وهم في كامل صحتهم وعافيتهم، ومع كل ذلك لم تهدهم إلى الطريق، رغم أن الله تعالى خاطبهم من خلال عقولهم وبيَّن لهم ما يرون، وحاكمهم إلى مشاهد ذلك الكون، وعرض لهم تلك المشاهد عرضاً مدهشاً فقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّـٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾ ومع كل ذلك لم تدلُّهم جوارحهم على شيء من أفراح هذا المعنى الكبير! وما تصنع جوارح لم يكتب الله تعالى لها توفيقاً وسداداً! وهي دعوة لكل من يقرأ هذا المعنى ألَّا يتكل على جوارحه أو قدراته أو مهاراته وإمكاناته في شيء، وإذا لم يهدك الله تعالى ولم يدلك على الطريق لم تلق شيئاً يسعدك ولو كنت تملك كل شيء. وما حاجتنا إلى شيء حاجتنا إلى عون الله تعالى وتوفيقه وسداده في الدارين.

• **وعلّمتني**: أنَّ نعم الله تعالى كثيرة ومتعددة، ولا سبيل إلى حصرها البتة، وهذه المشاهد التي تعرضها السورة ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾ بعض مشاهد تلك النعم، ومن ألقى بمشاعره وفكره في أحداثها وتأملها حق التأمل عرف الله تعالى، وقام له بحقِّه، وأجَلَّ شرعه، وما أجمل قول الأول:

فيا عجباً كيف يُعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة وفي كل تسكينة شاهد
وفي كل شيء له آية تدلُّ على أنَّه واحد

فهذه الأرض الممهَّدة المذلَّلة، والتي تجري فيها مصالح الناس كما يشاؤون، وتلك الجبال التي كالأوتاد لها لا تميد بهم ولا تضطرب، وهذا الزوج الذي لا تكتمل أفراح الحياة إلا به! والنوم القاطع لتعب الإنسان وتكاليف الحياة عليه، وستر الليل الذي يمده الله تعالى على عباده، وهذا النهار الآية التي يلقى فيها الإنسان كل شيء، ويأتي على آماله من خلالها، وهذه الأفلاك من سماء وقمر وشمس كلها تدلُّك على الله تعالى، وتصنع في قلبك مشاهد تعظيمه وإجلاله. وليس أهدى لقلبك من أن تكون هذه النعم هي أكثر ما يعرفك على ربك، وتقوم له بكل شيء في واقعك.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من فقه الدعوة أن تتنوَّع في الأدلة والأساليب حتى تأخذ حظها من عقول السامعين، وليس من الفقه أن تتعامل الدعوة مع كل المدعوين بالأسـلوب ذاته. فهؤلاء القوم كفـار فلا مجال للتعامل معهم بدليل الوحي فحسب، بل ينبغي إثارة عقولهم وأفكارهم بالدليل العقلي الذي يقوم على الاستنباط والمقارنات حتى يؤتي ثماره من تلك العقول، وهـذا العرض لهذه المخلوقات جزء من هـذا المعنى الكبير. وهي رسالة لكل مربٍّ ومعلمٍ وأبٍ وصاحب رسـالة ومشروع أن يقرأ واقعه جيداً قبل أن يبدأ في مشروعه، ثم يختار ما هو أنسب لإقناعهم؛ فإنَّ ذلك من كمال الوعـي والتوفيق. وهذا المعنى يجري في كل قضية يراد لها النجاح سواء مع نفسـك أو ولدك وطالبك وزوجك، ومع كل من حولك حيـن نريد أن نبني قيماً، ونؤسـس لفضيلة، ونخلع عادات وسلوكيات سـلبية يجب أن نتعامل بهذا المعنى، وأن نناقش كل واحد من هؤلاء من الطريق الأنسب لإقناعه، فإنَّ ذلك أدعى للنجاح والإبداع.

• **وعلَّمتني**: أنَّ ثمة نهايات تنتظر كل مخلوق مهما طال عمره ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ وتلك النهايات ليسـت شيئاً عادياً ولا حدثاً عابـراً، ولا قصة مكـرورة وإنَّما جنة ونـار، نعيم وعذاب، حسـاب وجزاء، حياة وموت، ومن فقه هذه المعاني صار إلى خير مع الأيـام. ولو أنَّ عاقلاً أهمل نفسـه بعضـاً من الوقت فـي تصوُّر تلك

النهايات التي تنتظره، والأحداث التي تستقبله بمجرد موته ورحيله من الدنيا لقنع مــن أول الأمر، وآمن بقيوم الســماوات والأرض، ولكنها الغفلة لا تبقي شـيئاً للذكرى. مــاذا ينتظر الظالمون لأنفســهم ولمن حولهم مــن العالمين يــوم القيامة إلّا هذه الحســرات ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ وما الأفراح التي ينتظرها المتقون في تلك اللحظات ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ فانظر أين موقعك واسـتعد لتلك الأيام، وتجهّز قدر وسـعك، فالأمر جد ولا تغـرَّك الأماني، وكم من اعتذار جاء متأخراً فلم يصنع لك شيئاً.

سورة النازعات

• **علّمتني سورة النازعات:** أنَّ المشاريع مكلفة، وتحتاج إلى تضحيات كبيرة حتى تبلغ غاياتها في النهايات ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥﴾ وهذا الخطاب لرسول الله ﷺ يذكّره ربه تبارك وتعالى بأن المسألة ضخمة وكبيرة، وتحتاج إلى جهاد يساوي قيمتها الكبرى. ونموذج موسى عليه السلام مع فرعون يدلك على تكاليف الطريق، ويبعث في مشاعرك حجم التضحيات التي يجب أن يبذلها رسول الله ﷺ في دعوته حتى تتحقق له النتائج التي يرجوها، والآمال التي ينشدها! ومن تخيَّل قصة موسى عليه السلام وبداياته، وصراع اللحظات الأولى، والخروج إلى مدين، وقصة الزواج، وحمل الرسالة، ثم مواجهة الطاغية فرعون، وقصة السحرة، والخروج من مصر، وقصة البحر، ومعالجة بني إسرائيل وتقلباتهم في تلك المرحلة أدرك أن الطريق غير سالكة والمشروع ضخم كبير، والقضية تحتاج إلى تضحيات. ومثل ذلك نبينا ﷺ، ضُرب ﷺ وجُرح وأُلقي سلا الجزور على ظهره وحوصر في شعب أبي طالب سنوات، وساوموه على منهجه ورسالته ودينه، وطردوه من بلد الروح والجسد، ولقي في الطائف من أحزان الطريق، وعاش حادث الهجرة، ولقي من أثقال التبعات ما لا يلقاه إلا الكبار، وخاض معارك

شتى مع اليهود والمنافقين، ثم أذن الله تعالى بالنصر، وإذا تأملت ما بين بدايات الدعوة، والنهايات التي آلت إليها مـع الظروف التي صاحبتها أدركت ما معنى التذكير بقصة موسى في بدايات الطريق، وأنت كذلك إذا أردت أن تحمـل فكـرةً أو مشـروعاً أو قضية، فاعلم أنَّ المسـألة ضخمة، وتحتاج منك إلـى ذات التضحيات، وإنَّما تحمل من شـرف قضيتك على قدر أثقالها وأحمالها في واقعك.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الأصل امتداد الصراع بين الحق والباطل، وما عدا ذلك فصور عارضة لا تقدر على الصمود، ولم يحدث أن تصالح الحق والباطل في بقعة من الأرض أو مساحة من الزمن، ولا سبيل إلى ذلك؛ لأنَّ المسـألة حق وباطل، ولا يمكن أن يلتقيا فـي طريق، وإذا كانت المسألة كذلك فروِّض نفسك على حمل رسالتك ومشروعك وتكاليف قضيتك؛ فالمسـألة كبيرة وضخمة بحجم الحق الذي معك، والباطل وإن كان يملك قوَّةً وعتاداً، وقدرةً على مواصلة الطريق في مرات كثيرة إلا أنه للإخفاق والفشـل في النهايات؛ فلا تقلق لامتداد ذلك الصراع، ولست مسـؤولاً عن النتائج بقدر ما أنت مسـؤول عن البلاغ المبين، ومن فقهك وكمـال وعيك أن تقبل صادقاً علـى دينك، وليكن همك إغاثة العالم من حولك، وتوسيع مساحات الربيع، وملء كل فراغ، ولا يهزمك تأخر مشروعك عن النجاح إذا كنت على الطريق، فكذلك سنن الله تعالى، ولو أنَّك قرأت قصة موسـى عليه السلام، وألقيت فيها بمشـاعرك

وعقلك لأدركت الطريق بوعي، وتكوّن لديك الوعي الكافي لمستقبل الأيام فضلاً على أن تقرأ سيرة نبيك ﷺ، وتأخذ منها ما يعينك على مواصلة الطريق، وتحقيق المعاني الكبرى في النهايات.

• **وعلّمتني**: حاجة الدعاة والمصلحين والآباء والمربين رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، وأصحاب المشاريع والأفكار الناهضة عموماً إلى التسلية. إن الطريق شاقٌ ومكلفٌ ومزدحم بالعوارض والعقبات، وصاحب المشروع قد يتعب ويجهد في أثناء الطريق، وقد يواجهه اليأس ويعرض له الحزن والخوف، وقد يُصاب بالملل من طول المسافة، ولا يرى شيئاً يسدُّ جوعة تلك الفاقة التي يبحث عمّا يسدُّها، ولذلك كله كانت هذه النفوس بحاجة إلى تسلية وإعانة على مسافة طريق الدعوة الطويل، ومن هذا الباب جاءت قصة موسى عليه السلام، وأنت كذلك كلما شعرت بضعف همّتك وفتور طاقتك وذبول عزيمتك، فشُدَّ قلبك ومشاعرك بأصحاب الهمم والمشاريع والجادين في الحياة حُمّال الأفكار الناهضة. والوحي طافح بذلك، ومثل ذلك كتب التاريخ والسير الذاتية، وقد تجد من المسموعات والمرئيات في وسائل التقنية الحديثة ما يبعث الأشواق في قلبك ألف مرة، وإن ظفرت بصديق صادق الهمة قوي العزيمة في واقعك ومساحتك، فيمّم وجهك إليه، وخذ منه ما يعينك على مواصلة الطريق.

• **وعلَّمتني**: أنَّ إدبار الكبار والوجهاء وأصحاب الرياسات عن الدعوة شيء طبيعي، وسنة جارية من فجر التاريخ إلى يومنا هذا ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾ وما صنعت الدعوة لفرعون حتى يتخذ منها هذا الموقف، ويقعد لها في عرض الطريق، ويقرر قتل كل مولود من أولاد بني إسرائيل، ويستنفد كل طاقاته ومهاراته وإمكاناته في سبيل وأد الفكرة من أصلها، وحجبها عن الظهور من البدايات! ما له ولها وهي لم تأته بعد فضلاً أن تأخذ منه شيئاً! وفي حديث هرقل لأبي سفيان ﵁: وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل! والدرس من هذا ألَّا تستنكر إدبار أحد من هؤلاء! وكن على طريق الأنبياء واجهد بكل ما تملك أن تسقيهم من رحيقها العذب؛ فليتهم دروا ما تحمل لهم! كم مرة كانوا يظنُّون أنَّ هذه الدعوة تسلبهم تلك الرياسات التي عاشوا عليها وفاتهم أنها تزيدهم بها رباطاً، وقد قال رسول الله ﷺ لأبي سفيان يوم احتاج إلى هذا المعنى: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن**».

• **وعلَّمتني**: أنَّ من فقه الإنسان وكمال وعيه أن يشتغل بالأسئلة النافعة في حياته، وأن يدع وقته وفكره من أسئلة لا علاقة لها بالعمل في شيء، إن سؤال هؤلاء ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۝٤٢﴾ من قبيل الأسئلة التي لا تنتج عملاً ولا تصنع شيئاً، وإنَّما هي تسلية وقت، وما

يَنفعه إذا علم الساعة أنها اليوم أو غداً، وهو يعرف أنها حق، وأنَّ ما بعدها أعظم من أن يتصوَّره إنسان، وأن الفزع إلى العمل والتطبيق أولى ألف مرة من أسئلة لا تنتج ثماراً عملية في مستقبل الأيام. ولذلك كان الجواب ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾! ليس من شأنك الإجابة على أسئلة هؤلاء، حسبك أن تنذر أمتك، وتبيِّن لهم عن ما ينتظرهم، وليس لك بعد ذلك شيء. وحين دخل الصحابي ورسول الله ﷺ يخطب فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ أرشده ﷺ إلى العمل والتطبيق، فهو أنفع له من ألف سؤال من هذا المعنى: «**ماذا أعددت لها؟!**». إن من فقه الإنسان أن يركز على الأسئلة التي تثري ساحات العمل وتكتب حظها من التطبيق، وتأتي على صاحبها بالخيرات، وما عدا ذلك فغثاء يأخذ من أوقاتنا، ولا يعطينا ما يستحق الحياة.

• **وعلَّمتني**: ضآلة هذه الحياة وضعفها وقلة قيمتها ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ كم هم الذين عاشوا فيها سنين طويلة، ثم في النهاية صاروا إلى الموت! كثيرون يأتون يوم القيامة وقد عاشوا عشرات السنين، وإذا بالحياة التي عاشوها كهذه الصورة التي يحكيها القرآن ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ لا فرق! ليست يوماً ولا ليلة تامَّة، وإنَّما هي ضحى يوم وعشية ليلة من الليالي! ذهب ذلك الفراغ الطويل، ولو عرف صاحبه هذا المعنى لجهد به في بناء تلك الدار، وانتهت كل تلك الراحة الموهومة التي كان ينشدها كثيرون، ولو

دروا لصنعوا فيها كل شـــيء، وطوت الدنيا كل أيامها لتقف بصاحبها على أحداث النهايات التي ما كانت له على بال. كم هو الفرق بين مئة عام وبين لحظة من عشـــيّ أو ضحى! ماذا لو أنك رأيت تلك اللحظة مفرطاً في زمانه! وضائعاً في رسالته وهدفه! وموغلاً في الأماني وقد فات عليه كل شـــيء! إن الدرس الأهم في هذا المعنى أن تستثمر كل لحظة، وأن تجهد فـــي بناء تلك الدار، وأن تســـعى بكل ما تملك أن تكون رقماً صعباً ومؤثراً في تلك اللحظات. وكل إنســـان سيقف على عمله وجهده وتعبه، ولن يبقـــى له من تلك الســـنين الطويلة إلا آثار العمل الصالح في الدارين.

سورة عبس

• **علَّمتني سورة عبس**: أنَّ القيم من أعظم المعاني التي جاء الشرع ببنائها وتأصيلها في نفوس العالمين! وهذا العتاب من الله تعالى لرسوله ﷺ في موقف تقديم كبار قريش على ابن أم مكتوم الأعمى درس في تأصيل هذه المفاهيم ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ① أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ② وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ③ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ④ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ⑤ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ⑥ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ⑦ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ⑧ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ⑨ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ⑩﴾ ولو أنك قرأت هذا النص بوعي لقامَ في قلبك إجلال هذا المعنى الذي يُقرأ على مسامع العالمين إلى قيام الساعة، وكل ذلك لتأصيل قيمة واحدة من القيم الكبرى، وهي أنَّ المفاضلة بين الناس لا تتم على مكانة أو جاه أو سلطان، وإنَّما تجري فصولها وفق دين الله تعالى دون النظر إلى شيء آخر، ورسول الله ﷺ لم يصنع ذلك لنفسه، وإنَّما صنعه لصالح الدعوة والرسالة التي يحملها، ومع ذلك لم يعذره الله تعالى، وجاءه الخطاب موجهاً، ويُقرأ في كتاب الله تعالى إلى قيام الساعة حتى تتأصل القيم في النفوس، ولا تقف لزمن أو حادثة أو في مكان.

• **وعلَّمتني**: أنَّ النقد وسيلة من وسـائل النجاح، وأداة مؤثرة من أدوات التصحيح، ومن وعي كل إنسـان أن يفرح به ويُسر، ويدرك أنه من أعظم وسـائل نجاحه، ونحن هنا لسنا بصدد الإسرار أو النقد، فإن هذه مسألة راجعة للمصلحة والأثر المترتب على ذلك، وكل إنسان فقيه بحاله ومسـاحته وكيف تكون! ولكن ننبه على أن النقد يعين صاحبه على بناء ذاته وتجـاوز قصوره، ويهيئـه للمرحلة القادمـة من حياته باقتدار، ويبنـي لديه ملكات لا يمكـن أن تأتي إلا مـن خلاله، فإذا ما جاءك شيء من ذلك، فمن حقِّك أن تفرح وتسعد به، وتعتبره فرصةً للصعود، وسـلماً للنجاح، وله آداب مهمـة، ولا يصلح إلا لمن أوتي حظاً من العلم والفقه والأدب. ومن يسَّر الله تعالى له صديقاً يتعاهده، وناصحاً يأخـذ بيديه وقريباً يدله على مواطـن النجاح والإخفاق، فقد توفِّق لخير كبير، فإن لم يجد من ذلك شيئاً فلا أقل من أن يستنصح من يراه صادقاً قريباً منه عارفاً به حتى يعينه على الترقي في مستقبل الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ وجود الأخطاء في مشروعك الذي تحمله، وفكرتك التي تقوم بهـا، وقضيتك التي تعيـش من أجلها شـيء طبيعي جداً، فلا تثقلك الهموم عند سـماع شـيء من ذلك، وإذا كان رسول الله ﷺ الذي تولى الله تعالى تزكيته وتربيته وتأهيله لرسـالته ومشروعه يخطئ ويقوِّمه الله تعالى من خلال رسالة علنية، فغيره من باب أولى! إن جزءاً من مشكلاتنا أننا نريد أن نحمل أفكاراً ومفاهيم ونصنع تضحيات، وفي الوقت ذاته غيـر متقبلين للأخطاء والنكسـات التي تقع منـا في ثنايا

الطريق، ونجد منها حرجاً يكاد يُفضي بنا إلـى ترك أفكارنا ومفاهيمنا ومشـاريعنا من أصلها. ومن أراد لنفسه النجاح والتوفيق فعليه أن يؤمن بأنَّ نجاحه القادم لا يقوم إلا على ركام الأخطـاء التي يقع فيها، وهي القاعدة التي يقف عليها كبيراً مدهشاً في مستقبل الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الهداية حقٌ للجميع ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾ بغض النظر عن جنس الإنسـان ولونه وفقره وغنـاه ومكانته وموقعه، ومن أقبل إليها صادقاً كان حقه منها أكمل ما يكون، ومن أعرض عنها وأدبر عن أحداثها، فلا قيمة له في شـيء، وحسبه أنه هو الذي رفض وأبـى آثارها وتخلَّف عنهـا، ولا يظلم ربك أحداً. إنَّ الدعوة ليسـت بحاجة إلى أحدٍ مهما كان ذكاؤه وتعددت مهاراته، وتنوعت مجالاته بل هو في أمس الحاجة إليها، وسـتظل منصورة بذاتها، وتأخذ مساحتها كما أراد الله تعالى لها، ويجب أن يُفقه أن الفقير المسكين المقبل على خيرات الدعوة خيـر لها وأفضل ألـف مرة من كثير مـن الموهوبين وأصحاب القدرات والمسـؤوليات الذين يأتون إليهـا، وهم محمَّلون بأمراض من الكبـر والعلو والحسـد، فلا هم الذين دفعـوا بها نحو أهدافها، ولا هم الذين أسـلموها من تلك الأمراض التي كانت بمنأى عنها. إن الفقير المسـكين المعوق المقبل عليهـا والفَرِح بأحداثها في واقعه أعظم لها وأولى من غيره، ولو كان الآخر يملك كل شيء.

• **وعلّمتني**: أنَّ المسؤولية فردية، وأنَّ كل إنسان مسؤول عن نجاحه وإخفاقه في النهايات. ولن يغني عن الإنسان أسرة أو قبيلة أو مجتمع من المجتمعات، وإن كانت هذه المعاني تجدي عن أصحابها في الدنيا فهي لا تنفع في شيء بين يدي الله تعالى يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ يجب أن نتعلم أنَّ الأسرة ليست مسؤولة عن نجاحنا وإخفاقنا وإن كان لها دور، ومثل ذلك المجتمعات التي نعيش فيها، والأصحاب الذين نخالطهم، ومن فقه الإنسان وكمال وعيه أن يأخذ حظه من العلم، ويبني نفسه من خلال العمل الصالح، ويستعد للقاء الله تعالى، وليعلم أن المسألة جدٌّ، وأنه سيأتي اليوم الذي تعرض فيه هذه السورة بعض مشاهده وأكثرها ألماً في سيرته وواقعه ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ رأي عين! ولو أنَّ عاقلاً أمهل نفسه بعضاً من الوقت في تخيُّل المشهد لأدرك ما يقال له اليوم قبل الفوات. والله المستعان.

سورة التكوير

• **علّمتني سورة التكوير**: أنَّ ثمة موعداً للنهايات ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ وهذا العلم في يوم القيامة بعد أن عرضت السورة تلك الأحداث الكبرى ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣﴾ وما قارئ لهذه الأحداث التي يتبدّل فيها كل شيء في الكون وتتغيّر معالمه، ويصبح بين يدي الله تعالى للسؤال والحساب والجزاء ولديه قلب إلّا استيقظ وعاد إلى الله تعالى، ومن لم يجد شيئاً من ذلك فما لجرح بميت إيلام! وهذه السورة من السور المكية التي جاءت لتعيد بناء الإنسان وتشكّل تصوراته، وتوقظ قلبه ومشاعره. ومن قرأ هذه المعاني وتأمل تلك الأحداث صنع لنفسه شيئاً قبل الفوات.

• **وعلّمتني**: أنَّ القرآن أعظم مصادر الحياة على الإطلاق! ومن أقبل عليه وعى منه كل شيء، وقد قال الله تعالى واصفاً شأنه

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١﴾ وما قرأه متدبر إلا حيي من جديد! وما حاجة الإنسان لشيء في هذا الزمن حاجته إلى ورد يتلوه ويتدبره. ولو أنَّ كل إنسان قسم له من سنام يومه وأقبل عليه صادقاً، وتدبَّر ما يتلوه وأجرى لما يقرأ عملاً لنفض عنه غبار الغفلة وشحذ همَّته وصنع لنفسه منزلاً بين الأحياء. ثمة أناس لا يدركون ما الذي يمكن أن يحدثه القرآن في حياتهم، وآخرون يدركون ولكنَّهم لا يعرفون كيف يصلُون، وفريق ثالث يدرك ويعرف، ولكنه لم يضعه في سُلَّم أولوياته بعد، ومن تأمل واقع اليوم رأى فيه كل شيء إلا أنه خالٍ في الوقت ذاته من الطمأنينة واللذة واجتماع القلب، وأدرك أن حاجته لكتاب الله تعالى تفوق كل حاجة، وليس بين الإنسان وبين هذا المعنى الكبير إلا أن يبدأ ويستعين بكل ممكن على تحقيق تلك الأفراح في قلبه، وسيحين موعد الربيع بإذن الله تعالى يوماً ما.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الجود من صفات الكبار، وما رأيت مدهشاً في واقعه كطالب علمٍ فتح الله تعالى له في هذا الباب وهو قائم بحقه من العمل، باذلٌ له في كل من حوله، باسط آثاره في المساحات التي يعيش فيها، فيا الله كم هي عوائد الخير عليه! وكم من فواتح توفيق تأتيه وهو على سرير نومه من أثر ذلك المعنى الكبير، ورسول الله ﷺ على رأس القوم وفي مقدمتهم، وهذه شهادة الله تعالى له ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ۝٢٤﴾ وقد قال

الشـــافعي رحمه الله: وددت أنَّ الخلق تعلَّموا هذا العلم ولـم ينســـب إليَّ منه شيء. اهـ.

وهذا نوع من الجـــود يتجاوز بذله وإعطاءه إلـــى الفرح بما وصل الآخرين، وفي المقابل كم من طالب علمٍ في مساحة جهل لم تلق منه ما يدفع ذلك الظلام! كم مـــن طالب علم ووالديه أو أســـرته تقع في أخطاء وتمارس ســـلوكيات خاطئة، ولم ينلهم شيء من حظوظه بعد! وليس الجود وقف على العلم بل في كل شيء، وكم من صاحب مهارة ومال ومسؤولية وجاه وسلطان وقوة وملَكة، يمكن أن يصنع منها ومن خلالها كل شيء.

سورة الانفطار

• **علَّمتني سورة الانفطار**: أنَّ الغفلة من أعظم الأخطار التي تواجه الإنسان في حياته، وماتزال بصاحبها حتى تنسيه نفسه التي بين جنبيه، وتضيع عليه مصالحه، وتحرفه عن مقصده الكبير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ وإذا أردت أن تعرف قدر هذه الغفلة، فانظر إلى إنسان خلقه الله تعالى وسواه وعدله وجعله في أحسن صورة وكرّمه، وجعله مناط الرسالات، ومع كل ذلك لا يلقي لربه تعالى بالاً، ولا يُجل أمره ولا يعظِّم شعائره، ولا يقوم له بشيء من حقوقه، ويعاتبه الله تعالى في هذه السورة عتاباً رقيقاً ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾! ما الذي أنساك ربك الذي خلقك! ما الذي ألقى في قلبك هذا الإعراض عن ربك الكريم! من خلق وسوّى وعدَّل وركَّب أحسن الصور ما حقه هذا الإعراض! ومن الوعي أن يتدارك الإنسان نفسه ويحميها من الغفلة بالإقبال على كتاب الله تعالى تلاوةً وتدبراً وتأملاً، ومثل ذلك سنة نبيه ﷺ، وأحاديث الوعد والوعيد والجنة والنار منها على وجه الخصوص، ويتعاهد نفسه بشيء من المواعظ التي تجلو قلبه، وسينجلي غبار هذه الغفلة بإذن الله تعالى مع مرور الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ رقابـة الله تعالـى على كل ما يجـري في حياتك الخاصة والعامة أمرٌ لا يحتـاج إلى براهين، وفي قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ ما يبيـن عـن ذلـك المعنى الكبير، فالأمر جدٌّ ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] ولن يذهب شيء من العمل سـدىً، وكل ما يجري في حياة إنسان مرصود ومكتوب ومحفوظ، وسـيأتي في يوم أحوج ما يكون فيه صاحبه إلى النسـيان، ولا يغرك أنَّك لا ترى أحداً حولك، فلـن يحميك من تلك الرقابة شـيء، فكن أول العارفين بقدرة ربك، وأول المسـتحين من ملائكته، وليس من الحياء أن تعاقر محرَّماً والله تعالى يرقب تصرفك، ويرى فعلك، وملائكتـه تعالى تراك في ذات الوقـت وترقبك وتدوِّن عليك، وتأتي يوم القيامة بكتابك وفيه ديون كنـت منها في حِلٍّ لولا هذه الغفلة التي غشيت قلبك ومشـاعرك، وما حاجتنا اليوم إلى شيء حاجتنا للأدب مع الله تعالى في كل وقت وحين.

سورة المطففين

• **علَّمتني سورة المطففين**: أنَّ التعامل مع الآخرين دين يتعبد به الإنسان لربه، ويرقى به ومن خلاله لأعظم المنازل في الدارين، وهذا الوعيد للمتخلِّفين عن هذا المعنى ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ دليل هذا المعنى الكبير. التطفيف هنا ليس شيئاً خاصّاً بالمكيال الحسي الذي توزن فيه أرزاق الناس ومأكولاتهم، بل هو جارٍ في كل تعامل تجريه مع أبويك وولدك وجارك وصديقك وكل من حولك، وثمة خصام سافر بين الحقوق والواجبات ينتهي غالباً لصالح الحقوق، وقلَّ أن تجد فرداً يتنازل عن شيء من حقه في مقابل تخلُّف متعمَّد في أداء الواجبات. تعلِّمنا هذه السورة خطر التطفيف، وهو أخذ حقوقنا مقابل التخلف عن واجباتنا، وتدعونا أن نعتبر التعامل مع الآخرين دين كبقية شرائع الإسلام لا فرق، وقد قال ﷺ: «**إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**»، وقال ﷺ: «**إنَّ صاحب حسن الخلق يبلغ درجة الصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا يفتر**»، وقال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله**». وهي دعوة أن نعيد تصرفاتنا مع أزواجنا وأولادنا على وفق هذا المعنى الكبير، ونَعُدَّ ذلك ديناً نتعبد الله تعالى به، ونعتبر أي نقص في تلك الواجبات هو نقص في ديننا وعبادتنا لله تعالى.

• **وعلّمتني**: أنَّ التنافس الكبير يجب أن يكون في غايات الآخرة، وأنَّ من وعي الإنسان وفقهه وكمال علمه أن يبلغ جهده من هذا المعنى حتى يأتي منه على أمانيه ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ ومن قرأ هذا النعيم وأدرك ما ينتظره عند الله تعالى يوم القيامة علم حاجته للعمل، واستثماره لكل ممكن قبل الفوات. مشكلتنا اليوم أنّنا مشغولون بهذه الدنيا، مقبلون عليها، متنافسون فيها بصورة كبيرة وضخمة للدرجة التي كوّنت بيننا تهاجراً، وتباغضاً، وربما وصلت بكثيرين إلى القتل، بينما تلك الدار التي يخبرنا الله تعالى فيها بالنعيم، ويدلُّنا فيها على التنافس في أحداثها لم تأخذ حظها من قلوبنا بعد! وواجب طلاب العلم والمثقفين كبير في إثارة مفاهيم النصر والهزيمة، والربح والخسارة من خلال الوحي لا من خلال مصادر لا علاقة لها ببناء الحقائق الكبرى في نفوس العالمين، فإنَّ الناس في النهاية نتيجة لما تسمع وترى فيما يجري حولها من أحداث.

• **وعلّمتني**: أنَّ العبرة بالنهايات! وأن كل صور الانتصار في الدنيا لا شيء بالنسبة لذلك الانتصار الكبير في الخواتيم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ

حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ كم من أفراح دارت في الدنيا على انتصارات وهمية! وكم من أحداث بات يضحك فيها أهل الباطل بملء أفواههم، ثم هي في النهاية لا شيء. لا تنشغل بما تراه من واقع عدوك، ولا يفتّ في عضدك تلك الانتصارات التي يحقّقها في مساحة من الأرض، تحمّل أعباء طريقك، وأثقال فكرتك ومشروعك، وهموم قضيتك، وأصلح ما بينك وبين الله تعالى حتى تبلغ بها الآمال التي تنتظرها والأشواق التي ترجوها في الختام، وما هي إلا فترات ويحين موعد النصر الكبير.

سورة الانشقاق

• **علَّمتني سورة الانشقاق**: أنَّ التعب والكدح والعناء جزء من حياة كل إنسان ما دام في ساحات الدنيا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾ لن تبلـغ رضى ربك وجنته ومعـارج التفوُّق في حياتـك ونجاحك في الدارين إلا من خلال هذا المعنى الكبير، وستواجه عناءً كبيراً وشاقّاً في طاعتك وأورادك العبادية، وستتحمل أثقال العبادة طويلاً حتى تجد أفراح ذلك في النهايات، وفي المقابل ستعيش الكدح ذاته والعناء والجهد في طريق شهواتك وأمانيك التي ليست على طريق الحق، ولن يأتي لك منها شيء يسـير البتة، ولا تظنَّنَّ بأنَّ من هو عاكف على شهواته، ويجري في فلك رغباته أنه سالم من عنائها وجهدها وتكاليفها وأثقالها، فوطِّن نفسك على هذا المعنى، وأحسن إقبالك على الله تعالى، وتحمَّل أعباء الطريق، وسترى غداً من أرباح جهدك ما لم يكن لك على بال، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ ﴾ وفي المقابل عناء ذلك الضال إلى غير هدى، ونهايته إلى ضلال ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ وكـم بين الفريقين من بون! وكم هي المسافات بين أفراح النعيم وخواتيم السوء!.

• **وعلّمتني**: أنَّ الحياة لا تدوم على حال! وأنَّ كل إنسان معرَّض للضعف والانتقال من حالٍ لآخر حتى يأتي الموت ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ فستنتقلون من حالٍ لآخر، من الصغر إلى الكبر، ومن الشباب إلى الشيخوخة، ومن الصحة والعافية إلى المرض والقعود، لن يدوم شبابك، ولا صحتك، ولا نشاطك، ولا فراغك بل كل هذه ستجري عليها أحداث التغيير، وستزول في النهاية، وإذا كانت هذه هي الحقائق فمن كمال وعيك أن تستثمر هذه النعم قبل زوالها، وتغتنم كل فرصة قبل فواتها، وتدرك أن كل تفريط يمضي من عمرك غير قابل للتعويض في مستقبل الأيام إلَّا أن يدركه الله تعالى برحمته، ومثلك أوعى بالفقه، فلتكن في مستوى الحدث؛ فما كل نعمة باقية! ولا كل فرصة لديها الاستعداد للانتظار!.

• **وعلّمتني**: أنَّ خلل الرؤية أخطر ما يواجهك ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾﴾ وكل ضياع ـ عافانا الله وإياك ـ إنَّما هو فرع عن خلل ذلك المعنى الكبير. إن أمم الأرض اليوم تعاني خللاً في رؤيتها وضبابية كبيرة جداً أفقدتها بوصلة الشمال، وضاع منها في النهاية كل شيء. ولولا هذا الخلل الذي أصاب هؤلاء في أصل الرؤية لعرفوا لم خلقوا؟ وإلى ماذا سيصيرون في النهايات؟ وماذا ينتظر من أمة أو فرد لا ينتظر حساباً، ولا يخاف من عقاب، وإنَّما هي أشبه ما تكون بالأنعام كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ

يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ [الفرقان: ٤٤] ومن الفقه أن ندرك تلك الرؤية التي حددها الوحي ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] ثم نجهد بكل ما نملك في ملء هذه المساحات بأحداث العمل والبناء، ولا نتوقف حتى نلقى الله تعالى ونحن على الطريق.

سورة البروج

• **علَّمتني سورة البروج**: مكانة المؤمن عند ربه تبارك وتعالى، وحب الله تعالى لعباده المؤمنين، وهذا القسم العظيم منه تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ دليل على مكانة أهل الإيمان ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ لُعن الذين شقُّوا في الأرض حفراً وأوقدوا فيها النيران لتعذيب المؤمنين الصادقين، يتوعدهم الله تعالى بالطرد من رحمته، وأوجب عليهم الخذلان؛ لأنَّهم آذوا عباده وامتحنوهم في دينهم، وتولوا تعذيبهم بالنيران، ومن عرف قدر هذا المعنى قام الله تعالى في قلبه، وزاد تمسُّكه بدينه ومنهجه وأقبل راغباً مجلاً لشريعته، وهو يشعر بروح العزة والجلال تهتف بمشاعره إلى أقصى مدى ممكن. ومن أنت حتى يقوم الله تعالى لك لولا هذا الإيمان الذي تجري معالمه في حياتك كل حين!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الابتلاء سنة إلٰهيّة لا تتخلَّف عن أصحاب الإيمان ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾ وما لهؤلاء وللعذاب بالنار! ما لهم ولأثقال هذا المعنى الكبير لولا أحداث الإيمان

التي قامت في واقعهم حتى تلقاهم البلاء في عرض الطريق، ومن قرأ الوحي أدرك أنَّ البلاء سنة في حق أهل الإيمان كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] وقد سئل النبي ﷺ أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ فقال ﷺ: «**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقَّةٌ ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**»، أخرجه الترمذي، وصحَّحه الألباني. وهذا المعنى موجب للمؤمن ألَّا يتبرَّم مما يصيبه، وأن يعلم أنَّ هذه سُنَّة الله تعالى ويتحمل كل قادم، ويحتسب أجره عند الله تعالى، ويعده من علامات حب الله تعالى له، ويحسن التوكل عليه، والصبر على ما أصابه حتى يحين موعد الفرج بإذن الله تعالى.

• **وعلَّمتني**: سعة رحمة الله تعالى وعفوه وصفحه عن المخطئين مهما كان ذنب الواحد من هؤلاء، فإن هؤلاء حفروا الأخاديد للمؤمنين المساكين وألقوهم فيها وعذبوهم بالنار، وصنعوا فيهم كل شماتة، ومع ذلك يعرض الله تعالى عليهم التوبة قبل فوات أجلها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ ﴿١٠﴾﴾ وأبان بعد ذلك عن صفته اللازمة له تعالى فقال: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ ومن قرأ هذا الوعد بوعي أدرك أنه لا حدَّ لرحمة الله تعالى! وقد قال في كتابه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]،

بل قال لأهل الكفر وقد صنعوا كل قبيح: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨] وهو درس نافع لكل مؤمن مهما كانت خطيئته أن ينيب إلى ربّه تبارك وتعالى، ويستعتب من ذنبه، ويسأله ملحّاً العفو والغفران، لعل الله تعالى أن يقبله ويتـوب عليه ويغفر له، ويعيده عبداً صالحاً من جديد.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الله تعالى يمهـل ولا يهمل، ويمدُّ لعدوه المعرض عن منهجه زمناً طويلاً، ولكنه إذا أخذه لم يفلته ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢]، يخبر تعالى في هذه السـورة عن صفة من صفاته، ومعلم من معالم قوته وجبروته، وأنه إذا بطش صنع كل شيء ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ وإذا تأملت مصارع الأمم في التاريخ التي أجرى عليها بطشه عرفت ما ينتظر الأعداء والمعرضين في مستقبل الأيام، وقد أشار تعالى في ختام هذه السورة إلى ذلك فقال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ وهي قصص تبيِّن كيف أنَّ الله تعالى إذا بطش بعدوه بطشَ بطْـشَ جبار متكبر جلَّ في علاه. وفي قـول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ ما ينبئـك عن مطاردة الله تعالى، وملاحقته لمسلسـل الإعراض عنه وإحلال عقوبته بهم، وجريـان درس التاريخ عليهم كما جرى على من قبلهم لا فرق.

سورة الطارق

• **علَّمتني سورة الطارق**: كمال قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته، ورقابته على كل ما يجري في الكون، وهذا القَسَم العظيم بمخلوقاته تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ٣﴾ على ذلك المعنى ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ٤﴾ وما من نفس في الدنيا من خلق آدم إلى قيام الساعة إلَّا وعليها حافظ من الملائكة يدوّن كل شيء، ويحفظ ذلك عنها حتى يوم القيامة لا يفوت منه شيء. ومن عرف أن كلمته التي يقولها، وحرفه الذي يكتبه، ورسالته التي يدونها، ومشاركته التي يبعث بها، وعمله في مساحة ما، ودوره الذي يقوم به ستأتي مدونة مكتوبة ومضبوطة لا يفوت منها شيء عرف قدر الله تعالى، وقام له بحقه وأجلَّ شرعه، وقام له بواجباته، وصنع له كل شيء ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ٤﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل إنسان خلق من نطفة ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦﴾ لا فرق بين أمير ووزير، وعالم وجاهل، وصغير وكبير، ورجل وامرأة على حدٍّ سواء. ومعرفة هذا المعنى مؤثِّرة في

معرفة الإنسان لنفسه وإدراكه لواقعه، ومؤذنة بإذن الله تعالى بتواضعه وقيامه بحقوق من حوله من العالمين. نسيان هذه القضية ولَّد بين الناس تمايزاً على غير هدى الوحي، وصنع فروقات من آثار الجاهلية، وخلَّف نزاعاً سافراً بين كثيرين في قضايا نسب، وقبيلي وغير قبيلي، وخلق بين الناس نوعاً من الجاهليات باتت تأخذ حظها من نفوسهم وواقعهم مع الأيام، ونشأ على إثر ذلك نزاعات كثيرة جداً أفضت إلى ضياع حقوق بعض هؤلاء وهم من أهل الإيمان، وصار التعامل على أشياء من ظاهر الحياة، وليس لها صلة بقيمها في شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ مدار الفوز والخسارة يوم القيامة على صلاح القلوب ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ وأعظم الأعمال أثراً في حياة صاحبها ما جرى بها في فلك الإخلاص لله تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] ومن فقه هذا المعنى أقبل على قلبه وتعاهد نيَّته وصحَّح منها ما استطاع، وكرَّس جهده في سبيل تلك الغايات الكبرى، وعلم علم اليقين أن المخلوقين لا ينفعون في شربة ماءٍ فضلاً عن غيرها من الأحداث، وفي الحديث: «**إنَّما الأعمال بالنيات**»، فلا تبرح هذا المعنى في كل جهد تبذله، أو عمل تقوم به سواء كان عملاً أو تركاً، وقد كان بعض سلفك يقول: (إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي). واعلم أن ما يجري في قلبك عليه مدار فلاحك

وخســارتك، وما تطويه نيتك سيؤثر على ما يســتقبلك، ولن تنفعك الصور في شيء، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الوحي عاصمٌ من الضلال ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ١٤﴾ ومن فقهك وكمال علمك أن تردَّ إليه كل شيء، صغر الأمر أو كبر، جــلَّ أو حقر! ونحن فــي زمن فتن، وتموج فــي الأمة أفكار ومفاهيم وتصورات يراد بها تبديل وتغيير الدين، وأدنى تهاون في هذه القضية مفضٍ إلى ضياع مفاهيم ضخمة لدين الله تعالى. ولن يرد الأمة إلى رشــدها، ويعيد لها صحتها وعافيتها البدنيــة والمعنوية إلا عمل مرتب منظم، يجــري من خلال أفــكار ومفاهيم وتصــورات الوحي فحســب. ولو أن كل فرد منَّا ردَّ كل ما يعرض له على الوحي وحاكمه إليه لعاش على نور وهدى ما بقيت الدنيا.

• **وعلَّمتني**: أنَّ جهــود الأعداء مهما بلغ شــأنها وحجمها وأثرها الظاهــري الكبير في الكــون فهي إلى ضيــاع! ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ١٧﴾ فلا يغرك ما تراه منهم، ولا يؤذي قلبك ما تسمع به من أخبار وأحداث، فإنَّها وإن طال زمان أثرها ليأتينَّ عليها زمان بالضياع. هذا هو وعد الله تعالى ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ١٧﴾ ولن يخلــف الله تعالى وعده. وإذا امتلأ قلبك من

هذا الوعد، وجرى في مشاعرك كان لزاماً أن تصدق في التزامك بمنهج الله تعالى، وأن تقوم بحظوظ دينك ورأســك يطاول السماء، وتقرّر ألّا تهزمك ظروف زمانك مهما كانت شدتها وغربتها، وسيحين ذلك الوعد وترى بعينيك ما يجري الحياة في قلبك إلى أقصى مدى.

سورة الأعلى

• **علّمتني سورة الأعلى**: أنَّ من كمال توفيق الله تعالى لعبده أن يرزقه إجلاله وتعظيمه والقيام بحقّه، وتنزيهه عن النقائص، قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ٥﴾ فهذا الكون بجماداته وحيواناته وطيره وحشراته دليل قدرته تعالى، وقد قال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨] وحق هذا المعنى الكبير الإجلال والتعظيم والتنزيه، ومن تأمل هذا الإبداع في خلقه تعالى أدرك ما لربه عليه من حق، وقام له بكل واجب، وصنع له كل شيء.

• **وعلّمتني**: أنَّ حظوظ الداعية إلى الله تعالى كبيرة وضخمة ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠﴾ وحقُّ هذا المعنى ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ١٠﴾ أن يقع في شغاف قلبك ومشاعرك، سواء كنت أباً أو معلماً أو زوجاً أو مربياً في أي مساحة من الأرض، وهي بشارة على أنَّ كلمتك ستبلغ موقعها من قلوب السامعين يوماً ما خاصة تلك المواعظ التي تجلُّ الوحي وتعتني به، وتجعله هو الوسيلة الضخمة

لإقناع الآخرين بدين الله تعالى. وهي نافذة في المقابل تُطلُّ بك على الأمل. وكم من أحـداث وأخبار من آثار الدعـوة على أصحابها بعد طول زمان! قال أحدهم: دُعيت للقاء وقد أرهقت في السـفر، وحين ألقيت كلمتـي صاحبها فوضـى وضعف ترتيب، وعـدم عناية حتى تمنَّيـت وأنا ألقي أنّنـي لم أجب هـذه الدعوة، وكنـت أبحث عن الخلاص بكل طريـق، وحين فرغت من محاضرتـي خرجت وكلي أسف على ما حصل، واعتبرت ذلك نوعاً من ضياع الوقت، وسافرت وفي أثناء نزولي من الطائرة وإذا بمتصل يقـول لي: كنت عندنا قبل قليل، وأبشّرك بأنّني قررت أن أغيّر واقعي وأبدأ حياةً جديدة. وكم من خبر مدهش كان أقـرب ما يكون! وكم من سـامع للموعظة ردَّ بعد طول غياب! وكم من كلمة ودور وجهد صنع لصاحبه كل شيء! يجب أن نؤدي أدوارنا ونملأ مسـاحاتنا ونحن موقنيـن بهذا الوعد العظيم ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾ طـال زمان تلك الذكرى أو قـرب، بَعُدَ أو قصر لا فرق.

• **وعلّمتني**: أنَّ مـن أكبـر المشـكلات التي تواجـه عالم اليوم الانشغال بالفانية على حساب الباقية ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧﴾ كثيرون اليوم الذين يسـيطر عليهم التفكيـر في الدنيا لدرجة أنّهم لم يبقوا للآخرة شـيئاً، وثمة نجاحـات كبيرة في قضايا الدنيا، ولكنها في مرات كثيرة على حسـاب تلك الدار. ومن آثار هذا

المعنى من يتاجر وينافس بقوة، ويعرف كل شـــيء عــن إدارة المال والإبداع فـــي زيادته، وهو فـــي الوقت ذاته لا يعتني بأمـــر آخرته في شـــيء؛ فقد يجمع من حرام، أو ربا، أو غش، ثم لا ينظر إلا إلى تلك الزيادات التي يكاثر بها حســـابه، وفي المقابل قد يكون حريصاً على جمع الأمـــوال ومتفنّناً في جمعهـــا، ومن طرق مباحـــة، ولكنَّها تبقى مكدَّسة عن الإنفاق في سبيل الله تعالى، فيبقى أشقى من يكون بذلك المال. ومن فَقِهَ آخرته وما أعد الله تعالى له في تلك الدار صنع لنفسه شيئاً، وأقبل عازماً صادقاً، وخلَّف الدنيا وراء ظهره، وكتب حظه أوفى ما يكون في الدارين.

سورة الغاشية

• **علَّمتني سورة الغاشية**: أنَّ من أراد بناء مستقبله بوعي فعليه أن يبدأ من خلال الوحي، وهذه النهايات التي تكشفها سورة الغاشية للمهتدين والضالّين واحدة من تفاصيل تلك الهداية التي يملكها الوحي، ومن تأمل هذه النهايات التي يسردها الوحي للضائعين ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ عرف ما ينتظر كل إنسان في النهايات. تعرض لنا السورة حال المفرّطين في صناعة مستقبلهم الضائعين في النهايات، وتحكي لنا حالهم في النار: وجوه خاشعة ذليلة متعبة مجهدة مكبلة بالسلاسل ومقيدة بالأغلال وفي نار جهنم، يشربون من عين بلغ ماؤها غايته في الحرارة، ويأكلون أخبث الطعام وأنتنه لا يسدُّ رمقاً، ولا يسمن ولا يغني من جوع. وتعرض لنا في المقابل تلك الأفراح التي تتهادى إلى قلوب الفائزين الناجحين ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾ وما قارئ لهذه الأحداث إلا آخذ منها العبر!.

• **وعلّمتني**: أنّ التفكر في مخلوقات الله تعالى وسيلة من وسائل الهداية إلى الله تعالى ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ ومن أعطى هذا الخلق بعض وقته وتفكيره دلّه على الله تعالى من أقرب الطرق! وهذه الوسيلة إحدى وسائل التعرف على الله تعالى وتعظيمه وإجلاله، وقد دلّنا الله تعالى في جملة آيات من كتابه تعالى على التفكر والتدبر في شأن هذا الخلق، وكم من متَّعظٍ بمشهد واحد من تلك المشاهد! وكم من معرضٍ وقد رأى ألف مشهد، وما صنع في قلبه شيئاً من الذكرى!.

• **وعلّمتني**: أنّ مسؤولية الداعية إلى الله تعالى إيضاح الحق بدليله وبراهينه ووسائله الممكنة والفاعلة في الوقت ذاته، وما عدا ذلك فمردُّه إلى الله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] وحسب الداعية بذل الممكن وزيادة حركته الفاعلة في واقعه وجهده في سبيل إبلاغ دين الله تعالى بكل طريق، وألّا يدّخر جهداً سواء في تأهيل نفسه وإعدادها لهذه المهمة الضخمة، أو في اختيار الطريق الأمثل لوصول هذه المعاني إلى قلوب المدعوين، وليس له بعد ذلك من شيء.

إنّ مهمة الداعية ـ سواء كان أباً في بيته، أو زوجاً مع زوجه، أو معلماً في مدرسته وحلقته، أو إمام مسجد، أو مربياً في محضن من المحاضن ـ إيصال مفاهيم الوحي بأنجع الطرق والأساليب، ويدع

ما بقي لربه تعالــى ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾
ونخطئ في مرات كثيرة جداً حين نحســب عوائدنـا من هذه الدعوة، ونجهد في معرفة الثمار، ومن كان حريصاً على ذلك أوشــك أن يقعد عن العمل ولو بعد حين.

سورة الفجر

• **علَّمتني سورة الفجر**: أنَّ غالب صور الفساد التي تجري في المجتمعات تستمد تصوراتها من أمراض ثلاثة: (القوة، والسلطان، والمال)، وما يجري من بغي وطغيان في حياة الأفراد فضلاً عن الجماعات والأمم إنَّما هو أثر لتلك الأمراض! وشواهد هذا المعنى كثيرة ومتعددة في التاريخ الماضي والحاضر على حدٍّ سواء، ومن تأمَّل التاريخ وقرأ الوحي وجد أنَّ كل طغيان من الأفراد أو الجماعات سببه وموقد فتيل الفوضى فيه هي هذه القوى الثلاث، وما قصة أقوام الكفر التي جاءت في كتاب الله تعالى من الأمم السابقة إلَّا بعضاً من ذلك، وقد قال الله تعالى في معرض ذكر عاد: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] وفرعون قال في معرض الاستبداد: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] متكئاً على تلك القوى التي أمده الله تعالى بها، وقارون حين كثرت خزائنه قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]، ومازالت بهم حتى جعلتهم عظة وذكرى للمعتبرين!. ومن فقهك أن تعرف أثر نعم الله تعالى عليك، وتستثمر كل ما آتاك الله تعالى في عبادته، ونصر دينه ومنهجه، ثم لا يفتك أن تنقِّب عن أمراضك وأخطائك ودخائل نفسك، وتحرص على علاجها حتى لا تتفشَّى مع الأيام، وتكون عقبة في طريق فلاحك في الدارين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ لله تعالى عادةً مطَّردة لا تتخلَّف، وسُنَّة إلٰهية لا تتأخَّر، وهي أنه تعالى يُمهل كل معارض، ويمد له في الأمد، ولا يعاجله بالعقوبة حتى إذا ما أخذ حظه من العبرة والذكرى، ورفض أن يلوي عنقه للحق أخذه أخذ عزيز مقتدر، وجعله عبرةً وذكرى للعالمين، سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أو الجماعات والأمم لا فرق. ترى ذلك في قول الله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣﴾ بعد أن أخذت أقوام عاد وثمود وفرعون حظها من الفرص، وقامت عليها العظة، واستنفدت كل سبل الذكرى، ومع كل ذلك لم يبالوا ﴿فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢﴾ فكانت عواقب السوء في النهايات ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣﴾ ثم قال الله تعالى محذِّراً ومذكِّراً ومنبِّهاً أن السُّنَّة جارية في حق كلِّ من سار على ذات الطريق: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ فساد التصوُّرات أسوأ ما يواجه الإنسان ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦﴾ رأى هؤلاء أنَّ زيادة المال ونقصه دليل على رضا الله تعالى أو سخطه، ومتى كانت زيادة المال أو قلته دليلاً على رضا الله تعالى أو سخطه؟! ولكن هكذا يصنع فساد التصوُّرات. ومسألة التصوُّرات في غاية الخطورة، ومن الوعي أن يجهد الإنسان في بناء التصوُّرات الصحيحة في حياته، ويحذر غاية الحذر من نشوء أوهام لا علاقة لها بالحقائق في شيء، ومن أراد أن يبني تصوراته بصورة

صحيحة، فلا يبرح الوحي (قرآناً وسُنَّة)، وسيجد في النهاية كل شيء. وثمة قضايا كبيرة في تفكير الإنسان دخلها الفساد من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، أو أصدقاء سوء، أو مواقع مشبوهة سواء كانت في دين الإنسان، أو فقهه عن الحياة، أو تعامله مع الآخرين، أو نظرته للواقع، وكل هذه الجوانب ما لم تُعرض على خارطة الوحي سيكون صاحبها عرضة للضلال مع مرور الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ بناء مستقبلك الكبير لا يأتي من خلال أماني، وإنَّما يحتاج إلى عمل وجهد كبير، يناسب تلك الأماني التي تتوق إلى أحداثها. لقد حكت سورة الفجر جملةً من الأماني لأصحابها ولكن بعد الفوات! ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ وما تنفع الأماني بعد الفوات! وما تصنع لصاحبها وقد أضاع كل شيء. كم هي الفرص التي تعرض لإنسان في الدنيا، وقد تفوت بلا عودة! الشباب والفراغ والصحة والوظيفة والمكانة وبسط الرزق، وجملة من المهارات والإمكانات والطاقات التي تجري في حياة كثيرين لم تستوعب بشكل أمثل، وربما يفوت استثمارها على كثيرين، وكان يمكن للواحد أن يصنع منها كل شيء، بل الحياة في ذاتها فرصة كبيرة لصناعة آمال الآخرة بأوسع ما يكون لو أدرك صاحب وعي.

سورة البلد

• **علَّمتني سورة البلد**: أنَّ جنس الإنسان مخلوق في كبد وعناء ومشقة، وهذا القَسَم من ربك بمخلوقاته: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ على تقرير هذه القضية ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾! ومعرفة هذا المعنى مفضٍ بصاحبه إلى الراحة والطمأنينة والاستقرار، وكم من متحسّرٍ على واقعه يحسب أن غيره في لذائذ لا ينفك عنها، وفاتَهُ أنَّ هذا الأصل يجري في حياة كل إنسان بحسبه. مشكلة كثيرين اليوم أنَّه يفوتهم هذا الوعي الذي تقرره السورة، ويفوتهم بذلك كثير من الاستقرار والطمأنينة حين يرون بأن غيرهم يعيش في أحلامه، ويجري في فلك سعادته، وليس لديه ما يواجهه من شقاء، وهم يعيشون في نكباتها، ويجدون من حزنها وألمها ما يجدون! وليس الأمر كذلك، وكلٌّ في فلكه يجدُ منها ما يجد غيره لا فرق، وإذا كان الأمر كذلك فمن كمال عقلك ووعيك أن تخلّي بينك وبين قلبك، وأن ترى الحياة من هذا المنظار، وتفرح بكل ما تجده في عرض الطريق، وتحمد الله تعالى على ما آتاك، وتعلم يقيناً أنَّ الله تعالى حجب عنك ما فيه مضرة عليك أو ليس من

مصلحتك، وحالك بدونه أفضل وأجمل وأسلم لك في العواقب مع الأيام، وتحمد الله تعالى على كل حال.

• **وعلّمتني**: خطر الأوهام في حياة النـاس، وأنّها قاعدة كثير من الأخطاء والإخفاقات التي يواجهها الإنسان في حياته؛ كصورة هذا الذي يسـيء في حق ربه تبارك وتعالى، ويظن أنه في منأى عن ربه وبمعزل عن رقابته، فيجري فـي فلك الحياة كما يشـاء ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾ بلغت به الأوهام للدرجة التي يفضي فيها إلى محارم الله تعالى، ويظنُّ أنّه لا رقيب ولا حسـيب على ما يفعله، بل لا قدرة لله تعالى عليه، ويعبث بأمواله في معاصي ربه، ويظنُّ وهماً كذلك أنّه يتصـرف بعيداً عن علم الله تعالى ورقابته، وفاته أن الله تعالى يرى كل شـيء، ويرصد له كل حركة، ولا يتخلّف عن علم الله تعالى في شيء، ولكن يُجري عليه السنن، وهو في غفلة من شأنه. كم من إنسان يعارض حكم الله تعالى، ويقف في وجه دينه ومنهجه وتتأخر عقوبته، ويظن أنه في الطريق الصحيح وقد أوشك على الهلاك! وكم من إنسـان يتخلّف عن واجباته، ويسيطر عليه وهم بأن الأمر في ذلك بسـيط، ولا يتطلـب هذا القلق وقد شـارف على الضياع! فضلاً عـن كثيرين تجري الأوهام في حياتهم في كل شـيء، ويظنون أنهم على الحقائق في كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ نِعَمَ الله تعالى على الإنسان كثيرة ومتنوعة، وهي أحوج ما تكون إلى شكر وإجلال ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨] ولو لم يكن من ذلك إلا هذا البصر الذي ترى به كل شيء، وكم من أعمى يضيع في الطريق ألف مرة، ويشتهي أن يرى ولو للحظة! فضلاً عن هذا اللسان الذي يفصح به عن شهواته وملذاته واحتياجاته، وكم من أبكم يحتاج إلى زمن ليوصل لك رسالة، ويبين لك عن حاجته وقد لا ينجح في شيء من ذلك، ويعود وقد جرى في قلبه ألف أسى! إنَّ من فقه صاحب النعمة وكمال وعيه أن يتعرَّف على هذه النعم، ويجهد في توظيفها التوظيف الأمثل، ويتقوَّى بها على طاعة الله تعالى، ويحذر غاية الحذر أن تكون جزءاً من ظلام، أو عوناً على رذيلة في يوم من الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ التكاتف والتعاضد والتناصر والتحاضّ على فضائل الأمور صفات المجتمعات الناهضة ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦﴾ وفي البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين**»، وأشار بأصبعيه السبابة والإبهام. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله تعالى، أو القائم الليل الصائم النهار**». وهذه المعاني من فروض الكفايات التي لا يجوز للأمة تركها

البتة. وحضارة الأمة مرهونة بالتعاون في مثل هذه الجوانب، وسدّ فقر هذه الفئات، وإعانتها على الحيــاة الكريمة، والتعاضد معها والتناصر حتى تستغني بذاتها يوماً من الدهر.

سورة الشمس

• **علّمتني سورة الشمس:** أنَّ النجـاح والإخفـاق مسـؤوليتك الشـخصية، وقد خلق الله تعالى الإنسـان وزوَّده بالطاقات والقدرات والإمكانات كافة، وألهمه كل شـيء، ومكَّنه من طريق الخير والشـر، وجعل له القرار في كل ذلك كما قال تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾، وهو ذاته الذي يختار طريقه بنفسه، ويقرِّر ما يريد أن يكون في النهاية، وقد بعث الله تعالـى له أعظم رسـله، وأنزل عليه أعظـم كتبه، وهذا المعنى كافٍ ببعث روح الأمل في حياتـك، فليس بينك وبين أمانيك سوى القرار. جزء من مشـكلاتنا اليوم أنَّنا نعاني أزمة ثقة في ما ملَّكنا الله تعالى من قـدرات ومهارات وقرارات، ونظل نشـكِّك في كل هذه المعطيات، ولدينا قناعات تأصَّلت منذ زمن أنَّ النجاح محدود والبيئات لا تسـاعد على ذلك النجاح، وسـتظل كل الأماني التي نرقبها مجرد أوهام لا واقع لها مع الأيـام، ومن تأمل هذا المعنـى الكبير في هذه السورة ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾ أدرك أنَّه مسؤول عن كل قرار يتخذه، وكل تصرف يتصرفه، وكل حركة يفعلها لأنه يملك كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الفلاح كل الفلاح في طاعــة الله تعالى، وأنَّ من أقبل على ربه تعالى صادقاً ألقى الله تعالى في قلبه الحياة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾ وأنَّ هــذه الدنيــا دار اختبــار وامتحان، والفائــز فيها من استثمرها في الطريق إلى الله تعالى، وهذا الفلاح الذي تشير إليه الآية ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ ﴾ صناعة شــخصية في مقدور كل إنسان وليس دونه شــيء. فآمِنْ أنك قادر على صناعة واقعك، وكن في مســتوى الحدث، وتذكَّر بلالاً الحبشي الفقير المسكين الذي شهد له النبي ﷺ بأنه سمع قرع نعاله في الجنان، ومازال في الدنيا، ومثله تلك المرأة التي اشــتاقت للجنان فرضيت بالمرض، وبقيت تعيش الصرع طول تلك الفترة التي عاشــتها في انتظار تلك الأمنية الكبرى «**وإن شــئتِ صبــرت ولك الجنــة**»، وابــن أم مكتــوم رضي الله عنه عاتــب الله تعالى فيه رســوله ﷺ لمجرد أنه عبس في وجهه وهو لم يره أصــلاً، فأَفِقْ قبل فوات الفرص، وتذكر أنه ليس في مقابل ذلك إلا الفشــل والحرمان والضيــاع ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ خاب فــي الدارين، فلا هو الذي حصَّل شيئاً يسعده، ولا هو الذي وجد شيئاً يستحق الفرح في آخرته.

• **وعلَّمتني**: أنَّ العيــش للأفــكار الناهضة والمشــاريع الضخمة والقضايا الكبــرى لا تصلــح إلا لأمثالك، ومن الغبــن أن تعيش في مساحة ما ثم لا تكتب فيها حدثاً، ولا تشــعل فيها فتيلاً يبدد الظلام، ولا تصنع فيها ربيعاً مورقاً مع الأيام. تعرض لك ســورة الشمس قصة

ذلك المشؤوم الذي حمل فكرة باطلة، وتحمل أعباء مشروع الضلال، وناضل من أجل الخذلان ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ۝١٢﴾ وهو قدّار بن سالف الذي أبى إلا أن يكون مسؤولاً أولاً عن الضياع، وتجري على ظهره أثقال العدوان إلى يوم القيامة! أفيكون هذا المشؤوم أقدر منك على حمل الفكرة، وتحمُّل تبعات المشروع والنضال من أجل قضيته التي يؤمن بها، وأنت على الطريق وصاحب المنهج، وأولى بصناعة شجون النجاح مازلت واقفاً متردداً! إنَّ من الفقه وكمال الوعي أن يعي الإنسان دوره ويهيئ نفسه، ويتأهل لصناعة مستقبله من خلال تبني الأفكار الجادة والمبادرات الكبيرة التي يصنع بها لنفسه النجاح في الدارين. وقل مثل ذلك في المجتمعات التي يجب أن تتآزر على الفضيلة، وتقوم بدورها الكبير في الإصلاح، وتشارك في مدِّ أحداث الفضيلة في واقعها، ومن الغبن أن تعي ثمود دور التعاون في الظلم والعدوان ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ۝١١﴾ ولا يعي مجتمع من مجتمعات المسلمين دوره الكبير في بناء الإصلاح والفضيلة.

• **وعلَّمتني**: خطر الذنوب، فإنَّها مازالت بقبيلة ثمود حتى حلَّ عليهم غضب الله تعالى وسخطه ﴿فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤﴾ وردَّ سبب ذلك العذاب إلى ذنوبهم، وأنها سبب ما حصل لهم من نهايات السوء، نعوذ الله من الخذلان. وكم من معصية أضاعت مشروع صاحبها! وأخرى ألقت في بيته الخلاف والنزاع والفوضى!

وثالثة كانت سبباً في إفلاســه، وأصبح ينوء بالديون بعد العافية منها! وآثارها أكبر في ذلك بكثير، غير أنَّ غبارهــا لا يثور من ذلك الحين، وقد تتحسّس أثرها فلا ترى له واقعاً، وإذا به مع الأيام يسرق منك كل شــيء حتى تحل بك النكبات بعد نسيان. والله المســتعان! فلا يغرَّك تأخُّر عواقب الذنب، فكم من متأخر جاء بأسوأ العواقب والنكبات!.

سورة الليل

• **علّمتني سورة الليل**: أنَّ اختلاف النتائج في الدارين وقف على اختلاف العمل ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ كم هم الذين يدركون هذه الحقيقة! وكم هم الذين يتفاعلون معها! وعلى قدر هذا العمل ستكون نتائج الختام، ولهذا المعنى تجد في كتاب الله تعالى ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ [الحديد: ٢١]، ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] وفي البخاري أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ أهل الجنة يتراءَون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءَون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتُفاضل ما بينهم**»، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين**»، ومن هذا الباب كانت تلك الأجيال التي عاشت مع رسول الله ﷺ تستشعر هذا المعنى، وتبذل في سبيله كل ممكن حتى قال أبو بكر رضي الله عنه: وهل على أحد من حرج أن يدخل من أبواب الجنة الثمانية كلها؟ فقال ﷺ: «**لا، وأرجو يا أبا بكر أن تُدعى من أبواب الجنة الثمانية كلها**»، واهتز عرش الرحمٰن لموت سعد بن معاذ، وعمره في الإسلام ست سنوات، وأنفق عثمان رضي الله عنه ماله حتى قال له رسول الله ﷺ: «**ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم**»، فكن واعياً

بقدر زمانك، وإن استطعت ألَّا يسبقك أحد إلى الجنة، فافعل فتلك هي صنائع الكبار.

• **وعلَّمتني**: أنَّ نجاح الإنسان وتحقيق آماله وقف على الخطوة الأولى. ومثل ذلك إخفاقه وفشله، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ ﴾ فهذا الذي بذل وبادر وقام إلى صناعة واقعه متفائلاً كانت النهاية له ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ ﴾ اليسرى في قلبه ومشاعره، واليسرى في بيته وزوجه وولده، واليسرى في عمله وفكرته ومشروعه، واليسرى في ماله وراتبه، واليسرى في كل شيء من حياته. والآخر الذي رفض فكرة الخطوة الأولى وقعد ينتظر غيث السماء دون جهد وعناء حكى الله تعالى واقعه وبيَّن حاله ونهايته ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ ﴾ فالنتيجة التي تنتظره ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ العسرى في قلبه ومشاعره، والعسرى في بيته وزوجه وولده، والعسرى في عمله وفكرته ومشروعه، والعسرى في ماله وراتبه، والعسرى في كل شيء من حياته. والدرس الكبير أنَّك أنت من تصنع ربيع أيامك، وأنت من يقف دون تلك الأماني الكبار. وكم من خطوة فتحت أبواباً للأمل! وصنعت فألاً في واقعك! وكم من خطوة بدَّدت نعماً، وأثارت مشكلات، وصنعت واقعاً بئيساً في حياة صاحبها زمناً من الدهر!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من فقه الإنسان وكمال وعيه أن تكون قدراته وطاقاته ومهاراته وإمكاناته في سبيل دينه ومنهجه وعقيدته، وإلا فهي دليل شقاء صاحبه، وضياعه في الدارين ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ١١﴾ وما يصنع لك عقلك وفكرك ومالك ومهارتك وقدراتك إذا لم تكن في الطريق إلى الله تعالى! كان هذا يملك مالاً ولكنه عاش شحيحاً به، فلا يصنع له يوم القيامة موقعاً، ولا يدفع عنه في تلك المواقف شيئاً. كم من مال وقدرات ومهارات وإمكانات كانت الحياة الكبرى لصاحبها! وكم من مال وقدرات ومهارات وإمكانات في المقابل كانت ضياعاً وفوضى! كم هي عوائد الوعي على أبي بكر ﷺ! وعوائد المال على عثمان ﷺ! وعوائد العلم على معاذ ﷺ! وعوائد كتاب الله تعالى على أبيٍّ ﷺ! وكم هي في المقابل عوائد المسؤولية والمال على أبي جهل وأبي لهب وآخرين ذهبوا رغم كل ما يملكون حطباً للنار، والله المستعان! تعرَّف على ما تملك من ثروات ضخمة، ثم ابذل جهدك في بناء صرحك بها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، والله يتولانا وإياك في الدارين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإخلاص لله تعالى أعظم الأعمال بل هو لبُّها وروحها وأثرها في الدارين! وهذا الثناء العطر على أبي بكر الصديق ﷺ والذي حوَّل ماله وكل شيء من حياته لصالح دينه ومنهجه لا يبتغي بذلك ثناءً من أحد من العالمين ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى

مَا لَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ وتأتي النهايات بهذه النتائج الضخمة ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥] ومن أراد الله تعالى خالصاً جرت له أحداث الحياة كما يشاء. وشأن الإخلاص عظيم، والرياء أخطر الأمراض وأضرها على عملك في الدارين، وفي الحديث أنَّ أول ثلاثة تُسعَّر بهم نار جهنم يوم القيامة: (مجاهدٌ، وحافظٌ للقرآن، ومتصدِّقٌ) وكل ذلك لأنهم أرادوا بهذه الأعمال عاجل الحياة، وفاتهم رجاء ما عند الله تعالى. ومن فقهك وكمال وعيك أن تتخلَّص من شوائب دنياك، وأن تقبل على الله تعالى في عملك، وألَّا ترجو أحداً من العالمين في شيء، وعملك أثمن من أن يذهب سدىً لعارض الرياء.

سورة الضحى

• **علَّمتني سورة الضحى**: حبّ الله تعالى لنبيه ﷺ ورعايته له، ترى ذلك من خلال هذه السورة الخالصة له ﷺ، يخبره الله تعالى فيها بأنه يرعى مشاعره، ويواجه الباطل عنه، ويذود عنه أعداءه من حوله ويسلّيه بما أعدَّ له في الدارين ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾ وهـي دعوة لكل مؤمن أن يسـلك ذات الطريق ليلقى في النهايـة ذات النعيم. إنَّ حاجة الإنسـان إلى ربه فـوق كل حاجة، ولكن بلـوغ آماله من تلك الحاجة لا يأتـي بالأماني، وإنَّمـا يحتاج إلى جهد وعنـاء حتى يبلغ بصاحبها إلى ما يريد، وقد أبانت السـورة كيف أنَّ الله تعالى إذا رضي عن إنسان أعطاه! وإذا أعطاه أدهشه بذلك العطاء!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الـرد علـى الأقاويـل الباطلة والحجـج الواهية والمقالات الكاذبة جزء من منهج القـرآن. لقد تولى الله تعالى دحض حجج المكذّبيـن الضالّين والمفترين على نبيـه ﷺ بقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ كمـا فـي الصحيحيـن مـن حديـث جندب بن

عبد الله رضي الله عنه، قال: اشتكى ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد! إني لأرجو أنَّ شيطانك تركك، لم أره قربَك منذ ليلتين أو ثلاثاً، فسلَّاه الله تعالى بهذه السورة التي سَلَّت كل عناء وألم من قلبه وألقت به للأفراح، ولا يقوم الحق في مرات كثيرة إلَّا على دحض شبه أهل الباطل، وتقويضها من الأصل، وردمها على هامة صاحبها! ونحن في زمن انتشرت فيه الشبه وكلام أهل الباطل والأوهام، ويحاول العدو جاهداً في هدم تصورات الحق وإبدالها بتصورات الباطل، والحاجة ملحَّةٌ إلى طلاب علم ينقضون تلك الحجج، ويبنون للإسلام عروشاً للمجد من خلال ذلك، على ألَّا تكون هي الأصل أو تأخذ أكبر من حجمها، وألَّا ينشغل بها الإنسان عن إدارة أولوياته الكبرى في الحياة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ من وعي المؤمن تذكُّر الماضي والاستفادة من توظيفه في مستقبل الأيام، حين امتن الله تعالى على نبيه ﷺ بقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ ذكَّره بما منَّ الله تعالى عليه في سالف دهره وأول أيامه بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ وهذا المعنى مهم ومؤثِّر في بناء الإنسان لذاته وعنايته ببناء مستقبله، وذكَّره الله تعالى بما يجري في مستقبله بناءً على ماضيه الذي عاشه ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ كأنه يقول له: لقد عشت هذه المعاني وجرت في أيامك الأول، ومن فقهك أن

تبقى على خاطرك، فإن ذلك أبلغ في تحقيق رسالتك وبلوغ آمالك مع الآخرين، وكان كذلك ﷺ في تعامله مع كل هؤلاء دون استثناء. وكل إنسان مسؤول عن تذكُّر الماضي بالدرجة التي توقظه لبناء مستقبله لا التي تعيقه، وتسهم في تخلُّفه مع الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الحديث عن نعم الله تعالى من باب الشكر كمال وعي، لقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يحدِّث بنعمه عليه من باب الشكر، وإجلال النعم، والقيام بحقها، وتوظيفها التوظيف الأمثل في حياته، وليس من باب الامتنان الشخصي لذاته، وهذا فقه وكمال وعي، وكلَّما أفضى بك الحديث عن نعم الله تعالى إلى إجلالها وتعظيمها، وعدم نسيانها ورُزقت خشيةً وإخباتاً وصدقاً مع ربك تعالى كانت أدعى لتدلي الثمار قبل أوانها، وتحذر في المقابل أن تجري على لسانك صورةً وشكلاً وقلبك منطوٍ على أنَّ ذلك دليل قدرتك وتفوقك وتميزك على من حولك، فإن ذلك باب سوء، ومثلك أوعى أن يجري بك الشيطان في فلكه يوماً ما، وإياك والمهلكات الثلاث: (أنا، لي، وعندي)، وقد ذهب أصحابها عبرةً في التاريخ.

سورة الشرح

• **علَّمتني سورة الشرح**: عناية الله تعالى برسوله ﷺ، ترى ذلك من خلال شرحه لصدره، ووضع أوزاره عنه، ورفع ذكره ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ وماذا بقي له ﷺ بعد هذا اللطف والرعاية والإكرام التي لقيها من ربه تبارك وتعالى، فالله تعالى إذا أعطى أدهش! وإذا رضي عن إنسان أعطاه كل شيء! وفتح له أبواباً من النعيم لا تغلق مدى الحياة! ومن أراد هذه المعاني، فليحسن صلته بالله تعالى، وليصدق في الطريق إليه، وليحسن الإقبال عليه، وستجري عليه ذات المعاني، وسيجد حياةً ما كانت له على بال! ليس بين الله تعالى وبين خلقه نسب، وهذه المنح تجري لكل إنسان على قدر صدقه مع ربه تعالى، وقيامه بحظوظ العمل، وقد كان ﷺ يصلِّي حتى تتورَّم قدماه من طول القيام، وتُناصحه عائشة ﵂ فيقول: «**أفلا أكون عبداً شكوراً!**». وكان يصوم حتى يقال لا يفطر، وكان أجود ما يكون بوقته وماله وفكره وحياته كلها في سبيل الله تعالى، ومن سار على ذات الطريق وصل يوماً من الدهر.

• **وعلَّمتني**: أنَّ للذنـوب أثقالاً وأحمالاً! فمـن جملة المنن التي امتنَّ الله تعالى بها على عبده ورسـوله محمد ﷺ أن وضع عنه ذنوبه، وخفَّف عنـه أثقالها، وألقى عنـه أحمالها ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ ومن المعلوم أنَّ الأنبياء معصومون من الكبائر والخيانة، وتقع منهم صغائر الذنوب أو خلاف الأولى، ومع ذلك أخبر الله تعالى أنه كانت كالأثقال على ظهـره ﷺ؛ فكيف بأصحاب الكبائر! ومن هذا المعنى قال الحسن لمن سأله عن رغبته في قيام الليل وعدم قدرته على ذلك قال: قوم كبَّلتهم معاصيهم عن طاعة الله تعالى. اهـ.

كم من محرومٍ عن صلاة الجماعة لا يسـتطيع النهوض من فراشه! وكم من سامعٍ لأحداث القرآن في حياة كثيرين، ولا يستطيع أن يمد يده إليه! وكم ممَّن يملك مالاً ولكنه يقف مغلول اليد عن الإنفاق! وكم من إنسان تتقطع نفسه حسرات على كثير من الأعمال الصالحة ويموت ألف مرة دونها. ومن الفقه والوعي إذا رأيت من نفسك تأخراً عن طاعة، وثقلاً عن خيـر، وتباطؤاً في صالح الأعمال، فأدرك نفسـك فإنَّما هذه صناعة المعاصي ألقت بأحمالها على قلبك حتى أبقتك محروماً من كل شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل عسر مقابل بيسرين، يسر قبله ويسر بعده، ذلك أن الله تعالى ذكر العسر مُعرَّفاً مرتين، فهو عسرٌ واحدٌ لا ثاني له، وذكر اليسر منكَّراً مرتين فهما يسران، ولن يغلب عسر يسرين ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ فما ضاقت أزمة إلا انفرجت، وما حلت ظلمة إلا

زالت، وما حدث كرب إلا فُرج، وإنَّما هي أيام ثم تحين مواعيد الفرح من جديد. كم لقـي النبـي ﷺ وأصحابه في مكة مـن تعذيب وطرد وحصار وأيام بؤس، وكلها انجلت في لحظـة من لحظات غزوة بدر، وجاء الفجر بعد ليل طويل! وكم هي أفراح بدر مقارنة بأفراح فتح مكة في النهايات، ودخول الناس في دين الله تعالى أفواجاً! وكم هو الفرق بين أيام الهجرة التي خـرج فيها من مكة طريداً شـريداً مُتابعاً، وبين اللحظة التي دخل فيها مكة منتصراً مغموراً بالأفـراح! ولو أنَّ بعضنا نظر لظروفه وأيامـه التي مرَّت لوجد هذه الحقائـق رأي عين. كم من ضال اهتدى بعد طول أمد من العناد والفوضى! وكم من مديون أصبح تاجراً بعد طول انتظار! وكم من غربةٍ أفضت بصاحبها إلى لقاء الأفراح بعد سنين! وما حلَّ كرب ولا ضيق ولا عسر بإنسان إلا كان على وعد مع الحياة.

• **وعلَّمتني:** أنَّ الصلة بـالله تعالى والإقبال عليه من أعظم ما تعين صاحبها علـى تكاليف الحيـاة. إذا واجهتك الفتـن، وضاقت عليك الظـروف، وقلَّ المعين، ولم تجـد من يأخذ بيـدك، فتوجَّه إلى ربك تعالى وأحســن صلتك به، ومُدَّ يدك إليه وكرِّر: (يا رب) وستأتي على كل أمانيك وإن طال زمان ذلك الانتظار، ألا ترى أن الله تعالى أشـار إلى نبيه ﷺ بهذا المعنى الكبيـر فقال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾! لنتعلم في كل مرة أن طاعتنـا لله تعالى، وإقبالنا إليه،

وإصلاح واقعنا معه تعالى هو الطريق الأوسـع لأفراحنا في مسـتقبل الأيام. ومن أصلح ما بينه وبين الله تعالى أصلح الله تعالى له كل شيء، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] حياة طيبة في قلبه ومشاعره وبيته وعمله ومشروعه، وفي كل شـيء في حياته، ولا طريق إلى هذا المعنـى الكبير إلّا من طريق الله تعالى، وما عداه فضياع.

سورة التين

• **علَّمتني سورة التين**: عناية الله تعالى بالإنسان، وإبداعه لخلقه، وتكريمه له، وهذا القسم بأماكن الرسالات ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ بالتين والزيتون: قَسَمٌ بأرض فلسطين مكان إنباته؛ وهي الأرض التي بُعث فيها عيسى عليه السلام، والطور: هو طور سيناء الذي ناجى الله تعالى عنده كليمه ونبيَّه ورسوله موسى عليه السلام، والبلد الأمين: مكة التي بُعث فيها نبيُّنا ﷺ دليل هذا التكريم الكبير، وقد جعلك الله تعالى مناط الرسالات كلها، وكرَّمك بالعقل، وبعث إليك رسله وأنزل إليك كتبه، كل ذلك لتحقيق الخلافة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] واستعمار الأرض والقيام بحضارتها ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، فانظر لنفسك أين أنت من هذه المعاني الكبار؟! وما دورك في تحقيق الخلافة التي تقوم بها بعد أبيك آدم عليه السلام؟. وكل إنسان سيرد على ربه تعالى، وكل الأسئلة التي تتعلق بنجاته وفوزه وتكريمه بالنعيم وقفٌ على هذه المعاني العظيمة في كتاب الله تعالى.

• **وعلّمتني**: أنّ الشباب سيعود إلى كبر، والصحة إلى مرض، والقوة إلى ضعف، والحياة إلى موت، والفراغ إلى شغل، والممكن إلى غير ممكن ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ ﴾ وهذه المعاني موجبة لاستثمار الإنسان لحياته وصحته وشبابه وأوقاته قبل فواتها. كم مرة رأيت مُسنّاً يتوكّأ على عصاه بعد أن كان يجوب الأرض كما يشاء! وكم مرة رأيت شيخاً لا يستطيع أن يسقي نفسه شربة ماء وهو إلى جانبه، فضلاً على أن يقوم بمصالحه الأخرى، بعد أن كان عوناً في ملمّات مجتمعه، ورأساً في تفريج الملمّات! وهذه الصور يراها الإنسان في كل لحظة من حياته، وأقرب ما تكون إليه في بيته أو مجتمعه، وهو أحوج ما يكون فيها للذكرى. ومن الفقه وكمال الوعي أن يستدرك الإنسان أيام شبابه وصحته وقوته وفراغه، ويبعث فيها الحياة، وليكن في فكره في كل لحظة ما جاء في البخاري من حديث أبي موسى الأشعري ﵁ قال: قال ﷺ: «**إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً**».

• **وعلّمتني**: أنّ ثمة غاية كبرى للخلق، وسرّاً كبيراً لوجودهم في الحياة، وكل مخلوق جاء لغاية، وهو مسؤول عن تحقيقها قبل رحيله من الدنيا؛ لذا تناقشه هذه السورة وتسائله وتُذكّره ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝ ﴾! ما الذي يحملك على إنكار البعث والجزاء، وقد رأيت الحقائق رأي عين! ثم يدله الله تعالى ويلفت نظره إلى قضية أخرى

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾! فإنَّ هذا الخلق البديع في الكون، وتلك المعالم المدهشة في كل زاوية من زوايا الدنيا كلها تدلُّ على كمال علمه وحكمته ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾ ومن أرخى لعقله التفكر في هذا الكون الفسيح دلَّه على الله تعالى من أقرب طريق، وقد قال الأعرابي: إنَّ البعرة تدل على البعير، وإنَّ الأثر يدل على المسير، وسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج إنَّها لتدل على اللطيف الخبير! ولو أنَّ كلَّ عاقلٍ أقبل على فقه شريعته لرأى فيها من التجانس والإبداع ما أفاض عليه إجلال ربه تعالى، وتقديس شعائره، وتعظيم أمره، وقيامه بحقوقه في كل شيء. وكم من قليلِ عقلٍ يعترض اليوم على شريعة الله تعالى ومنهجه، ويصفه بأنه لا يلبِّي حاجة الناس، ولا يتماشى مع حضارة الأمة، ويقف في وجه التنمية، ويعترض على جملة من أحكامه تعالى وهو العلي العظيم! ولو سلم قلبه وعقله وأنصف لأخذته الدهشة في كل شيء، ولكنَّه الخذلان!.

سورة العلق

• **علَّمتني سورة العلق**: أنَّ العِلْم من أعظم المنن على كل إنسان، ويؤتى من حظوظ الحياة على قدر حظوظه من العلم، ولو لم يكن في شأن العلم إلَّا أنَّ أول كلمة في كتاب الله تعالى: (اقرأ) لكان كافياً! لقد امتن الله تعالى على الإنسان بتعليمه له الكتابة بالقلم قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ وحياة الواحد منَّا وقفٌ على هذا المعنى الكبير! حين نقرِّر أن نقرأ ونتعلم، فنحن نقرر أن نحيا حياة أخرى من خلال خلق تلك العادة في واقعنا، وإذا بدأ الإنسان بالوحي كتاباً وسُنَّةً بدأ سلم الطريق من أوله وأصله وحقيقته، وتعرَّف على ربه تعالى، وعرف واجباته، وقام بحقوقه، وأجَلَّ شريعته، وتعرَّف كذلك على رسوله ﷺ معرفة تدفعه للعمل والبناء، وعرف كيف يأتي على آماله من خلال هذه المعاني في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. وكل فرد وأسرة ومجتمع ودولة وأمة يجب أن تضع قضية العلم في سُلَّم أولوياتها وأهم قضاياها؛ لأنَّ الوجه المقابل للتعليم هو الجهل والأمية والظلام والأوهام والفوضى والضياع.

• **وعلَّمتني**: أنَّ اعتداد الإنسان بنفسه وإعجابه بقدراته ومهاراته وطاقاته وإمكاناته من أسوأ ما يواجهه في حياته، فهذا الشقي الضال

(أبو جهـل) إنَّما واجه رسـول الله ﷺ، وكان خصم الدعـوة في ذلك الحين، وألد أعدائها طيلة حياته، لتلك الأمراض التي أصابت قلبه حتى تصوَّر أنَّه صاحب القرار في أرض الله تعالى، قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ ﴾. ومن الوعي أن يتعرف كل فرد على شـخصيته، وأن يبني منظومة أفكاره ومفاهيمه من خلال الوحي، ويتعرَّف فـي المقابل على أمراض قلبـه معرفة دقيقة، ثـم يجهد في علاجها حتى يسلم من آثارها في مسـتقبل الأيام. وكم هي الأمراض التي تواجه الإنسان اليوم، وتقف عائقاً في وجه حضارته وتقدمه، وسدّاً منيعاً أمـام بناء مسـتقبله، وهو أحـوج ما يكون لعلاجهـا في أقرب الأوقات وأعجلها إليه، وكل إنسان فقيه بحاله، وأعرف بأمراضه، وأقدر على إصلاح نفسه قبل فوات الأوان.

• **وعلَّمتني**: سُـنَّة الله تعالى في المكذبين الضالين المعارضين لدينه ومنهجه، وهذه السُّـنَّة لم تتخلَّف على مرّ التاريخ، وقد جرت على الأمم والأفراد والمجتمعات على حدٍّ سواء، وقد قصَّ الله تعالى في كتابه ما جرى للأفراد كفرعون وقارون وهامان، وما جرى للأمم كقوم نوح وعاد وثمود كدليل شـاهد على هذا المعنى الكبير. وهو درس لكل معارض لمنهـج الله تعالى أنَّ خصمه ربُّـه تعالى، وهو الذي سيتولى ردعه وجزاءه عاجلاً أو آجلاً، فلا يَغُرَّه إمهال الله تعالى له، وإمداده بالقوة والجاه والسـلطان والمال، فـإنَّ لكل ذلك أجلاً تنتهي فيه، ثم يحين موعـد الجزاء ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ ﴾ يقـول الله تعالى: إن لم

ينته هذا الشقي عن فعله سنأخذه مســحوباً إلى النار بمقدمة رأسه، وإذا صنعنا به ذلك فلينفعه صحبته وأعوانه وناديه الذي كان يجتمع فيه مع المكذبين الضالين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ حسن الصلة بالله تعالى من أعظم ما يواجَه به الباطل، وتُدار به معركة الحياة، وما رزق عبد ثباتاً في دينه ومواقفه، وأُعين على إدارة مشــاريعه، ووفق في صراعه للباطل بمثل هذا المعنى الكبير، ومن استقبل الله تعالى، وصنع لنفســه أوراداً ثابتة، ولزم هذا الباب أوشك أن يدخل معه إلــى كل خير ونصر وتوفيق. إنَّ الله تعالــى يوجه نبيه ﷺ في إدارة المعركة مــع المناوئين إلى أســلم الحلول وأكثرها أثــراً في إدارة المعركة وأقربها للنصر والتمكين، فيقول لــه تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾ دعك منه ولا تشــغل بالك بــه، وتوجَّه إلى ربك وأحســن علاقتك به، فإنَّ مدد العون والتوفيق والنصر سيأتيك. وهو معنى لطيف جداً يدعو الواحد منَّا أن يعيد علاقته بربه ويرتبها، ويستثمر أوقاته كلها أو جلَّها في بناء هذا المعنى الكبير، ولا ينصرف إلى الهوامش فينشغل بها عن أهم الأولويات التي يجــب أن يركز عليها. والناظر في حال كثير من قضايا الأمة ســيرى في أيام الأزمات بالذات جهوداً كبيرةً في تتبع أخبار تلك المعارك وإحصاءاتها كل يوم، وحين ينجلي غبار تلك الأزمة يصحو الإنســان، فإذا به ضاع منه كل شــيء. فما أحوجنا للعودة إلى الله تعالى والإقبال عليه، وصرف كل أوقاتنا في هذا الطريق الذي ستورق به أرواحنا وتنشرح صدورنا، وتحين أيام الربيع في واقعنا إلى أقصى مدى.

سورة القدر

• **علَّمتني سورة القدر**: عظمة القرآن الكريـم وبيان منزلته، ترى ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ﴾ في بداية السـورة، وإسـناد الإنزال إليه تعالى دليل على تفخيم شـأنه وتعظيم أمره وجلالة قدره، ويكفي أنّه كلام الله تعالى، وأنه هو المنزل له، وجبريل هو الواسطة، ومحمد ﷺ هو المتلقي، والليلـة التي نزل فيها هي ليلـة القدر ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ①﴾ وكتاب بهـذا المعنى الكبيـر حقيقٌ بالإجـلال والتعظيم والتقديس! ونجاح الأفراد فضلاً عن الجماعات والدول والأمم مرهون بإقبالهم عليه قراءةً وتأملاً وتدبراً، وصدورهـم في النهاية عن أفكاره ومفاهيمه وتصوراته الكبرى في الحياة.

• **وعلَّمتني**: منزلة ليلة القدر وعظم قدرها وشـأنها عند الله تعالى، وأنها ليلة مباركة، العمل فيها بألف شـهر، وهـو ما يعادل عبادة أربع وثمانين سنة وبضعة أشـهر، وليلة هذا قدرها، وتلك منزلتها وشرفها، وهذه حقائق الحياة فهي حَرِيَّـة بالإجلال، وقد بلغك أنَّ النبي ﷺ كان يجلُّها فيعتكف في مسجده في العشر الأواخر، ويتحرَّاها في أوتار تلك

الليالي، وفي الصحيحين مــن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتســاباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»، وفي الصحيحين من حديث عائشــة رضي الله عنها قالت: قال ﷺ: «**تحرُّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان**»، وأخبر عائشة رضي الله عنها حين سألته إن لقيت ليلة القدر ما تقول؟ فقال ﷺ: تقولين: «**اللهــم إنَّك عفوٌّ تحبُّ العفو فاعف عني**»، وإذا أدركت أن تلــك الليلة تنزل فيها الملائكــة إلى الأرض، ويشــارك جبريل، وينعتها الله تعالى بقوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾ كانت منك على بال.

• **وعلَّمتني**: يُسْــر ديــن الله تعالى وجماله وســماحته، فلا يكلف الناس فوق طاقتهم، ويرضى منهم باليسير، ويسد نقصه، ويجعل له من الأعمال والأوقات ما يعينه على استثمار عمره، واستدراك ما فرط منه بــكل طريــق ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ وهــذا المعنــى أوضح ما يكون في دين الله تعالى، وقد رفــع الله تعالى التكليف بما لا يُطاق عن الأمــة فقــال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقـرة: ٢٨٦]، وفي الصحيحين من حديث عائشــة رضي الله عنها قالــت: قال ﷺ: «**مــه عليكم بما تطيقون من الأعمال، فإنَّ الله لا يمل حتى تملوا**»، وهذه الليلة التي يمنُّ الله تعالى بها على عباده إنَّما هي جزء من كل، ونافذة على جمال هذه الشريعة وأناقتها، ولو نظر الإنسان متأملاً في التشريع لعرف كل شيء، من ذلك أنَّ الله تعالى قصر الأركان على خمســة فحسب، وجعل منها

ركناً واحداً على الـــدوام، والصيام في العام مرة واحـــدة، والحج مرة واحدة في العمر وعلى حسب الاســـتطاعة، ويراعى المريض، ويسقط عنه من التكليف بحسبه، وإذا سافر العبد أو مرض كُتب له من العمل ما كان يعمل صحيحـــاً مقيماً، ولا يؤاخذه بتصرف خـــرج عن إرادته، وغير ذلك ما يدلك على أنها شريعة صالحة لكل زمان ومكان.

سورة البينة

• **علَّمتني سورة البينة**: أنَّ أهل الكفر والضـلال مؤمنون بدينهم، ومتمسـكون بعقائدهم، ومرابطون عليها، وغير زائلين عنها مهما كانت الحجج والبينات الدالة على بطلان ما هم عليه وضلال ما هم فيه، وهذا في الأغلب الأعـم، وإلَّا ففيهم من إذا بان له الحق وانكشـف له زيف ما هو فيه من الباطل خلَّفـه وراء ظهره، وأقبل علـى الله تعالى، وصنع لنفسه موقعاً، وكتب حظه من الإسلام ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ.. وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾ وإذا كان أصحـاب الباطـل وعقائد الضـلال يؤمنون بعقائدهم، ويسـتميتون في التمسـك بها، ويناضلون مـن أجل بقائها، ويدفعون كل شيء من أجلها، فما شأن المسـلم مع عقيدة الحق إيماناً وسـلوكاً! إن هذه الإشـارة في السـورة بما عليه أهل الكفر من مبادئ تدعونا إذا أردنا دعوتهم وهدايتهم أن ندرك هذه الخلفية عنهم، وعلينا أن نصنع ما يزيل هذا الإيمان بالعقائد الباطلة من خلال حجج وبراهين ثابتة وقوية وقادرة على فكِّ ذلك الارتباط، وفي المقابل هي دعوة للعودة إلى ديننا والتمسك به، والنهوض بأفكاره ومفاهيمه وتصوراته في العالمين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ إجلال شعائر الله تعالى وتعظيم أمره ونهيه أعظم المقاصد على الإطلاق، وهي الأصل من وجود الإنسان في الحياة كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وهذا هو الفقه الأكبر الذي ينبغي أن يأخذ حظَّه من قلوب ومشاعر المسلمين! وفرق كبير جدًا بين من يؤدي شعائر بمقتضى العادة والإلف، ومن يؤديها وهو يشعر أنَّه يتعبد لربه ويجل أمره ويقوم بشأنه، ويحتسب كل خطوة في ذلك الطريق الطويل! ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ وإذا فقهنا هذا المعنى الكبير أدركنا حينها أن دين الله تعالى يجري في كل شيء، وليس هو مجموعة الشعائر المرتبطة بالمسجد فحسب، وإنَّما هو علاقتك في بيتك بزوجك وولدك، وجارك وصديقك، وبَذْلك جهداً وعرقاً في سبيل فكرتك الناهضة ومشروعك الكبير، واحتساب كل شيء في هذا الطريق الطويل.

• **وعلَّمتني**: عاقبة الضالين من أهل الكفر والشرك والضلال، فقد حكم عليهم الله تعالى بأنَّهم أخبث خلقه تعالى، وعاقِبَتُهُم في النهاية إلى النار، عافانا الله تعالى وإياكم من الكفر والضلال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ وهذه الحقيقة يجب أن تأخذ حظها من كلام أهل العلم وتقريراتهم حتى لا ينخدع أحد بدين باطل لا قيمة له في شيء. إن المعركة التي تدار

اليوم بين أهــل الحق والباطل معركة أفــكار ومفاهيم وبناء تصورات، والعدو يملك من تلك الأدوات ما يستطيع أن يعمّم به فكرته وضلاله، فلا أقل من أن تعــي أجيال الأمة اليــوم دورها ومســؤوليتها في هذه المعركة، وتسعى بكل ما يمكن من التفوُّق بالحق الذي معها في مقابل تلك القوة التي يمتلكها عدوها. ومن تأمــل زمانه أدرك هذه المعركة، وعرف قدرها ورأى صورها في واقعه، حتــى بدأنا نناقش قضايا الردة والإلحاد وضياع الهوية الإسلامية لأجيال نشــأت على الحق، وتربَّت عليه وعاشــته زمناً طويلاً من عمرها، ولكنَّها بدأت تجل وافد الأفكار الجديدة، وتبشِّر بها في العالمين.

• **وعلَّمتني**: بيــان عاقبة الإيمــان والعمل الصالــح على أهله في الدارين، قال تعالى عن أثر تلك العاقبة العاجلة في رحاب الدنيا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] وقال تعالى عن عرض تلك النهايات بين يــدي الله تعالى يوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ ومن فقه هذا الجزاء دفع له كل شــيء، وتمسَّــك بدينه واستوثق منه، وأقبل عليه راغباً، وبذل في الطريق إليه كل ممكن، وأبى أن يتخلَّى عن شيء من أحداثه في مستقبل الأيام.

سورة الزلزلة

• **علَّمتني سورة الزلزلة**: مسؤولية الإنسان بين يدي الله تعالى يوم القيامة، فإذا كانت الأرض وهي جماد ستتحدث وتخبر عن كل ما جرى فيها وحدث على ظهرها من الأعمال، فإن ذلك موجب للعناية بتصرفات الإنسان وضبطها قدر الاستطاعة، وألَّا يأتي منها يوم القيامة شيء خلاف المنهج، وموجب للشهادة على صاحبها بالخسران ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ إنَّ هذه الحقيقة يجب أن تأخذ حقها من قلوبنا ومشاعرنا، وتصوغ حياتنا كما يجب أن تكون، وإلَّا دارت الأيام علينا بالخسران، ووقف الإنسان في مواقف يبحث عن الفكاك، وما كل لحظة صالحة للاستعتاب! ومن تخيَّل هذا المشهد يوم القيامة عرف له قدره، وسعى أن يكاثر في حسناته، ويوسّع في أثره وجهده، ويأتي بما يستحق الفرح في تلك اللحظات، وحرص غاية الحرص من كل سوء يجري الحديث عنه في تلك اللحظات.

• **وعلَّمتني**: أنَّ نجاح كل إنسان يوم القيامة وخسارته وقفٌ على العمل الصالح، ومن أَحْسَنَ الإقبال على الله تعالى، وصَدَقَ في الطريق

إليه، ومنحه وقتــه وفكره وعقله وقلبه، وجهد أن تكــون له أوراد ثابتة لا يتخلّف عنها البتة صنع لنفسه حياة مدهشـــة في الدارين! وإذا قرأت ســيرة بلال رضي الله عنه وحرصه علــى ركعتي الوضــوء للدرجة التي ســمع رسول الله ﷺ دفّ نعليه في الجنة وهو مازال على قيد الحياة! واستلذّت امرأة كانــت تصرع فــي الطرقات تعبهــا ومرضها في ســبيل الجنان، وعاشــت على ذلك حتى لقيت ما عنــد الله تعالى، وعمار بن ياســر وزوجه تحمّلا القتل في بدايات الإســلام من أجل هذا المعنى الكبير أدركت ذلــك المعنى الكبير. وفي المقابل ذهــب أبو لهب وأبو جهل وزعماء الضلالة إلى النار. ماذا لو قرأ كل إنسان مشاهد هذه اللحظة في قوله تعالــى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦﴾! ومنحها قلبه ومشــاعره، وأدرك أنّه واردٌ علــى الحقائق، وصادرٌ عــن نتائجها وأحداثها في ذلــك اليوم! كم من صغير في فلاة جــاء عظيماً في تلك الموازين! وكم من خلوات جاءت حاضرة شاهدة في زمن الحاجات!.

• **وعلّمتني**: أنّ الحياة اســتثمار، وكم من حسنة أوجبت لصاحبها الحياة! وإذا كانت مثاقيل الأعمال وصغائر الحســنات مكتوبة ومدونة وموزونة، فما بالك بالحسنات الكبار! ومن عرف هذه الحقائق جهد ألا يدّخر شــيئاً من الصالحات. إنّ الحســنة بعشــر أمثالها، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض، ولا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة، ومن قال: ســبحان الله غرست له نخلة في

الجنة، والحرف الواحد من كتاب الله تعالى بعشر حسنات إلى أضعاف كثيـرة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة، وتبسُّـمك فـي وجه أخيك كذلك، فما شـأن الصلاة التي قال فيها ﷺ: «**الصـلاة خير موضوع**»، أخرجه الطبراني، وحسَّـنه الألباني، والصيام الذي يقول فيه ﷺ: «**من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً**»، أخرجه ابـن ماجه، وصحَّحـه الألبانـي، والصدقـة التي يخبـر فيها ﷺ في الصحيحين مـن حديث أبي هريرة ﷺ قـال ﷺ: «**إنَّ الله يأخذ صدقة أحدكم بيمينـه فيربيها كما يربي أحدكم فلوَّهُ حتـى تأتي يوم القيامة كالجبل العظيم**»، وأن يحذر في المقابل غاية الحذر من مثاقيل تأتي في موازين الكبائر من الأعمال. ومن فقه الإنسان ووعيه أن يستثمر أيامه، ويجهد في تحقيق مراده من الآخرة من خلال اسـتثمار كل ممكن في الحياة، ولو كان بسيطاً يسيراً، فإنَّ مثاقيل الذرّ عظيمة في موازين ذلك اليوم.

سورة العاديات

• **علَّمتني سورة العاديات**: أنَّ الإنسـان بما يصنع لدينه، وما يهب من وقته وفكره وجهده لمنهجه، وما عدا ذلك فركام لحم لا قيمة له في شيء! وإذا كانت الشـريعة تحتفي بالدواب، وهي عجماوات لعلاقتها بهذا الدين، ومشاركتها في رعاية المنهج، وقيامها بدور في الإصلاح، فما بالك بالإنسـان الذي جاء أصلاً لتحقيـق هذه الغايات ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ① فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ② فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ③ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ⑤﴾ وهذا القسـم بأصوات الخيـل، وصدى حوافرهـا في الأرض، وغاراتها في طلائع الفجر، وتوسُّطهن للعدو دليل ذلك المعنى الكبير. وكل دابة وآلة إنَّما تنال حظها من الثناء على قدر دعمها ومشاركتها في دعم رسـالة هذا الدين، وقيامها بحقه في تمكينه فـي واقع العالمين، وفي البخاري قال ﷺ: «**المنفق على الخيل في سبيل الله كالباسط يديه بالصدقة ولا يقبضها**». حتى تعلم أنَّ قيمة الشيء إنَّما تأتي من علاقته بهذا الدين العظيم!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الجهاد في سـبيل الله تعالى مـن أعظم الأعمال، وراياته في مسـاحة ما من أعظـم الرايات، وعزُّ كلِّ أمـة منوطٌ به مع

الأيـام، وإذا تخلَّت عنه أمّة جرت عليها سـنن الهزيمـة وقهر العدو، ومضت عليها عاديات الزمان من كل مكان، وما حاجة الأمة اليوم إلى شيء في هذا المعنى الكبير حاجتها لجهاد العلم الذي تحتاج الأمة فيه إلى مناضلين في سـبيله حتى تقوى به شـوكة الأمة، وتعـز بطاقاتها وقدراتها في مستقبل الأيام، وتصبح نداً لكل عدو، وقُلْ مثل ذلك في جهاد الأفكار والمفاهيـم الصحيحة، وتصحيح التصوُّرات الخاطئة، ومحاربة الأوهـام التي أخذت مسـاحة كبيرة من عقـول أبناء الأمة، وترتَّب عليها خلل كبير في فقه أولوياتها وأهدافها الكبرى ومساحاتها الممكنة حتى أصبحت فارغة، لا علاقة لها بالعمل في شيء.

• **وعلَّمتني**: حقيقة الإنسان وأصل خلقته، وأنه جُبل على الجحود، ونكران نِعَم الله تعالى، ونسيان فضله وإكرامه وإنعامه عليه، وهذا القسم من ربك في بدايات السورة دليل على أنَّ هذا الخُلُق متأصّلٌ في نفسه، وليس في إنسان دون آخر، ولا يسلم منه إلَّا الأنبياء وكُمَّل أهل الصلاح ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦﴾ فقد جُبل الإنسان على حبِّ ذاته، وتقديم مصالحه، وتحقيق شـهواته حتى إن كانت على حساب الآخرين، ومن لم يتنبه لهذا الخلـق وإلا بقي معه ما بقي الزمان، ومن فقه الإنسـان وكمال وعيه أن يتعاهد نفسـه بالإصلاح، ويقوم على تربيتها وتهذيبها من سـيء الأخلاق وعادات السـوء حتـى يلحق بركـب الصالحين المصلحين. وكم من إنسـان قعدت به نفسه عن الفضائل! وتأخرت به

عن ركب الصالحين! وتخلّفت به عن مواطن العمل حتى عاد كاسداً من كل شيء. وما أكثر هذه الصور في زمانك! وما أقلّ أصحاب الرايات! والله المستعان.

• **وعلّمتني**: أنّ الإنسان جُبل على حبّ المال والتعلُّق به والمجالدة دونه بكل ممكن، وهذا أصل في الإنسان قلّ أن ينفكّ عنه، وهو جِبِلَّةٌ ملازمة له؛ فتراه شديد الولع بالمال، كثير الحب له، لا يكاد يخرجه من يده إلا بعسر ومشقة، وكم من متأخّر عن مكارم الأخلاق من خلال هذا الخلق الذميم! وقيمة المال الكبرى ليست في كثرته في حسابك الشخصي، وإنّما بكونه في يدك وليس في قلبك منه شيء، ومن توفيق الله تعالى لصاحبه أن يفرّج به همّاً، ويصنع به معروفاً، ويعين به محتاجاً، وتجري به ساحات الفرح في قلوب الآخرين إلى أقصى مدى! ولن تتخلّص من هذا الأصل العارض إلا بالوعي بدوره وأثره في بناء آخرتك، ومغالبة ذلك الأصل بأضداده من النفقة، والجود به في مواطن الحاجة إليه، والمساهمة به في باب من أبواب الخير والجود والإحسان.

• **وعلّمتني**: أنّ العبرة في النهايات بصلاح القلوب، وأنها أصل في سعادة أصحابها في الدارين، ومن صلح قلبه صلح حاله وسعد،

ووجد من الفرح والسعادة والاستقرار والطمأنينة عاجل بشراه، وغالب نهايات السوء من فساد القلوب، وكم من ضالٍّ بسبب قلبه! وكم من خاتمة سوء من أثر ذلك، والله المستعان، وقد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩] وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾. وفي الصحيحين أنَّ رجلاً شارك في الجهاد وما ترك شاذة ولا فاذة إلا صنعها في الأعداء حتى أخبر رسول الله ﷺ بما صنع، فقال ﷺ: «**هو في النار**» ثم جُرح فقتل نفسه فذهب في عداد سوء الخواتيم! وآخر شارك في الجهاد وحين قُسم له من الغنيمة تركها وولّى، وقال: ما على هذا بايعتك يا رسول الله! بايعتك على أن أرمى بسهم من هاهنا ـ وأشار إلى حلقه ـ فيخرج من هاهنا، فأدخل الجنة! فقال ﷺ: «**إن يصدق الله تعالى يصدقه**»، فما هي إلا لحظات وإذا بهم يحملونه وقتل رمياً بسهم في الموضع ذاته الذي أشار إليه، فقال ﷺ: «**أهو هو؟**» قالوا: نعم! فقال: «**اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً، أنا شهيد على ذلك**». فتنبه لقلبك وتعاهده، واصدق الله تعالى في نيّتك، وتخلَّ عن كل صور الرياء حتى تلقى الله تعالى وأنت على أمثال هذا المعنى الكبير.

سورة القارعة

• **علَّمتني سورة القارعة**: أنَّ من فقه الإنسان وكمال وعيه أن يستعدَّ غايةَ وسعِهِ ليوم القيامة، وألَّا يفرِّط في لحظة من زمانه ما أمكنه ذلك، وأن يعلم يقيناً حقيقــة ذلك اليوم، وأنَّه محفــوفٌ بالخطر، وهو حقيق بالاستعداد، وما قارئ لأحداثه التي تعرض السورة بعضاً منها إلا دليل علــى ما بعدها من أهــوال ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾ ومن قرأ أحداث هذا اليوم من الوحي أدرك ما يســتحق من عمل وجد، ولو لــم يكن فيه إلا هذا الخلق منذ خلق الله تعالى آدم إلى يوم القيامة في صعيد واحد كالفراش المبثوت في الأرض، والجبال التي تحوَّلت إلى صوف منفوش بعد أن كانت أصلب ما يكون لأدرك ما ينتظر الإنسان في ذلك اليوم.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الربــح والخســارة يوم القيامة وقــف على الأعمال، وحسب كل إنسان ثقل ميزانه وخفته، ولا شيء دون هذه الحقائق في ذلك اليوم ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

وكل عاقل ينظر في عمله كثرةً وقلّة، وصدقاً وصلاح نية قبل أن يرد على الله تعالى في تلك العرصات، فيحسب أنه على شيء وإذا بالحقائق رأي عين، وكم من قادم على الله تعالى كان يظنُّ شيئاً، فلم يجد سوى الحسرات ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] ولا أقل من أن يعود الإنسان إلى نفسه، وينظر أول أمره في تعظيمه لأمر الله تعالى وإجلاله لشرائعه، وخوفه وبعده عن حرماته، ثم ليقبل على النظر في صلاته، فإنَّها أعظم الأعمال وأول سؤال يُسأله قبل كل سؤال، ثم ينظر في ما بقي من أركان دينه ويقيم شأنها، ثم يقلّب بصره في علاقاته بالآخرين بدءاً بالأهم فالأهم والأقرب فالأقرب، ويَهَبُ لها ما يجري عليه بالتوفيق، ويحذر غاية وسعه أن يلقى الله تعالى ظالماً لمخلوق أو باغياً على ضعيف، حتى لو كان حيواناً من الحيوانات فضلاً عن أن يكون مسلماً من المسلمين، وقد بلغك عن نبيك ﷺ أنَّ بغيّاً دخلت الجنة بسقيا كلب، ومن أزاح غصن شوك رآه رسول الله ﷺ يتقلّب في الجنان، ومن كان يداين الناس ويقول لعامله: خذ ما تيسّر واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله تعالى أن يتجاوز عنّا عفا الله تعالى عنه، وقال: نحن أحق بالتجاوز منه، وتبسُّمك في وجه أخيك صدقة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

• **وعلّمتني**: سوء عاقبة التفريط يوم القيامة، وأنَّ قوماً عاشوا طويلاً في الدنيا، ثم وردوا على الله تعالى، فلم تصنع لهم تلك السنون شيئاً من المعروف، وعادوا خاسرين ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ وما يصنع بنار جهنم

وقد وصفها الله تعالى أنَّها تشــهق لرؤية أصحابها المفرطين كما تشهق البغلة للشــعير ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٢].

وأخبر نبيُّك ﷺ أنَّ أهون أهل النار عذابــاً يوم القيامة رجلٌ توضع في أخمص قدميه جمرةٌ يغلي منها دماغه، فما بالك بمن ذهب حطباً لها، نعوذ بالله تعالى من الحرمان.

سورة التكاثر

• **علَّمتني سورة التكاثر**: أنَّ من فقه الإنسان وكمال عقله أن يقتصد في دنياه قدر الوسع، وألَّا يأخذ منها إلَّا ما يبلغه غايات الآخرة فحسب، وفي قول الله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ رسالة تحمل توبيخاً ولوماً للمشغولين بالتكاثر في قضايا الدنيا على حساب الآخرة حتى وردوا القبور! وكم من إنسان وهب الدنيا كل شيء، وأقبل عليها إقبال الراغبين، وانشغل بحساب ما يجمعه منها ولو على حساب صحته وسلامته، ترى ذلك فيمن يشتغل بجمع المال على حساب نقائه وصفائه من شوائب الحرام، ويجهد في الحصول على ذرية، ولا ينشغل بتربيتهم في مستقبل الأيام، وتحوَّلت المسألة العددية حتى في أذهان كثير من أهل الفضل والصلاح وطلاب العلم، فتراهم ينشغلون بعدد برامجهم ومشاريعهم على حساب أثرها والعائد منها، وتراهم يعنون بوردهم الكمي من الصلاة والصيام والقرآن والذكر على حساب العائد منه على أرواحهم وقلوبهم ومشاعرهم، وكل هذا من الخطأ الذي ينبغي أن يعتني الإنسان بإصلاحه وإعادة تشكيله، ويضع نصب عينيه صلاح نيته والقيام بحظوظه من التدبر والتأمل والخشوع، وصدقه وموافقته

للسُّنَّة مع العناية بالقدر الذي لا يخل بهذا المعنى الكبير في النهاية حتى يجمع بين الفضيلتين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ التسويف من أخطر الأمراض التي تواجه الإنسان في حياته.

فهؤلاء الذين ذمَّهم الله بقوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ ممَّن اعتراهم هذا المرض ولازمهم وسيطر عليهم، ومازالوا يؤخرون كثيراً من قضايا الإصلاح حتى ماتوا وتركوا كل شيء. كثيرون اليوم يدركون سوء أحوالهم، وحاجتهم الملحة إلى إصلاح ذلك الواقع الذي يعيشونه، ولكنَّهم يسوِّفون حتى يفوت عليهم في النهاية كل شيء. وآخرون يعيشون فوضى عارمة في أوقاتهم وأولوياتهم، ويتحسَّرون على فوات أرباحهم منها كل يوم، ولا تزال بهم الأماني لترميم تلك الأوضاع حتى تفجعهم الحوادث ويرحلون دون شيء. ومن الفقه في مواجهة هذا المرض التخطيط وإدارة الحياة، واستثمار الأوقات المتاحة بكل ممكن، وإدارة الأولويات، وتحديد الأهداف حتى نكون قادرين على استثمار أوقاتنا بكل ما نملك، ومن ذلك التعجيل بكتابة الوصية، وتنظيم أمورها، والعناية بالأوقاف التي تمدُّ في ذكر الإنسان بعد موته، وتوسع في أثره بعد رحيله، وتجعله حيّاً ما بقيت الدنيا.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الآخرة كل شيء، وأن من فقه الإنسان وكمال وعيه أن يأخذ أهبته واستعداده لها بأقصى ما يكون، وألا ينشغل عنها بأي عارض مهما كان الداعي إليه، ولو لم يكن في ذلك إلا هذا الوعيد للمشغولين عنها ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧﴾ وما عاقل يقرأ نصوص الوحيين إلا وهو يعرف أن هذه الدنيا لا شيء بالنسبة لتلك الدار، وقد قال الله تعالى وهو يصف هذه العاجلة: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠] وعند ابن حبان من حديث المستورد ﷺ قال ﷺ: «**ما الدنيا في الآخرة إلا كما يضع أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بِمَ يرجع منه**»، ولو لم يكن في الآخرة إلا الجنة ـ التي قال فيها ﷺ: «**لموضع سوط أحدكم في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها**»، أخرجه البخاري ـ لكانت كافية.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال ﷺ: «**ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم يوم القيامة**» فقالوا: والله إنَّها لكافية يا رسول الله، قال: «**فإنَّها فضِّلت عليها بتسعةٍ وستين جزءاً كلُّها مثل حرِّها**». ومن عرف قدر الآخرة بذل لها كل شيء، والأمر كما قيل جد! وقد ترك السلف رضوان الله تعالى عليهم أجمعين رسائل مدهشة في إدراك هذا المعنى والعمل له، وبذل كل ممكن في سبيل أمانيه الكبار.

• **وعلَّمتني**: مسؤولية الإنسان الكبرى عن نعم الله تعالى، وما أكثرها في حياة إنسان، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] وكم من سـؤال سيدار في عرصات القيامة عنها ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾! عافية جسـدك نعمة من نعم الله تعالى، وكم من مريض ومعلول! ونعمة دينك، وقد جعلك الله تعالى مسلماً مؤمناً وأمم في العالم من حولك على الكفر والإلحاد والضلال والظلام، تجري في الدنيا بلا منهج ولا حقيقة، وغداً يجري عليها سؤال التفريط والضياع. ونعمة الأمن التي تسعد في ظلالها وتلقى فيها كل شـيء، وكم من أمم تهدَّمت بيوتها من الحرب، وطُردت وشـرِّدت، وهي تقاسـي الظلام والحر والبرد والغربة، وفي مرات كثيرة لا تجد شربة ماء! فضلاً عمَّا أعطاك الله تعالى من علم وولد وفكر وجاه ومنصب، وكلها سيجري عليها سؤال الله تعالى الكبير ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾.

سورة العصر

• **علَّمتني سورة العصر**: قيمة الزمن في الحياة، وأثر كل إنسان وقف على استثماره لوقته، وهذا القَسَمُ في بداية السورة: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾ دليل على هذا المعنى الكبير، وقد بلغك أن الله تعالى لا يقسم إلا بعظيم! ومن عرف قدر هذا المعنى وعني به استقبل أيام الربيع ما بقي من العمر. وكل الناجحين الذين تراهم في واقعك أو تقرأ سيرهم في تاريخ أمتك عنوا بهذه القيمة، وحرصوا عليها، وجهدوا في استثمارها حتى دنت لهم الثمار، وما عاقل أحرص على شيء منه على وقته، وكان الواحد من سلفك أشحَّ بوقته منه على ديناره ودرهمه، وإذا كانت دقيقتان كافيتين لصلاة ركعتين، وعشرون دقيقة كافية لقراءة جزء كامل من كتاب الله تعالى، وسبع دقائق تشرف بك على نهاية أعظم الأذكار في حياتك: (لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير) مئة مرة في فجر كل يوم ومسائه، فلا أقل من أن تستقبل هذا المعنى وتعتني به، وتضعه في سلَّم عاداتك الإيجابية التي تريد تكوينها في قادم أيامك، ومثلك أوعى بصناعة الفرق.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الأصل في الإنسان الخسارة ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ ولا يخرج من هذا الأصل إلا استثناء من عارفٍ لشرف زمانه، ومتيقِّظٍ للحياة من خلاله، وجادٍّ في بلوغ أمانيه. وهذا المعنى مؤذن لك بألا تغرك الكثرة في شيء، فهي على شفير الهلاك ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] فتمثَّلْ دينك وقيمك ومبادئك الكبرى، وخذ بوصية رسولك ﷺ: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»، ولا تنشغل بمن هم حولك في شيء، وارفع بصرك للسابقين من الأجيال الناهضة، وليكونوا هم حاديك للحياة، والزم قول ربك تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] وكُنْ كما قال لك ابن القيم رحمه الله: وكلَّما استوحشت في تفردك؛ فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم، وغُضَّ الطرف عمَّن سواهم، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك، فلا تلتفت إليهم، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك. اهـ.

• **وعلَّمتني**: أنْ توطِّن نفسك على استقبال العثرات ومواجهة العوائق وتأخر المشاريع، واستعلاء الباطل في كثير من الفترات؛ لأنَّ الغلبة كثيراً ما تكون للكثرة، وإن كان هذا ليس غالباً بفضل الله تعالى، ولكنها سنن تلقى حظها من الواقع في كثير من الأحيان، ولا يمكن للقلة أن تحقق

نصراً على الكثرة المقابلة إلا باستجماع قوى النصر الأخرى؛ كحسن الصلة بالله تعالى، والتوكل عليه، والصدق في الطريق إلى الله تعالى، والاستعداد الأمثل للنصر من خلال قوى العلم والمعرفة والتنظيم والترتيب التي تعد أسباباً مهمة جداً لتحقيق تلك الآمال التي ترقبها في قادم أيامك، والإسلام لا يستمد قوته من كثرة الأتباع، وإنَّما من قناعة أولئك الأتباع بدينهم، وتمسكهم بقيمهم ومبادئهم ومثلهم الكبرى في الحياة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كل المناهج والنُّظم والأديان المنتشرة في الأرض سوى الإسلام باطلة لا قيمة لها حتى لو كانت عند أصحابها وأهلها كل شيء، والسورة تقرر هذا المعنى الكبير ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۝٣﴾ وما عدا هؤلاء فكلهم في فلك الخسارة وحضيض الحياة. وما أكثر الأديان الباطلة في زمانك! وهذا المعنى يزيد تعلقك بدينك، ويمنحك شعوراً مدهشاً بالإقبال على حقائقه والقناعة به. ومـا تصنع بباطل وأوهام باتت تأخذ حظها من الأرض، وليس لها من الحقائق شيء. ولو أنَّ عاقلاً فَقِهَ هذا المعنى لما صار بعد الإيمان إلى الكفر، وبعد الهداية إلى الضلال، وبعد الإسلام إلى الردة. ومن كان يتخيَّل أن يتنصَّر مسلمٌ أو يتهوَّد أو ينكر خالقه ويلحد وقد رأى الحقائق رأي عين، ولكن المعصوم من عصمه الله تعالى، ولا نهاية للضلال والحرمان.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإيمـان حركـة كبرى في واقع الحيـاة، وليس معنىً جامداً فـي قلب إنسـان! ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ يبدأ الإيمان فـي قلب صاحبه، ثم ما يلبث أن يجري في فلك مشاعره، ويمد صاحبه بالقوى الفكرية والمشـاعرية والوجدانية التي تجعله جزءاً من دينه، ويقوم بحظوظه في الدارين ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ولكنه ليس ذلك الإيمان الجامد في القلب فحسب، وإنَّما ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ آمنـوا ثـم أقبلوا علـى العمل الصالح بكل أنواعه وأشـكاله وصوره، ثم تحوَّل ذلـك المعنى من عمل صالح إلى إصـلاح، تتعاون فيـه تلك الفئـات على حقائـق الحق الذي يحملون، ويتحملون في المقابل الأعباء والأثقال التي يواجهون حتى تجري أحداث هذا الدين كما يراد لها، وتأخذ حظها من نفوس العالمين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ كمـال كل إنسـان بمراتب أربـع: معرفة الحق، والعمل به، وتعليمه للعالمين، والصبر على الأذى فيه، فكم من عارف للحق غير عامل به! وكم من عارف وعامل بـه، وتفوته أرباح الدعوة إليه! وكم من عارف ومعلم، ولكنه قليل الصبـر على الأذى فيه! فإذا ما توافرت الصفات الأربع في إنسان، فأصبح عارفاً بالحق، وعاملاً به، وداعياً إليه، وصابراً على الأذى فيـه كان ذلك من أعظم الدلائل على كمال إيمانه، وعلو كعبه، وتمام إحسانه في الدارين.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الدعــوة إلى دين الله تعالــى مرتبطة بالأذى، وكل فكرة أو مشــروع أو قضية يراد لها الحياة في واقــع الناس تحتاج إلى جهاد ونضال، وليس أدل على ذلك من ســير الأنبياء والمصلحين من فجر التاريخ إلى يومنا هذا، والإشارة في السورة ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ بعد الأمر بالتواصي بالحق ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ دليل على ذلك. وهذا نبينا ﷺ أُتهم بالكذب والجنون وأنه صابئ، وشُــجَّ وجهه، وكُســرت رباعيته، ووضع ســلا الجزور على ظهره، وحُبس في شــعب أبي طالب ثلاث سنوات، وطُرد من مكة ورُمي بالحجارة في رحلة عودته من الطائف، وكل هذه سنة من ســنن الطريق ذكَّره بها ورقة بن نوفل في أول نزول الوحي عليه حين قال: (ما جاء نبي بمثل ما جئت به إلا عودي). وعلى كل أبٍ ومربٍّ وداعٍ للخير أن يدرك هذا المعنى، ويتحمل أعباء الطريق ويقوم بواجبه، وستحين ساعات الفرح والنجاح يوماً من الدهر.

• **وعلَّمتني**: أثر الجماعة في ديــن الله تعالى، ترى ذلك من خلال لفظ الجماعــة في الســورة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ ومــن تأمــل التشــريع وعناية الإســلام بأمر الجماعة في أركان الإســلام على وجه الخصــوص عرف أثر ذلك في دين الله تعالى، وعلى سالك الطريق أن يمد قدر وسعه في هذه الغايات، وأن يجهد بــكل ما يملك في تكامــل أدوارها حتى يأتــي منها على ما يريد في النهايات. وما حاجة الأمة اليوم إلى شيء حاجتها إلى إحياء

روح الجماعـة، وأول لبنة في هـذا المعنى الكبير شـعور الفرد بهذا المعنى وتأصُّله في فكره وحرصه عليه غاية وسعه، ومن ثم تشكُّله في الأسرة والبيت، ومن ثم مسـجد الحي وجماعته، مروراً بكل اجتماع يمكن أن يكون لبنة في الاجتماع الكبيـر الذي ترقبه الأمة في النهاية، وتكون به جسداً واحداً ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المؤمنون: ٥٢].

• **وعلَّمتني**: ضرورة الصبر، وأنَّه أعظم الطرق السالكة بصاحبه إلى النجاح والتوفيق! ولو لم يكن من ذلك إلَّا عناية الوحي به وتكراره في كتاب الله تعالى أكثر من تسـعين مرة، ووعد الله تعالـى لأهله بأعظم الجـزاء ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمـر: ١٠] ومن عرف عوائده وذاق لذته ورأى آثـاره أدرك ما يخلفه هذا المعنـى الكبير، وهو من الأخلاق التي تُكتسـب بالمران، وفي البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ﷺ: «**ومن يتصبَّر يصبِّـره الله**»، وليس أصلح لبلوغ أمانيك في ولـدك وطالبك وزوجك، وصلاح بيتـك، ونجاح فكرتك ومشروعك منه، وهو كل شيء بعد توفيق الله تعالى. وكم من ضالٍّ عاد للهداية! وكم من عدوٍّ للحق صار من أنصاره! وكم من بعيد عن الحياة عاد يشرب من معينها كل شيء!.

سورة الهمزة

• **علَّمتني سورة الهمزة**: أنَّ التعامل مع الآخرين دين كما هي بقية شرائع الإسلام لا فرق، فكما أن الصلاة والصيام دين، فكذلك تعامل الإنسان مع أهله وزوجه وأسرته وجاره وصديقه وزميله هي كذلك دين، ومن فقه الإنسان وكمال وعيه أن يرقب هذا المعنى، ويتعامل مع الآخرين وهو يتعبد الله تعالى بذلك، وفي الحديث: «**إنَّ صاحب حسن الخلق يبلغ درجة الصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا يفتر**»، وقال ﷺ: «**إنَّ أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**». وإذا أردت أن تعرف قدر هذا المعنى، فتأمل وعيد الله تعالى في مطلع السورة للمعتدين على الآخرين الواقعين في أعراضهم كيف يتوعَّدهم الله تعالى وهو القوي العزيز: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ وانظر لمشاهد النهايات ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾.

• **وعلّمتني**: أثر الكلمة وخطورتها في حياة إنسان، وكم من كلمة ألقت في قلب صاحبها الأفراح! وكم من كلمة ألقت به في أودية الضياع! وهذا الوعيد العظيم الذي تقرأه في مطلع السورة من أثر كلمة، وقد قال ﷺ: «**وإن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالاً يُحل الله بها عليه رضوانه إلى يوم القيامة. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يُحل الله بها عليه سخطه إلى يوم القيامة**»، ومن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته حتى يفضحه في جوف بيته، والله المستعان! وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في ترجمته لأحد الرجال بعد أن ذكر ذكاءه وعلومه: وتغيَّر ذهنه في أواخر عمره ونسي غالب محفوظاته حتى القرآن، ويقال: إنَّ ذلك كان عقوبةً له لكثرة وقيعته في الناس. اهـ.

• **وعلّمتني**: خطر الغيبة، وأنَّها مفضيةٌ بصاحبها إلى النيران ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾ والهمَّاز: هو الذي يعيب الناس ويطعن فيهم بالفعل؛ كالإشارة، والتمثيل بيده أو لسانه أو جسده، ونحو ذلك، واللمّاز: هو الذي يعيبهم ويطعن فيهم بالقول، وهي دليل على رذالة أخلاق صاحبها، وسوء طبعه، ورقة دينه، وضعف قيمه، وكم من كلمة قالت لصاحبها: دعني، وقد قال ﷺ: «**أتدرون من المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل**

مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، فطرح في النار».

• **وعلّمتني**: أنَّ من سوء التوفيق لإنسان أن يهبه الله تعالى نعمة من النعم ثم يذهب بها في الحرمات! ألا ترى هذا كيف أن الله تعالى جعل له لساناً، ومكّنه من الإفصاح عن حاجته والقيام بشؤونه، فإذا به يُجري هذه النعم في فلك الحرمان، فيتتبع بها عورات إخوانه، ويكشف بها سرَّ المؤمنين المتقين، ويعبث بها في الحرمات حتى يلقى الله تعالى يوم القيامة مثقلاً بالذنوب والسيئات. وكم من إنسان يعسر عليه ذكر من الأذكار، أو قراءة بعض آيات كتاب الله تعالى وهو يخبط كل لحظة في أعراض المسلمين لا يبالي ما يصنع فيها، ولا يشعر بشيء من الخذلان، وليس لسوء التوفيق حدود، والله المستعان.

• **وعلّمتني**: أنَّ الوحي يبني منهجاً في دحض الشبه والظنون الخاطئة، ويدفع عن الإنسان الأوهام، ويبني لديه تصورات الحياة كما ينبغي أن تكون، ومن عرف خطر هذه القضية وأثرها الكبير في بناء مستقبله أدرك ما للوحي من آثار! كل الوحي يبني الأفكار والمفاهيم، ويشكّل التصوُّرات الكبيرة، ولن تجد صاحب علاقة متينة بالوحي على

علاقة بالأوهام في شيء، ومَنْ بَعُد عن الوحي صار بيئة مهيأة ومرتعاً خصباً للأوهام في مستقبل الأيام. تعرض السورة قصة مأسور بالوهم ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ كسب أموالاً وظنَّها كل شيء، وذهب يتمطَّى في أعراض الناس بناءً على ذلك، وفاته أنَّ المال لا يبني عزّاً أو جاهاً لإنسان إلا بالقدر الذي يدفعه في مراض الله تعالى، وما عدا ذلك فضياع. وهذا درس متين يصلح للآباء والمربين والدعاة، يدعوهم للتركيز على بناء الأفكار والمفاهيم من خلال الوحي، ويدعوهم في الوقت ذاته للإغارة على مفاهيم الأوهام والدجل من خلال الوحي.

• **وعلَّمتني**: أنّني إذا أردت علاج مشكلة ما، فلا بدَّ من وصف المشكلة وصفاً دقيقاً، ثم عرض أسبابها التي كوَّنتها مع الأيام، ومن ثم نتائجها وأخطارها القادمة، ولا تعجل في علاج مشكلات دون النظر في أسبابها، والتعرف على أخطارها في قادم الأيام. تعرض السورة هذا النموذج المثالي في علاج المشكلات؛ فوصفت المشكلة أولاً ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ وأبانت عن سببها الرئيس ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ ثم وضَّحت بجلاء النتائج المترتبة على ذلك ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الجزاء من جنس العمل، ومن استقبل الحرمان لقيه ولو بعد حين. كان هذا الإنسان في عافية من أمره حتى أقبل على أعراض الآخرين، ثم بُلي بسوء الخواتيم والعياذ بالله ﴿ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ ﴾ وما له وللنار وقد كان في منأى عن الضلال! ومن ابتلي بالخوض في أعراض الآخرين ابتلاه الله تعالى بموت قلبه عاجلاً أو آجلاً، وقلَّ أن تجد مشغولاً بأعراض الآخرين إلا أشغله الله تعالى عن نفسه وأنساه مصالحه في الدارين.

سورة الفيل

• **علَّمتني سورة الفيل:** أنَّ هدم (الأصول) فكرة قديمة لدى الأعداء، وهذه الهجمة على سنة رسول الله ﷺ بضعة من فكرة أبرهة في قصة هدم الكعبة (وما أكثر أبرهة في زمانك!) لقد رأى أبرهة أنَّه لا حيلة ولا طريق إلى إيقاف زحف هذا الدين وتمكنه في قلوب العالمين إلا بإزاحة هذا الأصل من خلال هدم الكعبة وتقويض بنيانها، فسيَّر جيشه لتحقيق تلك الأمنية، وذات الفكرة اليوم تتجدد في عقول أتباعه، وها هم يجهدون في هدم وتشويه أصول الإسلام (الكتاب والسُّنَّة) في صور كثيرة تتجدد مع تجدُّد الزمان! من تلك الصور التشكيك في صحيح السُّنَّة، والتركيز على المتشابه من النصوص، وإثارة الخلاف فيها، وفي المسألة قولان، وثلاثة، والحديث ضعيف حتى لا يكاد يستقيم لك نص تجري عليه فصول دينك في مستقبل الأيام. وما عاقل أحوج منه اليوم إلى تعظيم الوحي، وإجلال شعائره، والقيام بحقه، وتقديس مفاهيمه، وأخذه من أهله الذين زكَّاهم الله تعالى في كتابه ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

• **وعلَّمتني:** ضرورة العناية بأصول الإسلام وإجلالها، وأنَّ هذه الأصول (الكتاب والسُّنَّة) أعظم مفاخر الأمة على الإطلاق، وهي

خارطة الطريق وبوصلة الشمال! وليس في الأرض كلها أمة من الأمم تملك خارطة ترى بها معالم الطريق، أوضح ما تكون كهذه الأمة، ومن عرف هذا المعنى تمسَّـك بها وجهد في حفظها وضبطها، ويمَّم وجهه إليها حتى يأذن الله تعالى له فيها ومن خلالهـا بالحياة؛ فواجب حفظ هذا الوحي كبير وعظيم سـواء من خلال زيادة فتـح حلقات التحفيظ كتاباً وسُـنَّة، أو التدريس فيها لمن يملك القدرة، أو شـرح مضامينها وتعليم مفاهيمها لعموم المسـلمين، أو بعث أبنائنا إليها ودعمها ماليّاً وفكريّاً واجتماعيّاً حتى تصبح أول وأهم المفاهيم التي تأخذ حظها من عقول أبناء هذه الأُمَّة، وتكون جزءاً مهماً ومؤثـراً في بناء منظوماتهم الفكرية والتربوية في مستقبل الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ عدوك لا ينفك عن عدائك، وأنه أحرص ما يكون على حربك ومواجهتك بكل الوسائل الممكنة لديه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فلا تظنَّنَّ يوماً أنه سيتخلى عن حربك ومواجهتك، ومن فقهك وكمال وعيـك أن تفقه هذه الحقيقـة جيداً، وأن تكون مسـتعداً غاية الاسـتعداد لمجابهة تلك الحرب المنظمة من خـلال إيمانك بدينك، ويقينك بحقائقـه، وثباتك على قيمك ومبادئـك، وأن تتحصَّن بالعلم حتى تكون أقدر علـى مواجهته في معركته القادمـة معك. لقد حاول أبرهة بكل ما يملـك من قوة وعتـاد أن يهدم الكعبـة، ويقوِّض هذا البنيـان، ويهدم ذلـك الأصل الكبير حتى يسـتطيع أن يمـرر أفكاره ومفاهيمه كما يشاء، وعدو اليوم أمكن ألف مرة في أدوات الحرب التي

يملكها، وآلة حربه اليوم قضايا الأفكار والمفاهيم التي يريد أن يدير بها ومن خلالهـا اسـتبدال مفاهيم وتصـورات دينك، وإحـلال مفاهيم وتصورات جديدة في مستقبل الأيام.

• **وعلَّمتني**: أنَّ دين الله تعالى سـيظل حيّاً قـادراً على البقاء مهما كانت قدرة العدو الذي يواجهه. لقد أقبل أبرهة بكل ما يملك، وتركت قريش البيت له، وكان الطريق فسيحاً أمامه فتولَّى الله تعالى شأنه، ولم يتكلف له في شيء، وإنَّما بعث الله له طيراً تحمل أحجاراً صغيرةً جداً وجعلهم عبرةً للتاريخ ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ وإنك حين تـرى تلك الجنود التي حشـدها ذلك الطاغية، ثم تـرى تلك النهاية التي صـاروا إليها ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ ومن طير في أفق السماء لتعلم يقيناً أنَّ هذا الدين سيبقى ما بقيت الحياة، وأنَّ كل صور الكيد والمعارضة التي تواجه هذا الدين مصيرها الفشل والإخفاق، والتاريخ شاهد على ذلك، وما استكبار فرعون، وأقوام الكفر من زمن نوح إلى زمان نبينا ﷺ إلا بعض صور تلك الحقيقة الكبرى، وفي النهاية إلى الضياع.

• **وعلَّمتني**: عظيم قدرة الله تعالى، وأن الله تعالى إذا أراد أمراً قال له: كن فيكون، وإن الناظر إلى الصورة والمشـهد فـي بدايته لا يكاد يشـك أن الكعبة إلى زوال، وأن هذه نهاية بيت الله تعالى من الأرض، وأنه لا يبقى أصل يتهـادى إليـه العالمون في مكان، ثـم ما هي إلا

لحظات والقوم صرعى كالزرع الذي أكلته الدواب، وألقت عليه بأقدامها حتى جعلته رفاتاً، وبانت الحقائق أظهر ما يكون! وما أكثر هذه المشاهد في أعداء الله تعالى من فجر التاريخ إلى يومنا هذا، ومازالت تتكرر وتتعدد مشاهدها، والمصروف من صرفه الله تعالى عن هذه المشاهد، وألقى به إلى الضياع. وفي الحديث: «**إنَّ الله ليملي للظالم حتَّى إذا أخذه لم يفلته**»، وقرأ قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

• **وعلَّمتني**: عاقبة المعصية وشدة خطرها وسوء شؤمها على أصحابها، ولا أدل على ذلك من منظر أولئك الطغاة وهم صرعى على الأرض بعد أن كانوا يرفلون في النعيم كما يشاؤون ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢﴾. لقد أخذ منهم الغي والباطل كل شيء، وبلغ من نفوسهم كل موقع، ونسوا كل عبرة وطغوا حتى تطاولوا على الله تعالى، ورأوا أنهم أقدر على هدم بيته ومواجهة دينه وقتل أوليائه، وكذلك تفعل المعاصي بأصحابها! يخرجون كل مرة من عنق الزجاجة، وتفرج عنهم أبواب السجون، ويعودون لذات المكان من جديد، وتجري عليهم أحداث الفشل والإخفاق من جديد. ومن قرأ فصول التاريخ أدرك ما تصنع المعصية بأصحابها في النهايات.

سورة قريش

• **علَّمتني سورة قريش**: أنَّ (الوحـدة والاجتمـاع والائتلاف) في بيت وأسـرة ومجتمع من أعظم النعم التي يجـب أن تأخذ حظها من الشـكر والعرفان! وضياع هذا المعنى في واقعٍ ما ضياعٌ لكل شـيء، وليس وراء ذلك إلا الفرقة والشتات والفوضى. إن الله تعالى يمتنُّ على قريش بهذا الاجتماع الذي صنعه لهم، وأمَّنهـم في رحلاتهم وطلبِهِمْ رزقهـم ذاهبين راجعين، وهـم آمنون مطمئنـون ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢﴾ وقد قـال ﷺ: «**من أمسـى آمناً في سربه، عنده قوت يومه وليلته، فكأنما حيزت له الدنيا كلها**». ومن حُرم شـيئاً من ذلك فقد حرم كل شـيء، وما يصنع آمن في سربه لا يجد ما يسد به جوعه! وما يفعل إنسـان بأرزاق الدنيا كلها بين يديه، وهو لا يسـتطيع أن يرفع لقمته إلى فمه من الخوف! ووعـي هذا المعنى ورعايته يجب أن يبدأ من الفرد، فيكون صالحاً للاجتماع والائتلاف في بيته وأسـرته وعمله ومشـروعه، وأي خلاف يصنعه الفـرد في تلك المساحات هو ثقب الغرق في سفينة النجاة العامة في النهاية، وقلْ مثل ذلك في حياة كل ابن وزوج وأب في كل بيت وأسرة وحي ومجتمع!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ عبادة الله تعالى أعظم معاني الشكر، وأنَّ من أقبل على الله تعالى صادقاً وعظَّم شعائره، وأدَّى واجباته، فقد أتى على شكر نعم الله تعالى، وقام بحقِّها من الإجلال! وأدركت حينها أن الشكر ليس تلك الكلمات التي نردِّدها على ألسـتنا دون أن تأخذ حظها من قلوبنا ومشاعرنا، ولا تلك السـبحة الطويلة التي يدار خرزها في كل مرة ولا نشعر إلا بنهايتها، وإنَّما هو استشـعارها في قلبك وجوارحك، والفرح واللذة بها، وإذا عـرف قلبك هذه النعم أجلَّهـا وعظَّمها وقام بحظها، وجرت الحياة في قلبك ألف مـرة، وإذا أخذت حظَّها من قلبك جرت على لسـانك في كل لحظة، ومن ثم اسـتثمرتها في طاعـة الله تعالى والتقـوِّي بها على مرضاته! وكم من شـاكرٍ بلسـانه وهو عاكف على معصيته! وكم ممَّن يجري خرز مسـبحته على يديـه كل لحظة، وهو أعظم الغافلين عن القيام بحقه! وما تغني الصور عن الحقائق في شيء! والموفَّق من وفَّقه الله تعالى.

سورة الماعون

• **علَّمتني سورة الماعون:** أنَّ الإسلام كما هو علاقة بين الخالق والمخلوق، فهو كذلك علاقة بين المخلوقين بعضهم البعض! وأخطر المفاهيم التي تواجه كثيرين اليوم هذا الفصل الشائع بين المعنيين، مما ولَّد خصاماً سافراً في الواقع، فترى حريصاً على شعائر الله تعالى من الصلاة والصيام وغيرها من العبادات، وهو ذاته الذي لا يتحرَّج من الاعتداء على حقوق الآخرين فيأكل مال يتيم، ويعبث بحق زوجه، ويعتدي على جاره، ويظلم عامله، وتجري منه فصول كثيرة، وهو لا يكاد يتخلَّف عن مساجد الله تعالى في شيء! وإذا أعدت قراءة هذه السورة مراراً، فسترى هذه الحقيقة المرة، والتي يصوِّر فيها القرآن أن أعظم صور التكذيب بيوم القيامة وأشدها أثراً في حياة صاحبها عدم رعايته لحقوق هؤلاء الأيتام والمساكين ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ إنَّ المتأمل في حياة المسلمين اليوم يرى فوضى كبيرة ومخلَّة في هذا المعنى ترى فيها المصلي الصائم التالي لكتابه تعالى وهو ذاته القاطع لرحمه، والمخاصم لجاره، والمختلف مع زوجه، وهو ذاته الذي تدار المعارك صباح مساء مع أبنائه، ثم إذا أذَّن المؤذن للصلاة يمَّم وجهه إلى بيت الله تعالى مصلِّياً متعبداً حافظاً لهذا الحق العظيم، ثم ما يلبث أن يخلع كل تلك

العبادة مع أول قدم يخرجها من المسجد، وتبدأ فصول الخصومة والنزاع وأكل أمـوال الضعفاء والظلم، تجري في فصـول حياته في يومه وليلته زمناً من الدهر، وهذه آثـار ذلك الخلل الكبير في الأفـكار والمفاهيم والتصوُّرات حتى تكوَّن هذا الفصل الكبير فـي مفاهيم العبادة فأخذت هذه الأخطاء مساحتها من واقع الأمة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الإسلام يرعى حقوق الضعفاء والفقراء والمساكين، ويعتني بشأنهم، ويخاصم من يؤذيهم، أو يقف لهم في عرض الطريق للدرجـة التي يجعل مـن أعظم صفـات المكذبين بيـوم القيامة من لا يرعى تلك الحقوق أو يقـوم لهم بتلك الواجبـات، وإذا أردت أن تعرف حقوق هؤلاء، فاقرأ نصوص الوحيين بوعي تجد كل شيء! هذا الإسلام يدعوك لرعاية هذه الفئات والقيام بشؤونها، والسعي لها بكل ممكن، وفي الحديـث قال ﷺ: «**أنا وكافل اليتيـم كهاتين في الجنة**»، وقال ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسـكين كالمجاهد في سبيل الله**». فتأمل هذه المعاني وانظر لأثر هذه الثغـور التي تجعل ملازمها أقرب الناس برسول الله ﷺ، وكالواقف على ثغور الجهاد، وهو لم يخرج قيد شـبر! فكيف إذا أدركت أنَّ هذا العمل موجبٌ لحصول بركات الرزق والنصر، قال ﷺ: «**إنَّما تنصرون وترزقـون بضعفائكم**»، وهذه المعاني من فروض الكفايـات متى تُركت لَحِقَ الأمة بفواتهـا إثم كبير، وهي أحوج ما تكون إلى صاحب رايـة وتخصص يرفع عن الأمة إثمها يوماً من الدهر، وانظر إلى واقعك من هذا المعنى الكبير، وتأمل سيرتك في

رحاب هذه المساحة، واجعل لنفسك منها نصيب الفالحين بما تستطيع، وكم من وقت أو جهد أو فكرة أو مساحة عمل في ظلال هذا المعنى جرى عليك بنعيم الدارين!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ عنايتك بأولوياتك والاهتمام بها من أعظم ما ينبغي أن يسيطر على تفكيرك، وقضية الصلاة أول ما ينبغي أن تكون في سُلَّم أولوياتك، وقد بلغك أنَّها ركن الإسلام الثاني، وتاركها كافر والعياذ بالله تعالى، وأول سؤال تُسأله عنها بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وعند الترمذي ـ وصحَّحه الألباني ـ قال ﷺ: «**أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة**»، وظلَّ نبيك ﷺ يوصي بها وهو في سكرات الموت «**الله الله في الصلاة**»، وإذا كان المصلي متوعَّداً على فوات بعض حظوظها من واقعه وهو يصلي؛ فكيف بمن فرَّط فيها وضيَّعها من أصلها، والله المستعان!.

إنَّ من فقهك أن تجلَّ صلاتك، وأن تتوجه إليها مع أول صوت المؤذن، وأن تتهيأ لها غاية وسعك، ثم إذا أقبلت إليها أقبلت وأنت تعلم أن الله تعالى أمامك، وأي انصراف بقلبك عنها مؤذن بانصراف الخيرات بين يديك، وقد قال ابن القيم رحمه الله: والصلاة مجلبة للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، مطردة للأدواء، مقوية للقلب، مفرحة للنفس، مذهبة للكسل، منشطة للجوارح، ممدة للقوى، شارحة للصدر، مغذية للروح، منورة للقلب، حافظة للنعمة، دافعة للنقمة، جالبة للبركة، مبعدة للشيطان، مقربة من الرحمٰن، وبالجملة: فلها تأثير عجيب في حفظ صحة البدن والقلب وقواهما، ودفع المواد الرديئة عنهما،

وما ابتلي رجلان بعاهةٍ أو داءٍ أو محنةٍ أو بليّـةٍ إلَّا كان حظُّ المصلّي منهما أقل، وعاقبته أسلم. اهـ.

• **وعلَّمتني**: أنَّ أخطـر الأمراض التي تواجهك ليسـت الأمراض الحسية التي يمكن علاجها في أقرب مشفى، وإنَّما الأمراض المعنوية التي لا يعتل منها جسـدك الظاهر، ولا تلقى لها عقبات مباشـرة في طريق يومك وليلتك، ولكنها تنخر في حياتك وتذهب بعملك وتضيع جهدك وتَسْـفُّك الرمل الحار بعد كل عناء وجهـد ووقت، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ الرياء: أن تعمل عملاً في أصله قربة لربك، وفي حقيقته رغبة في مدح من حولك واسـتكثاراً من شـكرهم وتقديرهم، فلا أنـت الذي عبدت ربـك، ولا أنت الـذي لقيت مـن المخلوقين ما يعوّض جهدك وتعبك! كم من عمل كبير حقّرته النية! وكم من عمل صغير عظّمته النيـة! وقد قال الفضيل رحمه الله: إنَّمـا يريد الله تعالى منك نيتك. وقال سـفيان رحمه الله: ما عالجت شـيئاً أشـدَّ عليَّ من نيتي. وإذا أردت أن تعرف خطر الرياء، فتأمل كلام ربك في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشـركاء عن الشـرك، من أشـرك معي غيري تركته وشـركه**»، وحديث الثلاثة (المجاهد، وحافظ القـرآن، والمتصدق) الذين جهدوا وتعبوا وبذلوا ولكن في غير طريق، وفي النهاية هم أول من تسعَّر بهم نار جهنم يوم القيامة، وكل واحد مـن هؤلاء يقول لربه: إنَّما فعلته من أجلك، فيقول: كذبت، إنَّما فعلته من أجل كذا، وقد قيل! فيمّم وجهك إلى ربك، واصدق معه قدر وسـعك، وأكثر من الأعمال الصالحة فيما

بينك وبينه، وسله أن يسلَّ من قلبك عاجل ثناء المخلوقين، ويقبل بك عليه، إنه جواد كريم.

• **وعلَّمتني**: أنَّ ثمـــة أخـلاقـاً لا تليـق بالكبـار، ولا تصلـح للمؤمنين في شــيء، وهــي أخلاق البخل والشح، قــال تعالـى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ وليس الماعون هو قــدرك ودلوك الذي تمنعه الآخرين، وإنَّما يجري في صور كثيرة تفوق الحصر، منها: طالب علم ضنَّ بكتبه ومذكراته التي كتبهـا على زميل محتاج لها، وصاحب علم قعد في بيته رغم حاجة مسجد الحي لإمام أو لدرس، ومنها مَن منَّ الله تعالى عليه بجاه ومســؤولية ومكانة، ولكنَّه لم يسـتثمرها في مشروع لدينه ومنهجه وبخل به على من حوله، أو ذلك الذي أعطاه الله تعالى مالاً، ثم لا يجد ما يســد به جوعة محتاج أو فقير أو مسكين! وتجري هذه الصور في حياة إنسان معه سيارتان ولا حاجة له بالأخرى وجاره محتاج لها، وهو يبخل بها، أو زميل يملك رصيداً في باب من أبواب العلم، أو الحاســب، أو اللغة الإنجليزية ولم يَهَبْ لمن حوله من ذلك شــيئاً، أو تلك التي تملك فســتاناً للفرح، ولكنَّهــا ضنَّت به على من تحتاج إليه في حالك الظرف. وهي دعــوة في المقابل أن تكون كريماً جواداً باذلاً معطاءً سواء في طاقاتك وقدراتك ومهاراتك، أو في مالك وشــفاعتك، أو حتى في طلاقة وجهك، فكن جزءاً من الحياة ومساحةً من الربيع تلقى كل شيء.

سورة الكوثر

• **علَّمتني سورة الكوثر**: حبَّ الله تعالى لأوليائه، ورعايته لهم، ودفاعه عنهم، وتذكُّرك بقول ربك تعالى في الحديث القدسي: «**من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب**». حين وصف الكفارُ نبيَّ الله تعالى بأنّه أبتر لا عقب له، وأنه لا يأتي له ولد إلا مات، وعيّروه بذلك فتولّى الله تعالى الدفاع عنه، وأغدق على مشاعره بردّ تلك التهم الفارغة، وأخبره بعطائه الكبير، وسلّاه بأنه هو الواصل، وغيره المقطوع ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ ومن قرأ تفاصيل هذا المعنى في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسوله ﷺ جرت الحياة في مشاعره إلى أقصى مدى! وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: «**وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ومايزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصره به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء تردُّدي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته**». فتأمل هذه الصورة، وقارنها بتلك التي تولّى الله تعالى فيها الدفاع عن نبيّه، وواجه أعداءه وسلّى مشاعره، وكفاه الرد على أولئك الأعداء؛ لتعلم قول

الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣] وإذا كانت الحقائق كذلك، فاعقد العزم على صناعة هذه الولاية في واقعك، وستجري أحداثها الكبرى في حياتك يوماً من الدهر.

• **وعلَّمتني**: أنَّ الثبات على الحق، والصلة بالله تعالى والانشغال بالعمل الصالح أعظم ما تواجه به عدوك، وأكبر الردود على المعرضين من حولك حين يتوجَّه إليك عدوك، ويقف في وجهك، ويزاحم طريقك، ويقف ندّاً لك فلا تنشغل بالردِّ عليه، والخصام معه والانشغال به، وتنصرف عن مشروعك وفكرتك وقضيتك؛ بل توجه إلى ربك، وأقبل عليه، وأصلح ما بينك وبينه، وهو تعالى سيتولَّى عنك كل شيء، ترى في السورة أنَّ الله تعالى لم يأمر رسوله ﷺ بالدفاع عن نفسه وتبرئتها مما عيَّروه به، وإنَّما دلَّه على العبادة، وأوصاه بأن يمسك بالطريق من خلال هذا المعنى الكبير ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ ما أكثر ما يعرض لنا العدو في الطريق! وما أكثر ما يشوِّش علينا مشاريعنا، ويوقفنا عنها دون وعي. كم هي الأحداث التي داهمت الأمة ومازالت، وكم أخذت منا من متابعة لأخبارها وتحليل لمجرياتها وفرز لأحداثها، وما إن تنتهي حتى تبدأ حرب أخرى بذات الأوقات وفي مساحة أخرى، وتأخذ منا الأوقات ذاتها أو أكثر، ثم تضيع أعمارنا في تلك المساحات، فلا نحن الذين دفعنا بمشاريعنا للأمام، ولا نحن الذين أقبلنا على الله

تعالى، وأجرينا الحياة في نفوسنا من خلال ذلك المعنى الكبير، فربح العدو مرتين؛ مرة في مساحة الأرض التي قرر فيها الحرب، والأخرى في المساحة التي هو بمنأى عنها حين أشغل بعضاً من خصومه عن مواجهته الفعلية بالهوامش والفوضى في عرض الطريق.

تعلَّم في كل مرة ألا تنشغل بعدوك إذا لم تكن في الأرض التي تجري فيها الحرب، واعتبر تلك الدائرة على الإسلام في مساحة ما فرصة لتمتين دينك والعناية بمشروعك حتى إذا ما انتهت الحرب، تجد نفسك قد أصبحت متيناً كبيراً في مساحاتك ودائرتك.

• **وعلَّمتني**: أنَّ إدارة الأولويات أعظم ما ينبغي أن تنشغل به في يومك وليلتك ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾! ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ في غمرة الأحداث التي تواجهك، والظروف التي تعترضك، والعقبات التي يضعها العدو في طريقك، وهي رسالة ألَّا يعيقك عن مشروعك وفكرتك وقضيتك الأم شيء آخر، وأن أعظم شيء تواجه به معارك الخصوم طاعتك لربك ورعايتك لأولوياتك وانشغالك بفكرتك مهما كانت الخطوب من حولك. في مرات كثيرة وفي خضمّ ظروف الحياة الكبيرة تواجه الإنسان مشكلات وعقبات في الطريق، يختل فيها توازن الإنسان وأولوياته، وينشغل بها للدرجة التي تذهب أوقاته أعز ما يملك في مواجهة تلك المشكلات، أو محاولة إصلاحها وترميمها، ووصية الوحي لك أن تعود إلى ربك، وتعيد بناء نفسك من خلال إحياء

علاقتك به تعالى، وكم من عوائد كبيرة لهذا المعنى على صاحبه! وكم من أفراح تغشى مشاعره! وكم من أحداث ربيع في فكرته ومشروعه وقضيته! ومن قرأ وصية الله تعالى الكبرى لنبيه ﷺ في باكر تكليفه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ أدرك هذا المعنى الكبير بجلاء، ومثلك أوعى بفقه درسك وأعرف بأولوياتك، وأعظم من تجري عليك مشاهد زمانك، ثم لا يكون لك فيها ذكرى وعظة! إذا دهمتك الأحداث فيمّم وجهك إلى الله تعالى، وأَدِم الوقوف بين يديه، وأَطِلْ سجودك، وأحسن التضرع إليه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وليكن دعاءك: يا رب، يا رب، وستجري لك فصول الربيع من جديد، وتحين مواعيد القطاف.

سورة الكافرون

• **علّمتني سورة الكافرون**: قضية التوحيد، وهي تؤسس في نفسك أنَّ إقبالك على ربك وقربك منــه، وتوجهك إليه أجلُّ ما تعبَّدت به له، وأعظم ما قضيت بــه أوقاتك، وكل عبادة من عباداتك إنَّما هي ســقاء لذلك المعنى الكبير فيما بينــك وبين ربك. وتقرر لك في ذات الوقت أن الأحق بقلبك ومشاعرك وسؤالك وتوجهك هو الله تعالى وحده، وما عداه لا شــيء. تخلَّص من كل شــيء يأخذ حظّاً من قلبك ومشاعرك، وتجري له مســاحة في وجدانــك، واجعل قلبك لربــك وحده تعالى، ودَعْكَ من الشركاء؛ فهم لا يغنون في شيء ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ٦﴾ وتؤكد لك أنَّ توحيدك لا يســتقيم إلا بركنين اثنين: **الأول**: إخلاصك لــه تعالى، وصرفك كل أنواع العبادة له، **والثاني**: براءتك من الشــرك، وحذرك من أهله، وليس أعظم في حياتك من هذه الحقائق الكبرى، ومتى استقام هذان المعنيان في قلبك ومشــاعرك وجرت معانيها في واقعك، فقد اســتقام لك كل شيء! لا أعلم حرية أجل من حرية التوحيد، ولا شعوراً بالعزة أكبر في قلبك ومشاعرك من شــعور التوحيد، ومن صحَّ له توحيده صحَّ له كل

شـيء، ومن قرأ الوحي والتاريخ بعين المعتَبِر رأى الحقائق رأي عين، وعاش مبتهجاً بالحقائق التي يحملها حتى ذلك اليوم.

• **وعلَّمتني:** أنَّ الحق أكبر من أن يتسوَّل المعرضين في منتصف الطريق، وهذه المناقشة التي يصنعها النبي ﷺ مع الكافرين في أول خطوات الدعوة لدين الله تعالى ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ وفي مواجهة العدو المتمكن في الأرض تلك الحقبة مع الحاجة للمهادنة دليل على أنه ليس هناك نقطـة يلتقي فيها دين الله تعالى مع الباطل إلا على سـبيل الرضا بأن دين الله تعالى هو الحق، وما عداه باطل لا قيمة له، وكل مشاريع التقريب التي يراد لها اليوم أن تأخذ حظها مـن الواقع تظل في مواجهة هـذه المفاصلة الكبرى التي تصنعها سورة الكافرون بالأمس واليوم وإلى قيام الساعة، وإذا أدركنا أننا نتحدَّث مع كافـر ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ علمنا أنَّه لا سبيل للتقريب مع ضالٍّ لا علاقة له بالوحي في شيء.

جاء الإسلام ليكون هو المهيمن على الأرض، الباسط فيها نفوذه، صانع الحضارة الروحية والمعنوية والحسّيَّة للعالمين، وما عداه من النظم إنَّما هـي ظلام، وإن تبـدَّت في صورة حضارة مادية تسـقي الأحياء منها ما يشـاؤون في أول الأمر. وأسوأ الحقائق حين نريد أن نمزج بين الظلام والنور، ونقرِّب بين الحقائق والأوهام، ونعقد صلة

بين الحق والجاهلية في آنٍ واحد. الإسلام هو دين الله تعالى الحق، وهو الأقـدر على منح الحياة حقَّها من الجمـال، وليس في الأرض كلها دين غيره أو شيء صالح للحياة.

• **وعلّمتني**: أنَّ وصف الإنسان بما هو فيه منهج شرعي ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١﴾ وكلُّ ملّة لا حظَّ لها من دين الله تعالى، فهي ملّة كفر وأهلها كافرون، وكل دعوى تخالف هذا المعنى، فهي جاهلية تعارض الحق، وتقف لـه في منتصف الطريق، وثمة أصـوات تخاصمك حين تقول لصاحب الكفر كافر، ومعتنق النفاق منافق، وتريد منك أن تتحضَّر في لغتك وتسـمو على كل الخلافات الجوهريـة، وتقول في خطابك لكل هؤلاء (الآخر) وفات كلُّ هؤلاء أنَّ الذي يقرر هذا المعنى الكبير هو الله تعالـى ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]! وأفكارنا ومفاهيمنا وتصوراتنا عن الحياة كلها بلا اسـتثناء يجب أن تجري وفق هذا الوحي لا تتخلَّف عنه في شيء، وأنَّ كل فهم أو تصوُّر يخرج عن نطاق هذا الوحي، فهو ضلال لا قيمة له في شيء غير أنّه من كمال الوعي أن تفهم جيداً أن تقرير قضية الكفر وتمسُّـك أهله به لا يعني سـلب حقوقهم أو الاعتداء عليهم وظلمهم في شيء، وإذا أرادوا أن يبقوا على ملتهم، فالإسلام يُقرهم على ذلك وفق شروط حدَّدها وبيَّنها، وأنه ليس ثمة تعارض بين وصف الإنسان بما هو فيه، والتعامل معه بأرقى صور الاحترام والتقدير، وقد بسـط الله تعالى هذا

المعنى في قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨] وأخطر ما يُعبث به في زمانك (الأفكار والمفاهيم والتصوُّرات) فكن من أمرك على يقين.

• **وعلَّمتني:** أنَّ الثبات على القيم والمبادئ من أعظم ما يميِّز أصحاب الحق، وأنه مهما كانت الظروف التي تواجههم في تلك الحقبة أو تقف في طريق أحلامهم لا يمكن أن يتنازلوا عن مبادئهم وأفكارهم وقضاياهم التي يحملونها حتى يأذن الله تعالى بآمالهم التي يحلمون بتحقيقها يوماً ما.

إنَّ دور المصلحين سواءً كانوا آباءً أو دعاةً أو مربين إيضاح الطريق وإقناع العالمين به، وبيان ما فيه من الحياة ليس إلَّا، أما غير ذلك، فالأمر لله تعالى من قبل ومن بعد، وهذا المعنى الكبير في بداية الدعوة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ بيان لتلك الحقيقة في أول أيام الدعوة، وأول بشائر الحق في الأرض، فأما اليوم فقد بان كل شيء، وانجلت غبار الأوهام، وبات كل شيء أوضح من الشمس في رابعة النهار. لقد عُرض على النبي ﷺ في باكر الدعوة الأموال والزواج، وكل شيء من أجل أن يتوقَّف عن فكرته وقضيته وعقيدته الكبرى، فما زاد على أن قال: «**ما أنا بأقدر على أن أدع لكم**

ذلك على أن تستشعلوا لي منها شعلة» أي الشمس! حسّنه الألباني.

وتحمّل في سبيل ذلك الثبات كل وسائل التعذيب من سجن وحصار وطرد وإبعاد، وخروج من بلده، وتحمّل أعباء الغربة وكُسرت رباعيته، ووضع سلا الجزور على رقبته، وما زاده ذلك إلا يقيناً بالحق الذي معه حتى جاءت الحقائق تزدلف بين عينيه، وحان موعد النصر الكبير، ودخل مكة منتصراً، وعاد مع جمع كبير من أمم الكفر التي أسلمت وآمنت بدين الله تعالى، وآمنت بالأفكار الجديدة، وأعلنت ولاءها للعقيدة التي يحملها ﷺ، وجرت الحياة كما يريد الله تعالى، وصنع الثباتُ حقائقَ التاريخ كما أراد ﷺ.

سورة النصر

• **علَّمتني سورة النصر**: أنَّ تحقيق أحلامك، وبلوغك آمالك سيأتي ولو بعد حين! كم بين هذه الحقيقة التي يخبر الله تعالى بها في هذه السورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ وبدايات الدعوة، وصراع العقبات، وأحاديث النصر والهزيمة! كم بين هذه البشارة الضخمة التي يتلقاها رسول الله ﷺ وبين بدايات الطريق، وأيام المحن والبلاء، وحوادث الزمان التي مرَّ بها ﷺ في تلك الحقبة من الزمن! من كان يقول بأن الذي وقف على الصفا وحيداً هو الذي سينتصر في النهاية! ومَنْ كان يتوقَّع أن الطريد من أرضه، والمحصور في شعب أبي طالب ثلاث سنوات حتى أكل ورق الشجر هو الذي ستشرق له شمس النهايات بالنصر والتمكين! نجاحك مرهون بصبرك وبلائك في الطريق، والمشاريع الضخمة والأفكار الكبيرة تحتاج إلى نوع من التضحيات يليق بها ويصنع لها الحياة. تذكَّر وأنت في الطريق إلى تلك الأحلام هذه النهايات، فما من طريق إلا وله نهاية، وما من بداية إلا وتنتظر الخواتيم، وغداً سيحين ربيع أيامك، وتجري أحلامك كما تشاء، وتجد كل أمر كنت متشوّقاً إليه، وإنَّ غداً لناظره قريب!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ النجاح الذي يتحقق لك في النهايات، والفوز الذي تلقاه في الخواتيم إنَّما هو توفيق الله تعالى وهدايته لك، وليس لك من ذلك إلا بذل الأسباب، لقد بذل رسول الله ﷺ لدينه ومنهجه كل شيء، حتى إنَّه جُرح وشجَّ وجهه، وكسرت رباعيته، ووضع سلا الجزور على ظهره، وحوصر في شعب أبي طالب ثلاث سنوات، وطرد من بلده، وعاش هموم الحياة، ولكن يخبره الله تعالى في النهايات ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ نصر الله تعالى وليس نصرك، وتوفيق الله تعالى وليس ذكاؤك، وعطف الله تعالى عليك وليست قدراتك ولا مهاراتك ولا إمكاناتك، ليس نصرك ولا جهدك ولا تعبك، وإنَّما نصر الله تعالى ومحض توفيقه، وتفضله عليك، فاحمد الله تعالى، وتذلَّل له واشكره على كل ما تحقق لك، فهو الذي اختارك واصطفاك لذلك المعنى الكبير، وهو الذي شرح صدرك له، وأقبل بك عليه، ويسّر لك الطريق، ودفع عنك العقبات وأعانك، ومازال بك حتى جاءت تلك الأماني كما تريد، واحفظ وصية الله تعالى لنبيه ﷺ في مشاهد الختام ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ وما جرى مع رسولك ﷺ سيجري عليك لا فرق، فالدين دين الله تعالى، والأمر أمره، وله كل شيء، وحسبك بذل الأسباب، والناصر هو الله تعالى، وكن على يقين بأنَّ ما يجري لك من نصر وتمكين في طريقك إنَّما هو فضل الله تعالى عليك، وآمن أنك منتصر بالله، وأنك بدونه لا شيء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ قناعات الناس بالحق الذي معك، وإيمانهم بأفكارك، وقبولهم لقضيتك لا تأتي في العادة مبكراً، بل قد يطول

زمان انتظارها كثيراً، فإياك واليأس من الانتظار! الأفكار الضخمة والمبادئ الكبرى تحتاج إلى زمن طويل حتى تأخذ حقَّها من قلوب الناس ومشاعرهم، كم مرَّة قال فيها النبي ﷺ «**يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**»؟ وكم مرَّة خاصموه وجفوه وضربوه في سبيل مدافعتهم لتلك الأفكار التي تريد أن تخلِّصهم من ضلالهم، وتبني لهم الحياة؟ كم مرَّة انفضَّ ذلك الاجتماع الكبير وهم في نفور من تلك المفاهيم التي يطرحها النبي ﷺ؟ وكم مرَّة خاصموه ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥]؟!.

ولكنَّه ﷺ كان مصرًّاً على مدار عشر سنوات على الحق الذي يؤمن به: «**يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**»، حتى حان موعد الأحلام! حتى تعلم أنه إذا آمنت بفكرة أو قضية أو مشروع وأردت له الحياة، فلا بد أن يرضع أولاً من قناعاتك حتى الري، ثم إذا خرجت به للعالمين عاش حيّاً حتى يحين موعد الأفراح! تخيَّل تلك الحقبة من الزمن، وتلك الفئات تخاصم وتنازع وتجادل وتقاتل دون التخلي عن الأفكار التي عاشوا عليها والمفاهيم التي رضعوها من زمن الجاهلية، وظلَّ النبي ﷺ مؤمناً بربيع الحياة القادم، ويحين ذلك اليوم، وتتخلَّى تلك الأجيال عن الجاهلية من أصلها، وترضى بحلول الأفكار الجديدة في واقعها بل تتبنَّى الأفكار الجديدة، وتؤمن بالعقيدة الكبرى. يا الله ما أحوجنا للصبر! وما نراه بعيداً هو في الحقيقة أقرب ما يكون، وكل شيء أردنا له الحياة، فلا بد أن يجري في فلك الصبر والانتظار حتى يحين موعد فجره القادم بإذن الله تعالى.

سورة المسد

• **علَّمتني سورة المسد:** قضية المشـروع وأهميتـه في حياتك، ودوره في بقاء ذكـرك حيّاً في العالمين، وما أنت بحاجة إلى شـيء حاجتك إلى اعتناق (مشـروع للعمر) تبذل فيـه وقتك، وتصرف له جهدك وفكرك، وتناضل من أجله ما بقيت حيّاً! وتذكرك السورة بأن من كمال عقلك وفقهك ووعيك أن تكون أفقه من أبي لهب، وأولى منه بمشروع الحياة! لقد عاش هذا الضال لذات الفكرة، وكوَّن له مع الأيام قضية ومهمة في الضلال، وبقي ينازع فيها الإسلام وأهله حتى مات وهو على باطل، أفلا يكون لك مشروع لعمرك وقضية لحياتك، تستميت فيها كما استمات فيها ذلك الضال، فتعيش كبيراً في أمتك، وصانع حدث كبير في مسـاحتك، وصاحب ذكر حسن بعد رحيلك! لقد عـاش أبو لهب يطارد النبـي ﷺ، وكلَّما وقف فـي مكان يدعو الناس لدين الله تعالى قال هذا الضال: أنا عمُّـه، وهو كاذبٌ صابئ! وليس هذا الموقف في يومٍ أو شهر أو عام، وإنَّما أفنى فيه عمره حتى ودَّع الدنيا. أفلا تكون أنت أقدر علـى فكرة تصنع بها مجداً لدينك، وتدفع بها آمالـه وآمالك الكبـار، وتكتب بها حظك فـي الدارين! الحديث عن مشـروعٍ هو حديثٌ عن قضية كبـرى بكامل تفاصيلها

وأحداثها، مشــروع تتضح في ذهنك أهدافه، وتســتولي فكرته على فكرك وعقلك، وتبذل فيه جميع طاقاتك، فخذ مشــروعاً يتوافق مع طاقاتك وقدراتك وإمكاناتك، وابدأ رحلة الأشواق إليه، وقريباً بإذن الله تعالى تجري أرباحك كما تشاء.

• **وعلَّمتني**: أنَّ أبا لهب وهو على فكرة ضالة استثمر كل طاقاته وإمكاناته وقدراته لصالح مشــروعه الباطــل ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ فَجَنَّــد له مالــه ومكانته ووقته، وبذل في ســبيله كل شــيء، وإذا كان هذا حــال صاحب الباطــل مع أفــكاره ومفاهيمه وتصوراته، فلا أقل من أن تضرب بســهمك في الحــق الذي معك، وتشــارك بكل ما تملك، وإذا كان للباطل رجل، فللحق ألف رجل! يجــب أن تؤمــن أنَّ الرجــال بأفكارهــا ومفاهيمهــا وتصوراتهــا، والمجتمعات الناهضة لا تحسب بكثرة أفرادها، وإنَّما تحسب بفاعلية أولئك الأفراد! ومن فقهك ووعيك إذا اعتنقت فكرة، وأخذت قضية، وتبنَّيت مشروعاً، ووقفت على ثغر لأمتك أن تحوّل له كل شيء، وأن تبقى فيه لا تتنــازل عنه ما بقي بك الزمن، ومثلــك أوعى ألا يكون الشــقي الضال أولــى منك بفكــرة الحيــاة التي تســتحق النضال! ما أحوجنا اليوم إلى تبنِّي الأفكار والعيش لها، والبذل في ســبيلها، والتضحية من أجلها حتى نوردها النهايات. وقد جرت السنن أنَّ من أخذ شــيئاً بحقه جرت أحداثه الكبرى بين عينيه فضلاً عن مشــاهد الختام الكبرى بيــن يدي الله تعالــى! يمكنك أن تتأمَّــل في فكرك

وقلمك ووقتك وجاهك ووظيفتك، ثـم ترى ما الذي يمكن أن تركّز عليه منها، ثم تصنع بها ومن خلالها الحياة.

• **وعلَّمتني**: أنَّ صاحـب المشـروع والقضية والفكـرة العظيمة لا يكتفي بها في واقعه فحسـب، وإنَّما يجـري أحداثها في كل من حوله، بدءاً بأهل بيته ومروراً بالعالمين من حوله! لقد عاش أبو لهب فكرته ومشروعه وقضيته ومازال بها حتى أقنع زوجه بكل تفاصيلها، فخرجت من بيتهـا وحملت فكرته وحملت حطـب المعارضة على ظهرها، وخرجـت تلقي به في طريـق النبي ﷺ أمـام العالمين. إن أبا لهب لم يكتف بأن صنع من زوجه الضالة جمهوراً مشجعاً ورافداً كبيراً لفكرته ومشـروعه فحسـب، وإنَّما جعلها من أنصاره وأعوانه حتى خرجت بالفكرة ذاتها تنوء بأثقالها فـي العالمين! وما حاجتنا اليوم لشـيء حاجتنا لزوج يقنع زوجه بحجابها الشـرعي، ويغريها بفكرته وقضيته ومشـروعه الكبير حتى تشـعر برواء الإسـلام في مشـاعرها قبل أن يقنعها بحمل أثقال المشـروع في مستقبل الأيام، وقل مثل ذلك في حق الزوجة التي تعيش مشروعها من خلال تربية أبنائها؛ ليكونوا أنصاراً في مشـروع الإسـلام الكبير، وأعواناً له في الطريق! ومثل ذلك القائد في مؤسسته والمدير في دائرته، كل هؤلاء يتوقع منهم أكبـر مما صنع أبو لهب لفكرته ومشـروعه. ولعل يوماً يدني لنا أحلام الناهضين!.

• **وعلَّمتني**: أنَّ أبا لهب كان يملك عادة المبادرة، وهو أول من وقف أمام النبي ﷺ حين دعا قريش للإسلام فقال لرسول الله ﷺ: «**تبًا لك ألهذا جمعتنا**»! ومازال ينــوء بأحمالها وأثقالها، وكلما وقــف إمامٌ في محراب ذكَّرنا بأثرها عليه وأحمالها الضخمة في واقعه، فهو يُسبُّ في كل لحظة، ويجري وعيد الله تعالى عليه بنار جهنم إلى يوم الدين! وقد قال ﷺ: «**من سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**» ومن فقهك أن تدرك أثر هذا المعنى في حياتك، فلا تكن رأساً في باطل، ولا صاحب مبادرة في منكر، ولا تســنَّ سُـنَّة سـيئة وتحيــي أثرها في العالمين بعد موتها، فتبــوء بآثارها في الدارين! وتذكَّر فــي المقابل أثر المبادرات الصالحة في حياتك، وأنَّ من سنَّ سُنَّةً حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يــوم القيامة، وما حاجة الأمة اليوم إلى شــيء حاجتها لصانع مبادرة في واقعه، وكاتب لقصة حيــاة تجري أحداثها في العالمين ما بقيت الدنيا. يمكنك أن تكون رأساً في تخفيف تكاليف الزواج، أو في إحياء قِيَم ومُثُل في مجتمعك، ويمكنك أن تفتتح درساً في مكان فَقَدَ هذا المعنى، أو تقيم حلقة لتحفيظ أبناء الحي أو بناته في مكان متشوِّف لتلك الأماني، أو تشارك في بناء فكرة أو رأي تصنع بها الحياة من حولك.

• **وعلَّمتني**: أنَّ وجود العقبات في الطريق سُنَّة من سنن الله تعالى من فجر التاريخ إلى يومنا هذا، ولن يأتي فجر خالياً من أحداثها، فيمِّم وجهك وقلبك ومشــاعرك لربك تعالى، واثبت في طريق أحلامك، وكن جاداً في تبنِّي قضية دينك، ولا توهنك عقبات الطريق، وبين عينيك أحلام الدارين.

هذا رسولك ﷺ، وفي أول يوم من أيام دعوته والباطل في طريقه، والعقبات تزدحم بين يديه، ولا معين يسلّي قلبه ومشاعره في الأرض فضلاً عن عونٍ وصاحبٍ يجلي عنه العقبات، وأنت كذلك حين تبدأ في فكرتك ومشروعك وقضيتك، فلا تستغرب ما تلقاه في الطريق إلى تلك الأحلام، وكن على قدر فكرتك وقضيتك ومشروعك تجد أمانيك كما تشاء.

في مرات كثيرة ستكون العقبات التي تواجهك من داخل بيتك ومن أهلك، وفي مرات أخرى من بيئتك التي تعيش فيها، ومجتمعك الذي نشأت فيه، ومن قومك، وفي ثالثة من الظروف التي تحيط بك وتلقي بظلالها على واقعك، وفي كل هذا تعلّم ألّا تستسلم لعائق مهما كان حجمه، ولا تقف أمام عقبة، وكان يمكنك أن تدفعها من طريقك، وإيّاك أن تستسلم وأنت ترى بوارق الفجر، أو تقف حائراً في عرض الطريق، ولم يعد بينك وبين أحلامك سوى مسافة الطريق، أو تغشى مشاعرك الحسرات وقد آن أوان كل شيء! كن بطلاً في مساحتك، ومتفائلاً لا تفتُّ في عضدك المشكلات، وإيّاك أن تتخلى عن رايتك، أو تتنازل عن فكرتك حتى يأذن الله تعالى بالغيث، وتعود الأرض ربيعاً مورقاً مع الأيام.

• **وعلّمتني**: أنّ الإسلام سيبقى منصوراً متفوّقاً في كل زمان ومكان مهما كانت الظروف التي يواجهها، والعقبات التي يلقاها، والأحداث التي تعرض له في الطريق، هذه سُنّة الله تعالى في الكون ما بقيت الدنيا، وفي المقابل سيظل الباطل مهزوماً مدحوراً مهما ازدانت له الأيام، وستحين ساعات فشله وإخفاقه وكساده، ولو طالت

به ذكريات النصر الموهوم مع الأيام! وما هـذا الموقف الذي تقصُّه سورة المسـد ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ إلَّا جزءاً من هذه الحقيقة الكبرى، كان بالأمس في بداية الإسلام، وليس في الأرض سوى النبي ﷺ، وكان الكفر في المقابل ومعه أمم الأرض، ومن تلك اللحظة إلى يومنا هذا والإسلام يزيد ولا ينقص، ويكثر ولا يقل، ويطول ولا يقصر، ويتّسع ولا يضيق ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾ [التوبة: ٣٢ ـ ٣٣] وليس غير هذه الحقيقة إلى قيام الساعة.

إنَّ هذا المعنى كفيل ببثّ روح الأمل والحياة في قلبك، وبعث روحك من جديد، ومدِّك بالطاقة التي لا تخيب بها ظنونك مع الأيام، وإذا كانت هذه سُنَّة الله تعالى في الكون فلا مكان لهمومك، ولا مساحة ليأسك، ولا عذر لوقوفك في عرض الطريق، تفاءل، وابدأ قصة مشروعك، ورابط على ثغر من ثغور الإسلام، ولا يغرَّك جمهور الباطل أو سطوته في واقعك حتى يحين موعد النصر الكبير بإذن الله تعالى، والسؤال الكبير: ما دورك في نهضة دينك؟ وما المشاركة الجادة التي ستساهم بها في نصره وتكوين مساحته؟ وما الثغر الذي ستقوم عليه حتى يأذن الله تعالى بتلك النهايات التي ننتظرها في مستقبل الأيام؟ وما بقي بعد هذه الإجابات لا علاقة لك به في شيء.

سورة الإخلاص

• **علَّمتني سورة الإخلاص:** عظمة الله تعالى، وأنه تعالى واحد في ذاته، وواحد في ملكه؛ فهو المالك لكل شيء، القادر على كل شيء، المدبر لكل شيء، وما عداه فهم عبيد مقهورون لا يفعلون شيئاً إلا بإذنه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ فهو الذي يحيي ويميت، ويعطي ويمنع، ويُسعد ويشقي، ويُعزُّ ويُذل، ويصل ويقطع، وينفع ويضرُّ، ويهدي ويضلُّ، ويخفض ويرفع، ويصنع كل شيء.

هذا هو ربك الذي إذا أسعدك لا يمكن لبشر أن يشقيك، وإذا رزقك لا يمنع رزقه عنك أحد من العالمين، وإذا هداك ودلَّك على الطريق لا يقف في طريق هدايتك أحد من البشر، ربك تعالى إذا شاء أمراً كان، وإذا لم يشأ لا يكون شيء، وإذا كان كذلك، فهو المستحق لعبادتك وخوفك ورجائك ودعائك وتوسُّلك، فما لك وللمخلوقين! يمِّم قلبك ومشاعرك إلى ربّك تعالى، وأقبل صادقاً إليه، وسله ملحّاً أن يمنَّ عليك بالتوفيق، ويهبك من فضله، ويبعث في قلبك مشاعر الفرح، وستجري حينها الحياة في قلبك إلى أقصى مدى.

• **وعلَّمتني**: الحرية، وأنَّ من فقه ما فيها من معانٍ فكَّت قلبه من أسر المخلوقين، وخلَّصته من الأوهام، وأقبلت به إلى الله تعالى دون عناء، وجعلته حرّاً إلا من الله تعالى! تأمَّل في حديث ربك: «**يا عبادي كلكم ضالٌّ إلَّا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلَّا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم وقفوا في صعيد واحد، فأعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر**»، واعرف له هذا المعنى، وعُدْ إليه بقلبك، واطرح نفسك بين يديه، وارفع قلبك عن رؤية أحد من خلقه، فالعظيم يستحق منك كل شيء.

كم هم العبيد لغير الله تعالى، وهو الذي خلقهم! كم هم الذين يجهدون ويتعبون ويصنعون كل شيء لمخلوق، وهو الذي منَّ عليهم ورزقهم! كم هم الذي يرزحون في قيود الأوهام والشبه والذل والعبودية لغير الله تعالى، وقد فكَّهم الله تعالى من كل شيء، فأبوا إلَّا أن يموتوا وهم في قيود الحريات. الحرية ألَّا تقف لغير الله تعالى، ولا تخشى سواه، ولا تتوكل إلَّا عليه، ولا تطلب رزقك إلا منه، ولا

تسعى في مرضاة أحدٍ من العالمين إلا بعد رضاه. الحرّية أن تعلم أن كل العالم من حولك عبيد لله تعالى لا يغنون عنك في شربة ماء، ولا في كسرة خبز فضلاً أن ينفعوك أو يضروك في شيء.

• **وعلّمتني**: أنَّ ترك الريـاء ومحاربة صوره والخلاص منه واجب كل مؤمن يرجو ما عند الله تعالـى؛ لأنَّ الواحد هو الذي يخلق ويرزق ويعطي ويمنع، ومن عرف ذلك عرف كل شيء، وكم كان عظيماً ذلك الصحابي الـذي أمّ قومه، فـكان يقرأ فـي كل ركعة بسـورة ويختم بالإخلاص، فلمّا سـأله النبي ﷺ قال: يا رسول الله إنَّها صفة الرحمٰن، وإنّي أحبُّ أن أقرأ بهـا، وفرق بين قارئ وقـارئ! وإذا تأملت معاني السـورة بجدٍّ أدركت كم هي حاجتنا للإخلاص! كم هي المرات التي نرقب فيها المخلوقين، ونجهد في رضاهم، ونتوسّل إليهم بكلّ شيء، وفاتنا أنهم لا يملكون لأنفسهم شيئاً فضلاً أن ينفعوا غيرهم في شيء. حين نعرف الله تعالى حق المعرفة نصلّي لله تعالى، وأقرب ما نكون إليه في خلواتنا، ونذهب نشارك الآخرين في أفراحهم وعزائهم، وكلُّ ذلك لله تعالى، وكلما كرّ علينا الرياء قرأنـا عليه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾!.

سورة الفلق

• **علَّمتني سورة الفلق**: أنَّ كل علـــم لا يترتب عليه عمل، فلا قيمة له في واقعـــك، ووقتك أجلُّ من أن يذهب في قراءة أســطره، أو تَعَلُّم حرفه في شيء، وما تصنع بركام حرف لا قيمة له في واقع الحياة، وما أكثـــر المعرفة التي تدار في زماننا في وســائل التواصـــل الاجتماعي، ويتناقلها الناس في كل مرَّة، ثم لا تجد لها واقعاً في حياة كثيرين! وما حاجتنا اليوم لشـــيء في كل علم نتلقَّاه حاجتنا لتطبيقه، وتحويل تلك المعرفة إلى شأن من شؤون العمل، وفي قول الله تعالى في هذه السورة ﴿قُلْ﴾ دعوة لتحويل المعرفة إلى واقع تطبيقي، وتشـــكيل حياتنا بناءً على ما يجري في فصول الوحي. تعلَّم في كل مرة أنَّ ثمن العلم أكبر من مجرد قراءته، وأعظم مـــن أن يأخذ من وقتك، ثـــم لا يتحوَّل مع الزمن إلى واقع في حياتك، ومن صنع هذا وجد كل شيء.

احتجـــم الإمام أحمد رحمه الله وأعطـــى الحجَّام أجراً، فقيل لـــه: لِمَ فعلت ذلك؟ فقال: احتجم النبي ﷺ وأعطى الحجَّام أجراً، وقال ابن عمر: قال ﷺ: **«ما حق امرئ مسلم له شـــيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»**، فقال ابن عمر راوي الحديث: فما مرَّت عليَّ ليلة مذ سمعت رســـول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي. تعلَّم في كل مرة ألا تقرأ إلا

ما ينفعك، وإذا قرأت نافعاً، فاجعله واقعاً في يومك أو ليلتك، ودرّب نفسك في كل مرة على أنّ ثمن العلم أعظم من أن يجري في حياتك دون أثر.

• **وعلّمتني**: أنّ الوقاية منهج شرعي، وأنّ من كمال عقلك أن تحوّل ما بينك وبين الشـرور العارضة في الطريق بالأسباب الواقية منها. وكم من تفريط في هذا المعنى أوجب نهاية سـوء ومواقف حرمان في حياة كثيرين. توقّف بعض طلاب العلم عن القراءة مع شـغفه بها سنة كاملة لا يستطيع أن يمدّ يده إلى كتاب، وآخر توقّف مشروعه من أصله، وثالث ساءت ظروفه، ورابع وخامس وعاشـر، وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «**العين حق لو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسـلتم فاغتسـلوا**»، وأثبت الله تعالى أنّ في العالم من حولك شروراً تحتاج إلى توقٍّ واحتراس ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ وتذكّرك هذه السـورة أنّ ثمـة أعداءً من حولك، وشـروراً تحتفُّ بك، فالليـل ظرف لكثير من الشـرور، وفي صحيح مسلم قال ﷺ: «**لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فَحْمَةَ العشاء، فإنَّ الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشـاء**»، وَقل مثل ذلك في السحر والحسد، فهذه الأمور شرور قاتلة إن لم يستعد لها الإنسان غاية وسـعه، ولا سبيل إلى دفعها والخلاص من شرورها والنجاة من آثارها إلا باللجوء إلى ربك ومولاك، والفرار إليه تعالى والاسـتعاذة به، فهي السـبيل لنجاتك من كـل شيء

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ وكم من سـالم من عطـب! وقائم من كدر! وخارج من ضيق بعد أن كان على وشك الضياع والهلاك! ومن عرف الله تعالى، وقام بحقه، وبذل الأسباب وَقَاه الله تعالى من عوارض الطريق.

• **وعلَّمتني**: أنَّ لكل مشكلة حلّاً، وأنَّ كلَّ شرٍّ في الكون مقابل بأسـباب للفكاك منه! وما أنزل الله تعالى داءً إلَّا أنزل له دواءً، عرفه من عرفه وجهله من جهله، ولا أعظم لك من صلتك بالله تعالى، فهي أول الطريق وأصله وقاعدتـه، وقد أبان الله تعالى لك المشـكلات والعوائق والشـرور ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّـٰثَـٰتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ ثم دلَّك على الطريـق الذي يخلِّصك منها ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ فللفلق ربٌّ يعينك على الخلاص مما يواجهك منه! فأقبل على ربك، واصـدق معه في الطريـق، وأخلص له قدر وسـعك، وحافظ على طاعته وأجلَّ أمره، وعظِّم شعائره، وتوقَّ قدر وسعك أسباب سخطه وعقابه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] ومن اتقـى الله تعالى، وحافظ علـى أذكار الصباح والمساء، وقرأ هذه المعوذات الثلاث بعد كل صلاة مرة، وبعد الفجر والمغرب ثلاثاً، وقرأ آية الكرسـي، وعاش متـوكلاً على ربه تعالى مطمئناً لقضائه وقدره سَلِمَ من الشرور بإذن الله تعالى، وعاش معافىً من أحداثها، والله المستعان.

سورة الناس

• **علَّمتني سورة الناس**: أنَّ مشـكلتنا الكبرى مع حقائق الوحي أنها لا تأخذ حقها الكبير من واقعنا، وكم من حقيقة أكَّد عليها، ونوَّع في التحذيـر منها، ومع ذلـك مازالت بمنأى عـن كثيرين، من هذه الحقائق التي تولَّى الوحي الإفصاح عنها وكررهـا: أنَّ لنا عدوّاً، قرَّر وأقسم بربِّه أنَّه سيتولَّى إضلالنا وضياعنا ما أمكنه إلى ذلك من سبيل ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٧] وحقيقةٌ مثل هذه يجب أن تأخذ حقَّها من النقاش والوعي حتى تصبح أوضح ما تكون، فكيف إذا عرفت أنَّ عدوك الذي حذَّرك منه الوحي هو الذي تولَّى إخراج أبيك آدم، وكان سـبباً في ضياع نعيمه كما قال الله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طـه: ١٢٠] ومازال به حتى أخرجه من الجنان!.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﵁ قال ﷺ: «**ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان**»، وفي رواية: «**يمسُّه حين يولد فيستهلُّ صارخاً من مسَّة الشيطان إياه**»، كأنما يقول له: هذه بداية المعركة معك.

تُعلِّمك سـورة الناس أنَّ من فقهك وكمال وعيك أن تدرك عدوك وتعرف حجمه وتتحصَّن منه، وتبلغ وسـعك في الفرار من طرقه حتى تلقى الله تعالى وأنت سالم من الخذلان.

• **وعلَّمتني:** أنَّ (الوسوسة) أخطر ما يواجهك به عدوك، وهي أول وسائله وأهمها، وقاعدة البداية معك للضياع، والوسوسة هي الحديث الداخلي الذي يجري بينك وبين نفسك يزيِّن لك فيه المعصية ويجمِّلها لك، ويجري أحداثها في مشاعرك، ويعرضها لك في صورة فاتنة مغرية حتى تتمكن من قلبك، ثم يلقي بك مأسـوراً في شباكها بعد أن كنت حرّاً طليقاً من آثارها. الوسوسـة التي يجريها الشـيطان معك كالحَبِّ الذي تلقيه للطائر لتمسكه من خلاله، وكالمأكولات الشهية التي تضعها للفأر مـن أجل القبض عليـه وقتله لا فرق، وكل الذين في السـجون العامة دخلوا إليها مـن خلال هذه الخطة، وحُرموا من كل شـيء في النهاية. فكن فطناً وإيَّاك وخطواتـه، ولا تغترَّ بالعرض الممتع في أول الطريق، فهو السبيل إلى أسوأ النهايات، وكم من مكبَّل بالسلاسل بعد حرية! وكم من ضائع بعد عزٍّ وشـرف! وما أكثـر الهلكى من أثر هذا المعنى في زمانك! ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾.

• **وعلَّمتني**: أنَّ شرارة الخلاف الكبير في البداية مزاح، وبوابة الزنى خيانة عين، وأول خطوات الخذلان رؤية مشهد عابر في وسيلة من وسائل التقنيَّة، وتجربة طريق مجهول، وعلى مثل هذه البدايات تُسفك القيم، وتذبل معالم التوفيق، وتتصحَّر قلوب الأتقياء، وتموت مباهج الاستقامة، وينتهي كل شيء، وفي الصحيحين قال ﷺ: «**فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «**إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان حتى لا يسمع صوت التأذين، فإذا قضي النداء أقبل، حتى إذا ثُوِّب للصلاة أدبر، حتى إذا قضي التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا، اذكر كذا لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدري كم صلَّى!**».

قال ابن القيم رحمه الله: فإن القلب يكون فارغاً من الشرِّ والمعصية، فيوسوس إليه ويخطر الذنب بباله، فيصوِّره لنفسه ويمنِّيه ويشهِّيه، فيصير شهوةً ويزيِّنها له ويحسِّنها ويخيلها في خياله حتى تميل نفسه إليه فيصير إرادة. اهـ. فكن فطناً بخطط عدوِّك وتجهَّز لمواجهته، وإيَّاك أن يلقي بك في خنادق الظلام.

فهرس المحتويات



لعلك من أولئك الذين يسألون عند قراءتهم لكتاب الله تعالى: ما القضايا الكبرى التي تحدَّث عنها القرآن؟ ما الموضوعات التي استعرضها في كل سورة؟ ما المعاني التي ركَّز عليها القرآن ومنحها أولوية قصوى في الحديث عنها وبيان معانيها وآثارها لقارئه؟ ويشتاقون لمن يكشف لهم هذه الحقائق العظمى ويجيب لهم عن تلك الأسئلة التي تتردَّد على عقولهم في كل حين.

علَّمني القرآن

يجيب لك عن هذه الأسئلة المحورية، ويكشف لك عن تلك القضايا والموضوعات والمعاني التي ركَّز عليها القرآن وأبرزها لبناء الإنسان، وتحقيق خلافته الكبرى التي جاء من أجلها في الحياة.

المؤلف

Email: kalam-sy@hotmail.com

ISBN 978-9933-29-313-0

9 789933 293130

تُطلب جميع كتبنا من:
دار القلم ـ دمشق هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
الدار الشامية ـ بيروت هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١) ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:
دار البشير ـ جدة ٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

دار القلم
دمشق